

سراج الملوك للامام العالم العلامة الثبت الثقة
الحجة الفهامة العارف بالله أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي
المالكى نفعنا الله به
آمين

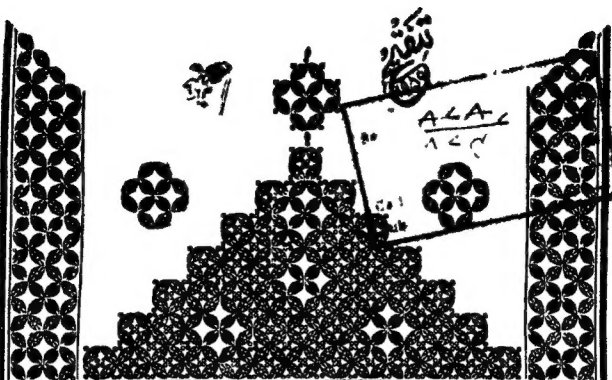
• (فهرسة سراج الملوك) •

صفحة	
٦	الباب الاول في مواعظ الملوك
٢٩	الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والولاة
٣٩	الباب الثالث فيما جاء في الولاة والتفاعة وما في ذلك من الغرر والخطر
٤٣	الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليه السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يرقى لاحد من بعده
٤٤	الباب الخامس في فضل الولاة والتفاعة اذا عدلوا
٤٦	الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غائب وخاسر غير راجع
٤٧	الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض
٤٨	الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره
٤٩	الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية
٥٠	الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع به فيها انظام الملك والدول
٥١	الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا يثبت له دونها
٥٤	الباب الثاني عشر في التنصيص على الخصال التي زعم الملوك أنها أزالوا دوائهم وهدمت سلطانهم
٥٦	الباب الثالث عشر في الصفات الرتبة التي زعم الحكماؤه أنه لا تدوم معها المملكة
٥٨	الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان
٥٩	الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان
٥٩	الباب السادس عشر في ملاله أمور السلطان
٦٠	الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان
٦١	الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن
٦١	الباب التاسع عشر في خصال جامعة لأمور السلطان
٦٢	الباب العاشر في الخصال التي هي أركان السلطان
٦٣	الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم
٦٤	الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٦٥	الباب الثالث والعشرون في العقل والاداء والنجب
٦٩	الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم
٧٢	الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم
٧٤	الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي حال السلطان
٧٨	الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة
٨٠	فصل في النصيحة

الباب الثامن والعشرون في الحلم	٨١
الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب	٨٧
الباب الثلاثون في الجود والسخاء	٨٨
الباب الحادي والثلاثون في بيان الشج والجل وما يتبعهما	٩٥
الباب الثاني والثلاثون في الصبر	٩٦
فصل في أقسام الصبر	٩٧
الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر	١٠٣
الباب الرابع والثلاثون في بيان الخلة التي هو رهن بسراياها وزعيم المزيده	١٠٥
التعماد واللاء من ذي الجلال	
فصل في الشكر على الجوارح	١٠٧
فصل في الكلام على الزيادة	١٠٧
الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الامور ويستريح اليها	١١١
الرئيس والمرؤس مستخرج من القرآن العظيم	
الباب السادس والثلاثون في بيان انطه الى فيها غاية كمال السلطان وشأنه	١١٢
وراحة القلوب وطبقة القدس	
الباب السابع والثلاثون في بيان انطه التي فيها كمال الملوك عند الشدائد ومعتل	١١٣
السلطان عند اضطراب الامور وتغير الرجاء والاحوال	
الباب الثامن والثلاثون في بيان انطه الى الموجه لزم الرعية للسلطان	١١٤
الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل الجائر	١١٤
الباب الحادي والاربعين فيما يجب على الرعية اذا اجازها	١١٥
الباب الحادي والاربعون في كتمان كونه ابوي عليكم	١١٦
الباب الثاني والاربعون في بيان انطه التي تعلم بها الرعية	١١٦
الباب الثالث والاربعون في علك السلطان من الرعية	١١٨
الباب الرابع والاربعون في التمدد من صحة السلطان	١١٩
الباب الخامس والاربعون في صحة السلطان	١٢٠
الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند	١٢٢
الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استنباط الخراج	١٢٣
الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال	١٢٤
فصل في مضمين مبلغ ما كان يستخرج لقرعون يوسف من أموال مصر	١٢٦
الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال	١٢٩
الباب الحادي والعشرين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة	١٣٣
العمال	

١٣٥	الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة
١٣٧	فصل فى نقض الذمى العهد
١٣٨	فصل فى تقدير الجزية
١٣٨	الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعبرة فى الولاية
١٤١	الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال
١٤٣	الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشاء على الشفاعات
١٤٤	الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق
١٤٩	فصل فى الفرق بين المداهنة والمداراة
١٥٠	الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته
١٥٢	الباب السابع والخمسون فى تحریم السعاية والتمجيبة وقبحهما وما يؤتى اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة
١٥٧	الباب الثامن والخمسون فى التصاوص وحكمته
١٦٠	الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة
١٧١	الباب الستون فى بيان الخصلة التى هى أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلته وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس
١٧٣	الباب الحادى والستون فى ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها
١٨١	الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر والتوكل والطلب
١٨٥	الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكايائهم
١٩١	فصل من نوادر برزجهر الخ
١٩٢	فصل ومن حكم شافى السندى الخ
١٩٤	فصل قال غيره لا ينبغي للملك أن يكون له أيام معلومة يظهر فيها الخ
١٩٤	فصل من نوادر كلام العرب
١٩٦	الباب الرابع والستون مشتمل على حكم متنوعة

سراج الملوك للامام العالم العلامة الثبت الثقة
الحجة الفهامة العارف بالله أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
المالكى نفعنا الله به
آمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الإغنان والآثار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالحقائق وما تنطوي عليه الأرضون والسموات سواء عنده الجهر والأسرار ومن هو مستخف بالليل وساوياً بالنهار ألا يعلم من خلقه وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصصهم بعشيتته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقهم معين ولا في تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن أو يستظهر من تقدس عن الذل بمن دخل تحت ذل التكوين ثم كافهم معرفته وجعل علم العالمين بهجزهم عن ادراكه ادراكاً كالهم ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكر الهم كما جعل اقرار المقرين بوقوف عقولهم عن الاطاحة بحقيقته أيماناً بالهم لا يلزمه لم ولا يجاوزه أين ولا يلاصقه حيث ولا يحدهما ولا بعده كم ولا يصهر منى ولا يحيط به كيف ولا يناله أى ولا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاوجه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده امام ولم يظهره قبل ولم يعينه بعد ولم يجمه كل ولم يوجد له كان ولم يفقده ليس وصفه لاصفة له وكونه لأمد له ولا تخالطه الاشكال والصور ولا تنفبه الايام والغير ولا تجوز عليه الماسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة أن قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معاولاً كان له غيره عليه يساوقه في الوجود وهو قبل جميع الاعيان بلا علة فقدرة افعاله في الاشياء بلا مزاج وصنعه فيها بالاعلاج وعمله كل شيء صنعه ولأعله لصنعه فأن قلت أين هو فقد سبق المكان وجوده فمن أين الاین لم يقتصر وجوده الى أين هو بعد خلق المكان غنى بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يعمل فيما منه بدا أو يعود اليه ما هو أثنا وان قلت ما هو فلا مائة لوجوده وما موضوعاً للسؤال عن الجنس والتقديم تعالى لاجنس له لان

الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت المائبة وان قلت كم هو فهو أحد في ذاته منفرد
بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه وان قلت كيف هو فن كيف الكيف لا يقال
له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه النعت وان قلت هو قائمها والواو داخله بل ألزم
الكل الحديث كما قال بعض الاشياخ لان التقدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي
بالاداة اجتماعه فقواها نسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يسميه غيره فالضرورة
نفسه والذي الوهم يطرقة فالتصوير يرتقي اليه ومن آوا محل أدركه أين ومن كان له جنس
طلبه كيف وجوده اثباته ومعرفة توحيدته وتوحيده تميزه من خلقه فالتصور في الاوهام
فهو بخلافه لا تخاطب العيون ولا تخاطب الظنون ولا تصور الاوهام ولا تخاطبها الانهزام
ولا يقدر قدره الانام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصره امد ولا يسعه ولد
ولا يجمعه عدد قربه كرامته وبعده اهاتة علوه من غير توكل وبجسته من غير تنقل هو
الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
وأشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى
والنعت الاوفى أله المخلق والامر تبارك الله رب العالمين وأمن بالله ولائكه وكتبه
ورسله لا تنفك بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وأشهد أن محمدا عبده المصطفى وأمينه
المرتضى أرسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه
وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين (أما بعد)
فانى نظرت في سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوا من السياسات في تدبير الدول
والترصوه من القوانين في حفظ التحمل فوجدت ذلك نوعين أحكاما وسياسات فاما الاحكام
المستقلة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبسوع والاحكام والانكحة والطلاق
والايبات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شأنها فأمر
اصططوا عليه بعقولهم ليس على شيء منه برهان ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن
تدبر ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هي صادرة عن خزنة النيران وسدنة سوت الاصنام وعمدة
الانداد والاولان وليس بهج واحد من خلق الله ان يصنع من تلقاء نفسه أمثالا وأشباها وأما
السياسات التي وضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها
واهانة من استهان بها ونالها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب
عليها والتمسوا النصفة فيما بينهم على ما توجه تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل
وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم ككل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جليلة لا يتانى
العقول شيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ
تلك الاصول القاسدة كن زخرف كنيها أو يني على مت قصر امنيفا

ولوليس الحارث بن عازم * لقال الناس بالثمن حار

فخدمت محضين ما انطوى عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول فوجدت
ذلك في ستمن الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والسند هند فاما
ملوك الصين وحكامهم فلم يصل الى ارض العرب من سياساتهم شيء كثير بل بعد المشقة وطول
المباينة وأهل من عداها من الامم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرائع نافذة واذهان

ثاقبة وانما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة فنظمت ما ألقيت في كتبهم من الحكمة
 البالغة والسير المستحسنة والكلمة الطليقة والتريفة المألوفة والتوقيع الجليل والاثر
 النليل الى ما رويته ووجعته من سير الانبياء عليهم السلام وآثار الاولياء وبراعة العلماء
 وحكمة الحكماء وفواد الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو صهر العلوم
 وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاصر الجواهر المكتونات ان اختصر فطعته دالة
 وشارة خفية وان اطال فالفاظ بارعة وآيات مهيضة هو الهادي من الضلالة والحاوي
 لحاسن الدنيا وفنائ الآخرة (ورتبته) ترتيباً أنيقاً وترجمته تراجم بارعة حاوية
 لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتولج التامور من غير استثمار
 الفاظها اقوال بلغانيها ليس الفاظها الى السمع بأسرع من معانيها الى القلب فانظم الكتاب
 بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غريباً في فنونه واسبابه خفيف المحمل كثير الفائدة
 لم يسبق الى مثله اقلام العلماء ولا جالت في نظمه افكار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك
 والروساء فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استعجبه ولا رئيس الا استحسنه
 واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرئاسة وجنسه لمن قصص به من أولى الامر
 والسياسة وجمال لمن تعلى به من أهل الآداب والمحاضرة وعنوان لمن قاوض به من أهل
 المجالسة والمذاكرة (وسميته سراج الملوك) يستغنى به الحكيم بدراسته عن مباحث الحكماء
 والملوك عن مشاورة الوزراء (واعلموا) وفقكم الله ان احق من أهديت اليه الحكم وأوصلت
 اليه النصائح وحلت اليه العلوم من آتاه الله سلطاناً فتشقى في خلق حكمه وجاز عليهم قوله
 (ولما رأيت) الاجل المأمون ناج الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين خالص أمير
 المؤمنين أباعده الله محمد الاموى ادام الله لاه عزازا الدين نصره وأخلفه العالمين بالحق
 أمره وأوزع كافة الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضره فقد تفضل الله تعالى به على
 المسلمين فيسطفهم يده وتشر في مصالح أحوالهم كلته وعرف الخالص والعام عنه وبركه
 وتقلد امور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية مقرباً للصواب وراغباً في الثواب طالبا
 سبيل العدل ومناهج الانصاف والفضل رغب ان اخصه بهذا الكتاب رجا لطف الله تعالى
 يوم تجسد كل نفس ما علمت من خير محضرا وما علمت من سوء فود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا
 ولند كرفضائله ومحاسنه ما بنى الدهر كما قيل

الناس يمدون على قدرهم * لكنني اهدى على قدرى

يمدون ما يقض وأهدى الذي * يبقى على الايام والدمر

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه ينفعهم من الظلم ويردهم
 الى الحلم ويصدقهم عن الادب ويمطفئهم على الرعية فمن حقه ان يعرفوا حقيقه ويكرموا
 حيلته ويستنبطوا أهله (وهذه) أبواب هذا الكتاب وعدتها أربعة وستون بابا الباب الاول
 في مواعظ الملوك الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين الباب
 الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الفرور والخطور الباب الرابع في معرفتهم
 سليمان بن داود وجه طلبه للملك وسؤاله أن لا يؤتاه أحد من بعده الباب الخامس في فضل

الولاة والقضاة اذا عدلوا الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغفون غير غائب وخاسر غير
راجع الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض الباب الثامن في منافع
السلطان ومضاره الباب التاسع في معرفة منزلة السلطان من الرعية الباب العاشر في معرفة
خصال ورد الشرع بها في نظام الملك والدول الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي
قواعد السلطان ولا يثبت لدونها الباب الثاني عشر في معرفة الخصال التي زعم المولود انها
ازالت دولتهم وهدمت سلطانهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات الزائدة التي زعم
الحكام انها لا تدوم معها المملكة الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان وقد
اتفقت الحكام والعلماء على الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعزبها السلطان
الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان الباب السابع عشر
في معرفة خيرا السلطان وشرا السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن
الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لاهل السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال
التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب
الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد
في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والدهاء والمكر الباب الرابع والعشرون
في الوزراء وأوصافهم الباب الخامس والعشرون في الجلساء وأدابهم الباب السادس
والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة
والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه الباب التاسع
والعشرون فيما يسكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون
في معرفة الشخ ~~والمجل~~ وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجبل عواقبه
الباب الثالث والثلاثون في ~~كتمان~~ السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان
الخصلة التي هي رهن لسلطان الخصال وزعمهم بالمزيد من الآلاء والنعماء من ذي الجلال
وهي الشكر الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير والمأمور وتسهيل
حسبة الثلاثين أجمعين الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان
وشفاء الصدور وراحة القلوب وطبقة النفوس الباب السابع والثلاثون في معرفة الخصلة
التي هي ملجأ المولود عند الشدائد ومقتل السلاطين عند اضطراب الممالك الباب الثامن
والثلاثون في بيان الخصلة الموجبة لدم الرعية للسلطان الباب التاسع والثلاثون في مثل
السلطان العادل والجار الباب الأربعون فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان الباب
الحادي والأربعون في كائنات نوادر علىكم الباب الثاني والأربعون في بيان الخصلة
التي بها تصلح الرعية الباب الثالث والأربعون فيما يملك السلطان من الرعية الباب الرابع
والأربعون في التحذير من حسبة السلطان الباب الخامس والأربعون في حسبة السلطان
الباب السادس والأربعون في سيرة السلطان مع الخند الباب السابع والأربعون في سيرة
السلطان في استحياء الخراج الباب الثامن والأربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت
المال الباب التاسع والأربعون في سيرة السلطان في بيت المال الباب الحادي عشر في سيرة

السلطان في تدوين الدواوين وفرض الاوراق وسيرة العمال الباب الحادي والخمسون
في أحكام أهل الذمة الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المتعبرة في الولاة الباب
الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشاء على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق
الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته الباب السابع والخمسون في السعاية
والنعمة وقصصهما وما يؤول اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن
والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون
في الشجاعة وغررائها الباب الحادي والستون في الحروب وتدبيرها الباب الثاني والستون
في القضاء والقدر وأحكامهما الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم
وكلياتهم الباب الرابع والستون يشغل على حكم منشورة وهو آخر الكتاب وكال الابواب
(الباب الاول في مواعظ الملوك) *

لقد خاب من كان حفظه من الله الدنيا اعلم ايها الرجل وكذا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان
كانت بكارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعي من الموعظة ما يتولج على تلك الافكار
ويتغفل في مكان تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفك تلك الاكنة والاقفال ويصقل
ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع الدنيا بانه متاع
قليل وانت تعلم انك ما وبت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعه ولم تعص
الله فيه فهو له ولعب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلانبع أيها العاقل لعبك ليس لا يفي بحياة الابد حياة لا تضي
وشباب لا يسيل كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهابا يفي وكان خطا آخرة خروفا يفي
لوجب ان تفتخر خروفا يفي على ذهب يفي فكيف وقد اخترنا خروفا يفي على ذهب يفي تأمل
بعقلك هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليه السلام حيث آناه ملك جميع الدنيا
والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو
أعظم منها فقال تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عداها نعمة
كما عدتوها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبوها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليبلوني
أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر أن يقول لله رب في معرض المننة هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدرأ من حيث لا يعلم
هذا وقد قال لك وليا أهل الدنيا فوريك لنساءتهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال وإن كان
منقال حبس من خردل أتيناها وكفى شاحسين تأمل بقولك ما روى عن النبي عليه السلام انه
قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء موافق لما سمعنا من النبي عليه
السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك عش
ما شئت فانك صيت وأحب من شئت فانك مفارقة وعمل ما شئت فانك مجزى به فانظر
ما اشتملت عليه هذه الكلمات من تصرم العز وفراق الاحبة والجزاء في الاعمال فلو لم
ينزل من السماء غير ما كانت كافية انظر بهمك الى ما رواه الحسين أن النبي عليه السلام مر

بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طلامطروح فقال اترون هذا هان على أهله فقالوا من هو انه
عليهم القوه قال فوالذي نفسي بيده لا الدنيا أهون على الله من هذا على أهله فجعل الدنيا أهون
على الله من الحقيقة المطروحة وقال أبو هريرة قال قال النبي عليه السلام ألا أريك الدنيا جعجا
بما فيها قلت بلى قال فأخذ يدي وأتى بي الى واد من أودية المدينة فاذا من به فيها رؤس الناس
وعذرائق وخرق البية وعظام البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تخرص على الدنيا
تكرصكم وتأمل أمالكم ثم هي اليوم تساقط جادا بالاعظم ثم هي صائرة رما دارمدا وهذه
العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قد فوها في بطونهم فاصبحت
والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رباشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفتها وهذه
العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجصعون عليها اطراف البلاد فمن كان يكا على الدنيا فيلبد
قال فابرحنا حتى اشتد بكأونا (وقال ابن عمر) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض جسدي
فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا أيها
الرجل ان كنت لا تدري متى يفجؤك الاجل فلا تقرب طول الامل فانه يقضى القلب
ويفسد العمل وقد عبر الله أقواما مثلهم في الاجل فقتل منهم القلوب وطال منهم الامل
فقال تعالى ألم يأت الذين آمنوا ان تفتح قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون
أحسنت فذلك بالايام اذ حسنت * ولم تحف سوء ما يأتي به القدر
وسالمك الليالي فأغمرت بها * وعند صفو الليالي يحدث البكدر
يا أيها الرجل ألق الى سمعك وأرعى لبك

فلم كنت لا تدري متى الموت فاعلمن * بانك لا تبقي الى آخر الدهر

ابن آدم أين آدم أبو الاولين والآخرين أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع العالمين أين
ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلته
رأس الزاهدين وأمام السائحين أين محمد خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وسيد الاولين
والآخرين أين أصحاب الابرار المنتخبون أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون
الخالفة أين الذين نصب على مفارقتهم التيجان أين الذين اغتروا بالاجناد والسلطان أين
أصحاب السطوة والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الاولوية والرايات أين الذين قادوا
الجيوش والعساكر أين الذين عمرو القصور والساكن أين الذين أعطوا النصر في سواطين
الحروب والمواقف أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين غتموا في الذات
والمازب أين الذين أسرفوا على الخلائق كبرا وعتبا أين الذين راحوا في الحلل بكره وعشيا
أين الذين استحلوا اللباس اثا واوريا أين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخر وعزا أين الذين
فرشوا القصور خرا وبزا أين الذين تضعفت لهم الارض هيبة وهزا أين الذين استذلوا
العباد قهرا ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفنتاهم والله مفضي الامم وأبادهم
مبيد الزم واخرجهم من سعة القصور وأسكنهم في ضلك القبور تحت الجنادل والعصور
فأصبحوا الأترج بالامساكنهم فعات الدود في أجسادهم وانخسف قتيلا في ابدانهم فسالت

الصيون على الحدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت العروق وتقطعت البطون فلم يتعهم ما جعوا ولا غنى عنهم ما كسبوا اسلك
الاحبة والاولياء وهجرنا الاخوان والاصفياء ونسبك القرباء والبعداء فامسيت ولونظقت
لانشدت قولنا في سكان الترى ودهائن التراب والبالا

مقيم بالخون رهين دمس * وأهلى رانحون بكل واد
كأنى لم أكن لهم حيبا * ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا للسلام فان أيتم * فأوموا بالسلام على بعد
فان طال المدى وصفا خليل * سوانا فاذا ذكر واصفوا الوداد
وذلك أقل مال من حبيب * وآخره الى يوم التناد
فلو أنما جوقكم وقفنا * سقينا التراب من مهب القواد

(وقال) مكرم بن يوسف العباد أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان تقف على المدائن
والحصون وأبلغهم عنى حرفين لآثا كلوا الاطيبا ولا تسلكوا الا بالحق ولما دخل يزيد
الرفاعي على عرين عبدالعزير قال عطفني يا يزيد قال يا امير المؤمنين اعلم انك أول خليفة تقوت
فبكاهم وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا أبصت فبكاه وقال
زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فحط مغشيا يا أيها الرجل لا تغفلن
عن تذكرة ما يقننه من خوف القضاء ونقضى المسار بذهاب اللذات وانقضاء الشهوات وبقاء
التعبات وانتساب احسرات وان الدنيا دار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من
لا عقله وعليها يعادى من لا علمه وعليها يحسد من لا فقهه من صبح فياسقم ومن سلم فيها
هرم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها
عتاب من ساعاها فانتسه ومن قعد عنها أنته ومن نظر اليها أنته ومن بصيرها بصيرته
لا خيرها بدوم ولا شرها يبقى ولا فيها مخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تتخذ عن كاخدع من قبلك
فان الذى أصبغت فيه من النعم انما صار اليك بعوت من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل
ما صار اليك فلو بقت الدنيا للعالم لم تنصر الجاهل ولو بقت للأول لم تنتقل الى الآخر
يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذبا وقضة ثم سلت عليك بالخلافة وألقت اليك مقالدها
وافلاذ كبدها ثم كنت طريفة الموت ما كان ينبغي لك ان تنهب بعيش لا تخفر فيما يزول ولا تغنا
فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال الاول قدوتفلى وكشف عيلا وكما قال الشاعر

ولقد سالت الدواعى أخبارهم * فتبعت عجايلهم ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقلالى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد اصاب ابن السمك لما قاله الرشيد يا ابن السمك عطفني ويبدو شربة من ماء فقال يا امير
المؤمنين أرايت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفقد بها بملكك قال نعم قال يا امير المؤمنين
فلو حبس عنك خروجهما أكنت تفقد به بملكك قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوى شربه
ولا يولة أيها الشاب لا تغتر بشبابك فان أكثر من يموت الشباب والجبل عليه ان أقل الناس
الشيوخ يا أيها الشاب كم من جمل في التنوير وأبو يعرى وكم من طفل في التراب يرحله يضي

وقال علي بن أبي طالب وضوان الله عليه لاسقف قد أسلم عظمي قال يا أمير المؤمنين ان كان الله عليك فن ترجو قال أحسنت فزدني قال ان كان الله معك فن تخاف قال أحسنت فزدني قال أحسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين اليك قد فاتهم ثواب المهسين قال حسبي حسبي وبكي أربعين صباحا وقال الحسن قدم معصية يعني عم القرزق علي النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا أسمع آية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لحبيد الطويل عظمي فقال ان كنت اذا عصيت الله طنت انه ير الذل فقد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب عظيم وكتب علي بن الحسين رضي الله عنه الى سلمان اغام مثل الدنيا كمثل الحية لمسلم الين ويقتل سمها فاعرض عنها وما يجلب منها القلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تفتت من فراقها وكن اسرما تكون فيها أحذر مما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه وقال ابو العتاهية

هي الدار دار الازي والقداه ودار الفناء ودار القبر
ولونلتها بمجدافيرها * لمت ولم تقض منها وطير
أيام من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

ولما بلغ مراده من الدنيا افضل ما سمع اليه نفسه ووقت اليه همته رفضها وبئذا وقال هذا سرور لولائه غرور ونعيم لولائه عديم وملك لولائه هلك وغناه لولائه فناء وحسب لولائه ذم ومجد لولائه مفقود وغنى لولائه مفى وارتقاء لولائه اتضاع وعلاء لولائه بلاه وحسن لولائه حزن وهو يوم لو وثق له بغد يا أيها الرجل لا تكن كالخضل يرسل اطيب ما فيه ويمسك الحنائل واعلم ان من تساقب له لا يقبل الحق وان كثرت رذائله قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او أشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب مائة من قبول الحق القلوب وولوج المواقف فيها قال الله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غطاها وغشها فلا تقبل خيرا ولا تصي لموعظة جاء في التفسير اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ثم اذا اذنب نكتت نكتة سوداء حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالسكف فاذا اذنب العبد انقبض وقبض اصبعاه ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعاه أخرى ثم كذلك في الثالث والرابع حتى ينقبض السكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخ الابرته ثم كلما اذنب صار فيه كوخ الابرته ثم كلما اذنب صار فيه كوخ الابرته حتى يعود القلب كالخضل وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم ينفعه الموعظة وفيه قبل

ولا أرى أثر الذر في خلدي * والحبل في الصخرة الصماء أثر
اذا فسأ القلب لم تنفعه موعظة * كالارض ان سجت لم ينفع المطر

وبرى ان ابا العتاهية مر يد كان الوراق واداكاب فيه ين من الشعر
 لن ترجع النفس عن غيها * ما لم يكن منها الهازج
 فقال لمن هذا فقيل لابي نواس قال وددت انه لي نصف شعري قال الاسمي ان العمان الذي
 هو امرؤ القيس الا كبر الذي بن الخورنق اشرف على الخورنق يوما فاجبسه ما اوتي من الملك
 والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه فهو فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيت فقال
 له حكيم من حكما اصحابه هذا الذي اوتيت شي لم ير ولا يزال ام شي كان لمن كان قبلك زال عنه
 وصار اليك قال بل شي كان لمن قبلي زال عنه وصار الي وسيزول يعني قال فسروا شي
 تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال قاين المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس
 اصسا وتلق بجهيل وتعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى ياتك اهلك قال فاذا كان ذلك
 ذاك قال حياة لاموت فيها وشباب لاهرم فيه وصحة لاسقم فيها وملك لجديد لا يلى قال فاي
 خير فيما مضى والله لا طلبة عيشا لا يزال ابدا وملكاجديدا فانقطع من ملكه ولبس الاسباح
 وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبدان الله حتى ماتا وفيه يقول عدى بن زيد
 وتبين رب الخورنق اذ فكرو يوما وللهدى تذكير
 سره ما له وكثرة ما عيتك والجر معرضا والسدير
 فاروى قلبه وقد قال ما غبت طعة حتى الى الممان يصير
 أين كسرى كسرى الملوك انوشير * وان أم ابن قبله سابور
 وبنا الاصغر الكرام ملوك السر وم لم يبق منهم مذكور
 لم يهبه ريب المتون فباد الشملك عنه فبايه مهجور
 وفيهم يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذي انباتني * ان السبل سبل ذي الاعداد
 ماذا اؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اباد
 أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
 نزولوا بآخرة نسبل عليهم * ماء القرات يجي من أطواد
 أرض يحبوها لطيب مقلها * كعب بن مالك وابن أم دواد
 جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على معباد
 فأرى التعمير وكل ما يلهي * يوما يصبر الى بلى ونفاد
 (وقال) وهب بن منبه أصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بارض صنعاء اليمن وكان
 من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسند فترجم بالعربية واذا هي آيات جليلة وموعظة عظيمة
 بانواعها قلل الاجبال فخرسهم * غلب الرجال فلم يتفهم القليل
 واستمزلوا بهد عز من معالهم * فاسكنوا خزايا بئس ما نزلوا
 ناداهم صارخ من بعد مادفنا * أين الاسرة والتيجان والحلال
 أين الوجوه التي كانت محجبة * من دونها تضرب الستار والكل
 فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتل

قد طال ما أكلوا وما شربوا • فأصبحوا بهذا الأكل قدأكلوا
قال شيخنا قرئ على القاضي أي الوليد الباجي وأنا أسمع بعض الشعراء
ويحك يا أسماء ماشاني • أضللتني والله ماشاني
الموت حق فأعلى نارل • قريب لي لحدي واكفاني
قد كنت ذامال فلا والني • أعطاني العيش وأغناني
ماقرت العيين به ساعة • الا تذكرت فاشجاني
عسلي بأني صائر للبلي • وفاقد أهلي وجبراني
وتارلك مالي على حاله • نهبال الشيطان ابن شيطان
لامرأ أباي أولزوج ابني • يالئ من نعي وخسران
يسحق مالي وأشقي به • قوم ذووغل وشنان
ان أحسنوا كان لهم أجره • وخف من ذلك ميزاني

• وعن المتبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وفتنها ونقصها واذها ابراهيم بن آدم بن منصور من أبناء الملوك ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد عن ثمانين سريرا قال ابراهيم بن بشار ألت ابراهيم بن آدم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا قال غيره هذا أولى بك قلت يرجك الله لعل الله يتعني به يوما ثم سأله ثانية فقال ويحك اشتغل بالله تعالى ثم سأله ثالثة فقلت ان رأيت يرجك الله أن تحبني لعل الله أن يتعني فقال كان أبي من ملوك خراسان وكان من المياسير وكان قد حبب الى الصديقين أنا راكب فرسا وكبي معي وأثرت أربابا أو فعليا فحركت فرسي فسمعت نداء من وراءني يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا لهذا أمرت فوقفت أنظر عنقو يسر تهم رأيت أحدا فقلت في نفسي لعل الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أقوى من الأول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا لهذا أمرت فوقفت فمشعر أنظر عنقه ويسر فلم أر شيئا فقلت لعل الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قروبوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا لهذا أمرت فوقفت وقت هيأت جاني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصيت بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلي وخلقت فرسي وبحثت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه وألقت اليه ثم لبني فلم أقل أرض قلني وأرض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فأت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورية وهي المصيبة فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فأت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بهما العمل كثير قال فيينا أنا فاعده على باب البصرة جاءني رجل فأككتراني أنظر لبستانا فتوجهت معه فكنيت في البستان أياما كثيرة فاذا أنا بجانب قد أطل معه أصحابه ولوعلت أن البستان لخادم ما نظرت فقعدي في مجلسه ثم قال يا نا طور فأجبته قال فاذ به فاتنابا كبير مان تقدر عليه وأطيعه فأنتبه برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا نا طور ما هذا أنت حنذا كذا وكذا في بستانا أنا كل من فاكهتنا ورماتنا لا تعرف الخلو من الحامض قلت وواقه ما أكلت من فاكهنتكم شيئا وما أعرف الخلو من الحامض قال فنعز الخادم أصحابه

وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن آدم هم ما زاد علي هذا فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس عنقا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان ابراهيم بن آدم يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ الدساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كرمات به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما أمر به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطأ رأسه وقال اضرب رأسا طما لعصى الله فانجيز الرجل ومضى وقال سهل بن ابراهيم هببت ابراهيم بن آدم فرضت فاتفق علي نفقته فاشتبهت شهوة فباع حماره واتفق غنمه علي فلما تأملت قلت يا ابراهيم ابن الحمار فقال بعناه فقلت فعلام أركب قال يا أخى علي عنق قال فعلمني ثلاث منازل رحمه الله وأنشدوا شعرًا

أيها المرء ان ذنبك بحر * طافح موجه فلا تأمنها
وسيل النجاة فيها ميسر * وهو أخذ الكفاف واتقوت منها

* وبلغني أن بالهند يوم ما يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد بشر من طين لاشيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة من يوم مشه فاذا اجتمع الخلق في مسجد واحد نادى منادى الملك لا يصعدن هذا الحجر فخر هذا المنصب الامن حضري الجمع الاول الذي قد خلا من مائة سنة فرج علباه الشيخ الهرم الذي قد ذهب قوته وعي بصره وفي شابهه وبقي الجوهر ترشح لم يبق منها الا رسمها وقد أخفى الدهر عليها فاصعد ان علي الحجر الذي هنالك يقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير وكان الملك فلا تأمر بصف الجيوش الماضية والامم الخالية وكيف طعنهم البلى وداروا وبحث أطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم سرعة الموت وحسرة القوت فيبكي القوم ويتوبون من المظالم ويكثر المصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلون علي ذلك حقيقة وقال وهب بن منبه محب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستقيم منه شيأ فوجده مشغولاً عنه بذكرا لله تعالى والفكر لا يقترن القلب اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهدي الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع الي ربك أن يهب لك نتاج كل خير قال فكيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء فشبها بالماء المالح يغرو ولا يروى ويضر ولا يقطع وبسحاب العسيف يغرو ولا ينقع وبظل الغمام يغرو ويحسد وبزهر الربيع يضر ثم يصفر فقرأه هنيئا وباحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسلم الذعاف يغرو ويقتل فتذرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت سرفا واحدا فشبها بالقول التي تم لمن أجابها وتزلزل من أعرض عنها فقرأت جدي في المنام وقال يا بني أشهد انك متي وأنا متك هي والله القول التي تم لمن أجابها وتزلزل من أعرض عنها قلت فبأي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذ هاما فلا أرا الخلق الا متعبدا بفعل بدون قول فكان ذلك آخر العهد به قلت وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة أعم من هذه الصفة فقال سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر ينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل

غيت أعجب الكفار بانه ثم يبع قترام مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد
والكفار ههنا الزراع كان الزرع يكون في أول نباته أخضر ناعما اهتزت الارض به بعد يدها
خفات في العيون كامل ما يكون ثم يبع قترام مصفرا أي يكبر ويستوى فيحب ويحترق ويتكسر
أعلاه ويستقل بسنبله ثم يداس فيكون حطاما أي تناسكسرا متقطعا وهذا مثل ضربه الله
لبنى آدم اذ كانوا أطفالا أول الولادة وفي حال الطفولية كاحسن مرأى يعجبون الآباء ويستنون
ذوى الاحلام والنهي ثم يكبرون فيصرون شبوبا منسكة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب
حسنهم ونعمتهم وفي شباهم ورجالهم وذو ثغائرهم وفنارتهم واستولى عليهم الهرم
والشيب ثم يموتون فيصرون حطاما في القبر كالتب في الحريق هذا بعد ما وصفها بخمس صفات
منمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر ونكاث وكان الصدر الاول يسمى الدنيا خنزيرة ولوجودها
اسما أقبح منه لسموها به وكانوا يسمونها أم ذفر والذفر الثني وقال مالك بن انس بلغني أن ملكا
من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زى عظيم فنشرت له الناس ينظرون اليه أنوا جاحتي مر
برجل يعمل شيئا مكا عليه لم يلقه اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك عليه وقال كل الناس
ينظرون الى الأنت فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية ثمان مائة مسكين
فدفن الى جنبه في يوم واحد وكان يعرفها في الدنيا باجسادهم ثم كانوا يعرفها بقبريها ثم نسفت
الريح قبريها وكشفت عنها فما خلطت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين فاذلك أقبلت
على عملي وتركت النظر اليك وروى أن داود عليه السلام يمشي في الجبال اذا وافي على
غار فاذا فيه وجل عظيم انطلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفور فيه أنا رسم
الملك ملكك ألف عام وفكت ألف مدينة وهزمت ألف جيش واقترعت ألف بكر من بنات الملوك
ثم صرت الى ما ترى من هذا القربى والى ما ترى من هذا القربى والى ما ترى من هذا القربى وقال
وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار
سروا بزراع قد أمكن من القرى فقالوا يا بني الله اناجياع فاوحى الله اليه أن ائذن لهم في اقواتهم
فاذن لهم فنزعوا في الزرع يشركون ويأكلون فيمناهم كذلك اذا صاحب الزرع وهو يقول
زرعى وأرضي ورثته عن أبائي يا ذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى
جميع من ملك تلك الارض من ذن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة أو ماشاء الله رجلا أو
امرأة كلهم ينادون زرعى وأرضي ورثته عن أبائي فنزع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى
عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم أعرفك زرعى ومالى لك
حلال فبكي عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمرها ثم
ارتحلوا عنها وأنت من تحمل عنها وبهم لاحق ليس لك أرض ولا مال وقال أبو العاتية

وعظمت أجدان صمت • ونعمت أزمنة خفت

وتكلفت عن أوجه • تبلى وعن صور سبت

وارتلك قبرك في القبو • ورائت حى لم تمت

يا شامنا عني • ان النمة لم غت

ولربما اتقلب السما • تدخل بالقوم الشمت

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجدة بثوبها بكى حتى رقى له ثم قال

اكل اجتماع من خيلين فرقة • وان الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا على كثر • وصاحبها حتى الممات قليل
وان اقتتادي واحد بعد واحد • دليل على أن لا يدوم خليل
وقال

ألا أيها الموت الذي ليس تاركى • أرحنى فقد أنفيت كل خليل
أرا لك بصيرا بالذين أحبهم • كأنك تنحرفوهم بدليل
ولما تنفض يديه من ترابها مثل يقول بعض بني أمية
أقول وقد فاضت دموعي حسرة • أرى الارض تبقى والاخلال يذهب
أخلأى لو غير الحمام أصابكم • عتبت ولكن ماء على الموت معتب
وقال الصنابي قلت للفرقدين والليل ملق • سودا كفافه على الاتفاق
أبقيا ما بقيتا فسيرى • بين شفصيكما يسهم القراق
غرم من ظن أن يفوت المنايا • وعراها قلائد الاعناق
كم صفيين متعابا اجتماع • ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للعقل لكن دوام البقاء للخلاق
وأنشدني بعض الأدباء

أسعداني يا نخلتي حلوان • وارثي أي من رب هذا الزمان
ولعمري لو ذقت حارق القر • قة أبكا كما الذي أبكنا
واعلم ان بقيقا ان نحسا • سوف ياتيكما فتفترقان
ولما سافر الرشيد إلى طوس وعك في طريقه من عر أصابه فقال له الطبيب لا يبريك إلا جوار النخل
وكان زو له غريما من هاتين النخلتين فأمر بقطع جوار أحدى النخلتين فلما مثل بين يديه أنشده
بعض البلهاء هذه الأبيات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتهما أمرت
بقطعهما ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بكونك وقال بعض
الحكام من أصحابه ~~سكان~~ الملك أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أو عظم منه أمس فنظمه
أبو العتاهية فقال

سكني حزبا فذلك ثم أتى • تنفست تراب قبرك من يديا
وكانت من حياتك على عظام • فانت اليوم أو عظمتك حيا
• ووجد مكتوبا على قبر قهر نامن قهرنا فصرنا لناظرين عبرة (وقال عبد الله بن المعتز)
نسبر إلى الأجل في كل ساعة • وأيامنا تطوي وهن مرأحتل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه • اذ ما تحطته الاماني باطل
وما أقبح التعريط في زمن الصبا • فكيف به والتبيب في الرأس شاعل
• ترحل من الدنيا برا من التقي • فحسبك اليك تعد قلائل

ولم يدخل أبو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا قول أخكم ناسخ فاجتمعوا عليه فقال ملأى
أراكم تبنون ما لا تسكنون ونجس معون ما لا تأكلون الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وأملوا
بعيدا وجعلوا كثيرا فاصبح ألمهم غرورا وجعلهم ورا وسلكهم قبورا وروى الخافظ
قال وجدته مكتوبا في حجر ابن آدم لورايت يسير ملق من أجلك لرحمتك في طول ما ترجو من أمك
ولرغبتي في الزيادة من عمك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا عندك لو قد زلت
بك قدمك وأسلمك أهلك وحشيتك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت في
عملك زائد ولا إلى أهلك عائد وقال مالك بن أنس بلغني ان امرأتين أتتا عيسى عليه السلام
فقالا تبارك الله ادع الله لنا ان يخرج لنا أبانا فإنه هلك ونحن غائبتان عنه قال تعرفان قبره
فقالتا نعم فذهب معهما فابا قبرا فقالا هذا هو فدعا الله فأخرج لهما ما إذا هو ليس به فدعا فردتم
دلائله على قبر آخر فدعا أن يخرج فخرج فإذا هو فلزمناه وسلمنا عليه ثم قالتا يا نبي الله يا معلم الخير
ادع الله أن يقيه معنا فقال وكيف أدعوه ولم يبق له رزق يعين به ثم رده وانصرف وانشدني

بعض الأدباء
وأأسى من فراق قوم * هم المصابع والخصون
والمزن والمدن والرواسي * والخير والامن والسكون
لم تغيب بنا الليالي * حتى نوفيهم التون
فكل جسر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

(وروى) ان النعمان بن المنذر خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد فغروا بشجرة فقال عدى بن زيد
أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انه يقول

من رأانا فليحدث نفسه * انه موف على قرب سؤال
وصروف الدهر لا يبقى لها * ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قدنا خوا حولنا * بشرون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدهر بعيش حسن * آمى دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقضوا * وكذلك الدهر حلال بعد حال

قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بقبرة فقال له عدى أيها الملك أتدري ما تقول هذه القبرة قال لا قال
انها تقول
أيها الركب القبرونا * على الأرض الجدون
كأنا نحن ككذابنا * كما نحن نكفوننا

فقال النعمان قد علمت أن الشجرة والقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك اغما أردت تعطيني خبرا الله
عني خبرا السبل الذي تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال في هذه
النجاة قال نعم فترك عبادة الاوثان وتنصر يومئذ وأخذ في العبادة والاجتهاد (وقال) عبد الله بن
المعمر لم يخرجنا من المدينة نهجا فلما كنا بالروينة نزلنا فوق باب رجل عليه ثياب وثة ليس له منظر
وهيئة فقال من يسبح خادما من يسبح ساقيا فقلت ذلك هذه القبرة فأخذها فالتفتي فلم يلبث
الابصر احتي أقبل وقد امتلأت أنوارا طينا فوضعتها كالسرور الضاحك ثم قال لكم غير هذا
قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعدنا كله أكل جائع
فادركتني عليه الرأفة فقممت اليه بطعام طيب كثير فقلت قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع

فدونك هذا الطعام فظفر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي قورة جوع فما بالي باي شيء
رددتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أفرقه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس
ابن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فقفه فاعرفه له أثر ولا وصفه علي خبير
فاجبني قوله ثم اجتمعت به وأنته وقلت له هل لك أن تعاد لني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني
خيرا وقال لو أردت هذا كان لي معدا ثم أنس الى فجعل يحادثني فقال أنا رجل من ولد العباس
كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني أمرت خادما لي أن يحشور فراشالي من
حرير ومخدة يوردني ثمرات واني لسانم اذا شمع وردة قد أغفلته الخادم فقصت اليها فاجتمعنا
ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القسم من المخدة فانا في آت في منامي في صورة قطيعة
فهزني وقال أفق من غشيتك أبسر من حبرتك ثم أنشأ يقول

ياخذ انك ان توسد لنا • وسدت بعد الموت صم الجندل
فأهد لك نفسك صالما تسعديه • فلتدمن غدا اذا لم تفعل

فانتهت فزعنا فخرج من ساعتى هاربا الى ربي (وقال) عبد الواحد بن زيد كرتي أن في جوانب
الابل جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم أرلأ طلبها حتى وجدتني في خرابة جالسة على حجر وعليها
جبة صوف وهي محلوقة الرأس فلما نظرت الى قالت من غير أن أكلمها هي حبيبك يا عبد الواحد
فقلت لها ربح الله بك وعجبت من معرفتي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا
فقلت جئت لتهفني فقالت والعجب لواء عظم وعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم أن العبد اذا كان
في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فبطل حيرانا والهافان كان له نصيب عند الله
عائبه وحيا في سره فقال عبيد أردت أن أرفع قدرك عند ملائكتي ووجه عرشي واجعلك
... لالا ولياتي وأهل طاعتي في أرضي قلت الى عرض من أعراض الدنيا وتركتني فورتك
بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والقترب بعد الغنى عبيد ارجع الى ما كنت
عليه ارجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتني وولت عني وانصرف عنها وبقلي حسرة
منها وأنشدوا

انك في دارها مدة • يقبل فيم اعمل العامل
أما ترى الموت محيطا • يقطع فيها أمل الآمل
تهمل الذنب بما تشتهي • وتامل التوبة من قابل
والموت يأتي بعدد اغفلة • ماذا يفعل الماظم العاقل

• ولم ينزل سعد بن ابي وقاص الحيرة قبل له ههنا عجز من بنات الملوكة يقال لها الحرقه بنت
النعمان بن المنذر وكانت من اجل قبائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها ألف
قطيعة حرير وديبايح ومعها ألف وصيف ووصيفة فارسل اليها سهرا فجات كالنسن البالي
فقال يا سعد كالمولك هذا المصرتك يحمل البناء راجه مويطينا اهلا لمنه من المدد
حتى صاح بأصانح الدهر فشت شملنا والدرزدنواب وصورف فلورا تنافي أيامنا لا رعدت
فرا نصل نزعنا فقال لها سعد ما أنعم ما تنعم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا
دعونا ثم انشأت تقول

ويثابسون الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوفة ليس تصف
فتيا لدينا لا يدوم بعينها * قلب تارات بنا وتصرف
ثم قالت يا سعد انه لم يكن أهل بيت خير الا والدهر يعتبهم غيره حتى يأتي أمر الله على الثريين
فاكرمها سعد وأمر بردها فلما أرادت القيام قالت يا سعد لا أزال الله عنك نعمة ولا جعل لك
الى التيم حاجة ولا أزال عن كريم نعمة ولا أزال عن عبد صالح نعمة الا جعلك الله سيلا الى
رذها عليه ولبعضهم

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبور مسكنه والبعث خزجه
وأه بين جنات ستهجسه * يوم القيامة أو نار تستعصبه
فكل شيء سوى التقوى به عيجه * وما أقام عليه منه أسججه
تري الذي اتخذ الدنيا لهوطنا * لم يدرك أن المنايا سوف تزججه

(وروي) ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له سيجان فاصابها الجوع وقد انتهيا الى
قرية فقال عيسى لصاحبها اطلق فاطلب لنا طعما من هذه القرية وقام عيسى يعلى فجاء الرجل
بثلاثة أرغفة فابطأ عليه انصراف عيسى فاكل رغيفاً فانصرف عيسى فقال أين الرغيف
الثالث فقال ما كانا الا لرغيفين قال فقرأ على وجوههما حتى مرابطاً ترى فدعا عيسى عليه
السلام فليبا منها فذكاه فاكلامه ثم قال عيسى عليه السلام للظبي قم باذن الله فاذا هو بشتد
فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي اراد هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا
اثنين قال فضا على وجوههما فقرأ بغير عجاج عظيم فاخذ عيسى عليه السلام يده فثنى به على
الماء حتى جاوز الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراد هذه
الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب
منها ابن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عليه السلام أجل هذا مال واحد على
واحد ذلك وواحد لصاحب الرغيف فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك
كلها ففارقا فقام عليهما ليس معهما ما يحملها عليه فزبه ثلاثة فقرقتاوه وأخذوا اللبن فقال اثنان
منهم لواحد اطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين تعال فقتل هذا اذا جاع ونفسم
هذا يعني قال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام جعل في الطعام سمما فاقتلها وأخذ
اللبن ففعل فلما جاء قتلاه واكلام الطعام الذي جاء به فماتاً فزبه سم عيسى عليه السلام وهم
حولها منصرفين فقال هكذا فعل الدنيا باهاها (وقال عبد الملك) بن عمر رأيت في هذا القصر
عجباراً رأيت رأس الحسين على فوبين مصبوعين بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي
العترة ثم رأيت رأس المختار بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدي
عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما زحف الرشيد مجالسه وتجرم فيما وزقوها وضع
فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابني العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

يحيى ما بدالك سالما * في نيل شاهقة القصور

بسي عليك بما اشتيت لدى الرواح وفي البكور

واذا النفوس تنقصت * في ضيق مشرحة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى هرون فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأمرته فقال هرون دعه فإنه
رأى في ضلالة وجهي فكره أن يزيدنا عني (ويروي) أن سليمان بن عبد الملك أبس أخو ثيابه ومس
أطيب طيبه ونظر في مرآته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب ونخرج الى الجمعة وقال
بجاريته كيف ترين فقالت

أنت أم المتاع لو كنت تبقي * غير أن لابقاء للانسان

ليس في باد النامك عجب * عاب الناس غير أنك فاني

فأعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحجي فلم يزل صوته
يتقص حتى ما سمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجلاه فلما صار على فراشه قال
للجارية ما الذي قلت لي في هذا الدار قالت ما رأيته ولا قلت شيئا وأنى لي بالخروج الى هذا
الدار فقال أنا لله وأنا لله واجعون نعت الى نفسي ثم عهد عهده وأوصى وصيته فلم تدروا عابه
الجمعة الاخرى الا وهو في قبره (ووجد) مكتوبا على قصره من بني بني

من كان لا يطأ التراب برجله * وطئ التراب بناعم الخلد

من كان ينيل في التراب وبينه * شبر ان كان بغاية البعد

لوهبت للناس أطباق الثرى * لم يعرف المولى من العبد

(وقال الهيثم بن عدي) وجدوا غارا في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى
على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية أنا سبأ بن فواس بن سبأ
خدمت عيسى بن ابراهيم خليل الرب الديان الملك الاعظم وعشت بعده عمرا
طويلا ورأيت بهجا كبيرا ولم أرفيما رأيت أحجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع
آبائه ويقف على قبر آبائه ويعلم انه صار اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجساد لا تحيا
سنة ولو في سريري ويقولونه وذلك حين يتغير الزمان وتناثر الصبيان ويكثر الخلدان
فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروي) ان الاسكندر مر بمدينة قدم ملكها
أملاك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد قالوا رجل
يكون في المقابر فدعاه وقال له ما دعاك الى زوم المقابر قال أردت أن أعزل عظام الملوك من
عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك أن تتبعني فأجبي بك شرف آباءك ان كانت لك
همة قال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتي قال حياة لا موت فيها وشباب
لا هرم فيه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يعتريه مكروه قال ما أقدر على هذا قال فانفذ
لشأنك وخلقى أطلب بغيتي بمن هي منه فقال الاسكندر هذا احكم من رأيت (ويروي)
في الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام بينما هو في بعض سياحته اذ مر بجعبة مخوفة
فأمرها أن تتكلم فقالت باروح الله أنا لوام بن حفص لك العين عشت ألف سنة ووالدك
ألف ذكر واقفة أنت بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار واقتضت ألف مدينة
فمن رأني فلا يغتر بالنياس كما تغترني فما كانت الا كلم نائم فبكى عيسى عليه السلام (ووجد)
مكتوبا على قصر بعض الملوك وقد باد أهله وأقرب ساكنه

هذي منازل أقوام عهدهم * يوفون بالعهد مذ كانوا بالذم
تبكى عليهم ديار كان بطريها • ترنم المجد بين الحلم والكرم
(وقال) عبدا لله بن أبي فوح نزل حتى من العرب شعبان شعباب اليمن فتشاحنوا فيه واختلقوا
واستعدوا للقتال فاذا صائح يصيح ياهؤلاء على رسلكم سلام القتال في قوائله لقد ملكني
سبعون أهورا كلهم اسمه عمرو

• (فصل) • أيم الرجل اعتبر عن مضى من الملوك والاقبال وخلا من الامم والاجيال
وكيف بطلت لهم الدنيا وانست لهم الآجال وانفصح لهم في المني والآمال وأمدوا بالآلات
والهدد والاموال كيف طعنهم بكل كلمة المنون واخذهم بزخرفه الدهر الخون وأسكنوا
بعسمة القصور بين الجنادل والصور وعاد العين أثر والمث خبرا فاما اليوم فقد ذهب
صفوا الزمان وبقي كدره فالمرت اليوم تحفة لكل مسلم كأن الخبر أصبح خاملا والشر أصبح
ناظرا وكان الغي أصبح ضاحكا والشديد يكا وكان العدل أصبح غائرا وأصبح الجور
عاليا وكان العقل أصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللوم أصبح باسقا والكرم
خائبا وكان الود أصبح مقطوعا والبغضاء موصولة وكان الكرامة قد سلبت من الصالحين
وتوخيهم الاشرار وكان الخب أصبح مستيقظا والوفاء نائما وكان الكذب أصبح متفرا
والصدق ماحلا وكان الاشرار أصبحوا يسامون السماء وأصبح الاخيار يردون بطن
الارض أما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب ونصل وصال الملوك وتفارق
فراق العجول فخيرها يسير وعينها قصير واقبالها خديعة وادبارها جعيمة ولذا انها غانية
ونبعات باقية فاعنم غفوة الزمان موانئز في فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك وترود
من يومك لغدك ولا تنافس أهل الدنيا في خفض عيشتهم ولين رياشتهم ولكن انظر الى سرعة
ظعنهم وسوم من ظلمهم قال الشاعر

رب مغرور بعاش به • عدمه عين مغترسه
وكذلك الدهر ما تبعه • أقرب الاشياء من عرسه

وقد قال النابغة

تنافس في الدنيا غرورا وانما • قصارى غناها أن تؤل الى الفقر
وانالى الدنيا كركب سفينة • تظن وقوقا والزمان بها يجري

ولبعض الشعراء

روح لك الدنيا بغير الذي غدت • وتحدث من بعد الامور امور
وتجسرى الميالى باجتماع وفرقة • وتطلع فيها أن نجيم وتغور
فمن ظن بأن الدهر باق سروره • فذلك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن صراهم واحدا • وأيقن ان الدوائر تدور

(وقال وهب بن منبه) قرأت في كتب بعض الانبياء عليهم السلام أن المسيح اجتاز بجيعة هائلة
عظيمة شجرة فقال له اصحابه يارب الله لو سألت الله تعالى أن يستنطق هذه الجيعة ففسي تخبرنا
بما رآته من العجائب ففعل فانطق الله تعالى فقالت يارب الله اني عشت ألف سنة

واستولدت ألف ذكر واقتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وقتلت ألف جبار وصحبت
الدهر واختبرته وامتنعت قلبه وانقلبه فلم أرشماً أشد من طالع بلى أمر صالح ولم أجده
لهذا الدهر شيئاً أقنع من الصبر ومساومة أهله ولم أر هلاكاً أهله إلا في الحرص والطمع
ووجدت العز في الرضا بالقسم (وقال محمد) بن أبي العتاهية أخبرني قاله أبي في مرضه الذي
توفي فيه رحمه الله

الهي لا تعدني فاني * مقدر بالي قد كان مني
فما لي حيلة إلا رجاى * وعقولنا عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في البرايا * وأنت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في قدحي عليها * عنضت أنامل وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي ميقات عظيم * أني قد دعيت له كافي
ولو أني صدقت الله فيها * قلبت لأهلها ظهرا والجنت

(وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف قس بن
ساعدة قالوا كنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست أنباء بكاظ علي جل احمر وهو يطلب
الناس ويقول ايهما الناس اجتمعوا فإذا اجتمعوا فاسمعوا فإذا اجتمعوا فاعلموا فإذا
فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو أن آت في السماء ظبرا وان
في الأرض لبئرا مهاده موضع وسقف مرفوع ونجوم دور وبحر لا يغور أقسم قس قسم
حق لا كذب فيه ولا ثم لئن كان في الأرض رضا لعلوني تحطأ أن الله دينها هو أحب
اليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام
فقاموا وتركوا على حالهم فقاموا ثم قال ايكم روى شعره فأنشدوه

في إذا هب من الأتربة * وليس من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها * تمنح الأصغر والأكابر
لأرجع الماضي اليك ولا من الباقي غابر
سكنوا البيوت فوطنوا * أن البيوت هي المقابر
أيقنت أني لا محبا * له حيث صار القوم صائر

ثم قال الرجل لقد رأيت منه عجبا اقتضت واديا فإذا أتاه بن جارية ووروضة قد هامة ونخبة
عادية وإذا به من ساعدة فاعد في أصل الشجرة ويسده قضيب وقد ورد على العين سبلع
كثير فكلما ورد سبلع على صاحبه نثر به بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي يورد قبلك فلما
رأيت ذلك دعرت ذعرا شديدا فالتفت الي وقال لا تنح فالتفت فإذا به من ينهض من مسجد
فقلت ما هذا القبران قال هما قبرا أخوي كأنما بعد ان الله تعالى معي في هذا الموضع وأنا
أعبد الله بينهما حتى ألحق بهما فقلت له ألا تلحق بقومك فتكون في جبرتهم فقال لي ذلك لك
أملك أو ما علمت ان ولدا سمعيل ترك دين ابيه واتبع الاصنام وعظمت التداد ثم تركني

وأقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طالما قد رقدتما * أجذ كما ماتتضيان كرا كما
أرى النور بين الجلد والعظم منكما * كأن الذي يسقى العقارسما كما
ألم تعلم أني بسمعان مفرد * ومالي فيه من خليل سوا كما
مقيم على قبريكما است نازما * طوال الليالي أويجيب صدا كما
أبكبكما طول الحياة وما الذي * يرد على ذي غصة أن بكما كما
كأنكما والموت أقرب غاية * بروحي في قبريكما قد أنما كما
سلام وتسليم وروح ورحمة * ومغفرة المولى على ساكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجئت بنفسي أن تكون فدا كما
وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن قس بن ساعدة يبعث أمة وحده يعني أن
كل أمة آمنت بنبيم تبعث أمة وحدها لا يحاطها غيرها ويعتقس أيضا وحده أمة ليس معه
أحد (ويروى) أن المهدي نام يوما فأنشد في نومه هذه الآيات
كأنني بهذا القصر قد بادأهله * وأوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه * ينادي بطل معولات نواكه
فأثمت عليه عشرة عشرة - حتى مات (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة
هذه الآيات

باقه ربك كم قصر ممرت به * قد كان يصغر بالذات والطرب
طارق عقاب المنايا في جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب
وأنشدني أيضا

أيها الرافع البناء رويدا * لن تذود المنون عنك المباني
ان هذا البناء يبقى وبقي * كل شيء ابني من الانسان
(وقال الحكم بن عمرو) قال أبو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم أني ارتكبت
الامور العظام براءة مني عليك فأنك تعلم أني قد أظعنك في أحب الاشياء اليك شهادة أن لا اله
الا الله منام منك لا مناع عليك * وكان سبب احرامه من الحضراء أنه كان يوما نائما فأتاه
آت في منامه فقال

كأنني بهذا القصر قد بادأهله * وأوحش منه أدله ومنازله
وصار عييد القصر من بعدهمجة * الى تربة تسقى عليه جنادله
فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأنشد

أبجع فرحات وفانك واقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
فهل كلهن أعدته ومنجم * أباجع فرعنك المنية دافع
فقال يارب اربيع اتني بطهري فقام واغتسل ولبي وتجهز للرحيم ثم قال يارب اربيع القسي في حرم الله
نعالى (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني بالبصرة
ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون

زَمَّ الامور فاعطته مقادتها * وحضر الناس بالتشديد واللين
حق اذ اظن أن لاشئ غالبه * ومكنت قدما أي متمكين
راحت عليه المتأبروحة تركت * ذا الملك والعزمت الماء والطين

وأشدني أبو محمد التميمي بغداد

لن أبى لن أسم المطايا * لن استأنف الشئ الجديدا
إذا ما صار اخواني رقانا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا
أعين معشرا لهم شكول * وأشكلى قد اعتنقوا العودا

(ومن زهد في الدنيا) وأبصر عيوبهم من أبناء الملوك أبو عقاب علوان بن الحسن من بني الاغلب
وهم ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله قنوة ظاهرة قناب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا
فارق نظرا من فرفض المال والاهل وهجر البناء والوطن وبلغ من العباداة مبلغا أربى فيه على
المجتهدين وعرف بابا به الدعوة وكان عالما أدبيا قد صعب عدة من أصحابه صحتون وسمع
منهم ثم انتفع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى أيا هرون الاندلسي منقطعاً مبتلا الى الله
تعالى فلم ير منه كبرا اجتهد في العمل فبينما أبو عقاب يتجهد في بعض البالي وأبو هرون نائم
اذ غلبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينال الدليل كله وأنا أسهر الدليل كله
فلما أرحت نفسي فوضعت جنبه فرأى في منامه شخصا قتل عليه أم حسب الذين اجترحوا
السبائات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية فاستمع فزعا وعلم أنه
المراد فأيقظ أيا هرون وقال له سألتك بالله هل أنت كبيرة قطعاً لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن
تعمد والمجده فقال أبو عقاب لهذا انتم أنت ولا يصلح مثلي الا الكد والاجتهاد ثم دخل الى مكة
ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وأربى على عباد المشرق وكان يعمل بالقربية على ظهره بقوة
ومات بمكة وهو ساجد في صلاة القرية بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له
رجل كان يصعبه يومى البك حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان للشهوة
أخبرني بها قال نعم أنتهى أن أكل رأسا قال فاشتريت له رأسين ولقنتهما في رفاق وجنتهما
ثم سأله بعد أيام هل طاب لك الرأسان قال لا ما هو الا أن تقه ما فاذا هما محشوران ودوا ليس
فيهما البتة لحلم الا الدود فأتيت الرأس فآخبرته فأطرق متعجباً ثم قال ما ظننت أن في زماننا أحدا
يحمى عن الحرام هذه الحماية تلك الرأس كانت من غم اتهم بها بعض العمال ثم أعطاني رأسين
من غير تلك الغم فأتيت بهما فأعقل فأكلهما فآخبرته بما قال الرأس فبكي ثم قال يا رب
ما كان يستحق عبيدك أبو عقاب مثل هذه الحماية ولكنه يا رب فضلك وكرمك فلك على يا رب
أن لا أكل طعاما شهوة أنتهى بحق ألقاك ان شاء الله تعالى وكانت له أخت متعبدة فلما ماتت
لحقته قبره بمكة وبكت عليه وكتبت عليه هذه الايات

ليت شعري ما الذى عابته * بعددوم الصوم مع نفي الوثن
مع عزوف النفس عن أوطارها * والتخلي عن حبيب وسكن
بالتحقين ليس في وجدى به * علة تمنعني أن أجني
وكما تبلى وجوه في القرى * فكذا يبلى طين الحزن

(وروى) ان رجلين تنازعا في ارض فانطق الله لينة من جدار تلك الارض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم وصرت رعيما ألف سنة فاحذني خراف واتخذني شرفا ثم أخذني وضربني لبنا وأنا في هذا الجدار وكذا وكذا سنة فلم تتنازعا في هذه الارض (ومن اعجب) ما روى في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك تزهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها فقصدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها أثر وكان هناك دير للمتعبدين فلقق بهم شاب يتعبد فابصر وامنه من الاجتهاد الجدي في العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال فاقا به جميع من في الدير واتهام على ذلك ما شاء الله تعالى الى ان انقضت ايامه ووافاه حمامه فقضى الفتى تحبه فخر له اهل الدير من الزهاد والعباد والمنتهيين وأذروا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله واذا هو امرأة فقصورا عن امره واذا هي بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاورا في امره ماذا يجدون له من الكرامة ثم اجعوا امرهم ان لا يذنبوها تحت الثرى وان يحملوها فوق اكنفهم فحملوها وكفوها وجه زوجها وصلوا عليها ثم اقبلوا يحملونها على الاكف والسواعد كلها فخير واحد جاء واحد يحمل مع من يحمل وكل من انقطع في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بليت وقطعت وصلها مع طول الزمان فدفنت حينئذ رجة الله عليها (وكان) في بلاد الروم عماري ارض الاندلس رجل نصراني قد بلغ في التحلي من الدنيا مبالغا عظيما واعتزل الخلق والتزم قلال الجبال والسباحة في الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامر فآثره ابن هود ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن أمواله وما حوته من البيضاء والحمر والجمال والياقوت والجوهر وامثالها وفتايس الاعلاق والجواري والحشم والاجناد والكرام والسلاح فاقاموا في ذلك اياما فلما انقضت قال له كيف رايت ملكي قال قد رايت ملكا ولكنه يعوزك فيه خصلة ان انت قدرت عليها ففيتها نظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك لاني قال وما تلك الخصلة قال نعم قد صنعت عطاء عظيما صنيقاويا وتكون صاحبة قدر البلد ثم تنكبه على البلاد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله أو يقدر البشر على هذا فقال العلي يا هذا انفق بامر تترك غدا ومثال من يفتر بما يفترى كن يفتر بما يرام في النوم (ويروى) ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظر اامن عاب منه شيئا فاصلحوه وأعطوه درهمين تأمرا رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال عوت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) اخبارنا الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن اعجب شيء رايت في الدنيا في طول سباحتك وكثرة خلواتك وقطعك القنار والثلج قال اعجب ما رايت في الدنيا اني مررت على مدينة لم ار على وجه الارض احسن منها فسألت بعضهم في بيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يدرك آياؤنا ولا اجدادنا في بيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحو من خمسين سنة عام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خلوية على عروشها ولم ارا أحدا أسأله واذا اوعاء غنم قد نوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا قالوا سبحان الله ما يدرك آياؤنا ولا اجدادنا انه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها نحو من خمسين سنة عام ثم انتهت اليها فاذا موضع تلك المدينة ببحر واذا غراصون

يخرجون منه شبه الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا الجرح ههنا فقال سبحان الله ما يركب آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا الجرح من ذبعت الله الطوفان ثم غبت عنها نحو امان خمسمائة عام ثم انتهت اليها واذا ذلك الجرح قد غاض ماؤه واذا مكانه غيصة ملتصقة بالقصب والبردى والسياع واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق مغارة فقلت لبعضهم أين الجرح الذي كان ههنا فقال سبحان الله ما يركب آباؤنا ولا أجدادنا انه ههنا قاطع البحر فغبت عنها نحو امان خمسمائة عام ثم أتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حله الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيصة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يركب احد الا ان هذه المدينة على حالها من ذبعت الله الطوفان فغبت عنها نحو امان خمسمائة عام ثم انتهت اليها فاذا عليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر احدا أسأله ثم رأيت راعيا فأسأله أين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يركب آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا العجب شئ رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقتت بها أسائل مخبرا * عن اهلها او ناطقا او مشفعا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعرز الملتقى

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الايات قول القائل .

رب ورفاهتوني بالفضي * ذات شعوب صدحت في فنن
ذكرت إلقا ودهرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزني
فكأنني ربما أرتقا * وبكاها ربما أرتقي
فاذا تسعدني أسعدها * واذا اسعدها تسعدني
ولقد تشكروا ففهمها * ولقد اشكروا ففهمني
غير أنني بالجوى أعرفها * وهي ايضا بالجوى تعرفني

(ونظر) رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيد وأتقنه وزوقه فقال باب حديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد (ولما نزل) عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوي يده ثوبا فقال وددت اني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكسبه يوما فبما في ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يمتنون عند الموت ما تخن فيه ولا تنقئ عند ما هم فيه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن علم لا تشبع وقاب لا يشبع وعين لا تدمع هل يتوقع أحدكم من الدنيا الا غنى مطلقا أو فقر مطلقا او مرضا مقبدا أو هروما مقبدا أو دجالا والدجال شر غائب يقنطر أو الساعة والساعة أدهى وأمر (وقال) عيسى عليه السلام اوصي الله الى الدين ان من خدمني فاخدمه ومن خدمك فاستخدمه يا دنيا تمرى على اوليائي ولا تملو لي لهم فتقتلهم (وقال) مروق العجلى يا ابن آدم في كل يوم يوتى برزقك وتحزن ويقتصر عملك وانت لا تحزن تطلب ما يطغبك وعندك ما يكفبك لا بهليل تنفع

ولا يكثير تنسبع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ بيته ايها الناس ان الايام تطوى
والاعمار تقضى والابدان في الترى تبلى وان الليل والنهار يترا كضن تراص كض البرد
يقتربان كل بعد ويخلفان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في
الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما زداد صاحبه شربا زداد
عطشا وكالكاس من العسل في اسفله السم للذائق منه حلاوة عاجلة وله في اسفله الموت
الذعاف وكالاحلام للناثم التي تنرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبوق الذي
يفضي قلبه لا يذهب وشيكا ويقي رائسه في الظلام متيما وكدودة الابر يسم التي لا يرداد
الابر يسم على نفسها الفا لا زادت من الخروح بعدها (وفيه قال القائل)

كدود كدود التري ينسج دائما * ويهلك غما وسطا ما هو نا صبه

ومثال من يستهمل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الاخرة مثل رجلين لقطا من الارض حبي
عنب فاما احدهما فجعل يحص الحبة التذاذ اياها ثم يلعها واما الاخر فزرع الحبة فلما كان
بعد زمان التقيا فاما الذي زرع الحبة وجدها قد صارت كرماء وكثرت غمره وفكر الاخر
في صنعه في الحبة فوجدها قد صارت عذرة وليس عنده منها شيء الا الحسرة على تقريطه
والخبطة لصاحبه (وقال) وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى نبي من انبياء بني اسرائيل
ان اُردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدا مهموما وحشيا
بمنزلة الطير الوحدا في التي يظل في الارض الثلاثة ويا كل من رؤس النخيل ويشرب من
ماء العيون فاذا كان الليل اوى وحده ولم يجمع الطير استنسا بر به (وابعضهم)

كم للعواد من حروف عجايب * ونواب مرصولة بنوائب

ولقد تقطع من شبائك وانقضى * مالت أعماله اليك يا ب

تمضي من الدنيا الكثير وانما * يكفك منها مثل زاد الراكب

(وقال مالك بن أنس) بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجنت
أنهارها وتسعت شجرها فنادى يا خراب ابر اهلك فلم يجبه أحد ثم نادى يا خراب أين أهلاتك
فلم يجبه أحد فنودي عيسى بن مريم بادوا وتضمنتم الارض وعادت أعمالهم قلاء في
أعناقهم الى يوم القيامة فبكى عيسى عليه السلام (قال مالك) سئلت امرأ من بقية قوم
عادي قال لها هزمية أي عذاب الله رأيت اشد قال كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته على
لبنة لا ربح فيها واقد رأيت السمير تحملهما الريح بين السماء والارض (وقال) مجاهد كان
طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان لبيكي من خشية الله تعالى ما لو كان القمار على عينيه
لا خرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه (ومر) بعض الملوك بسقراط الحكيم
وهو ناثم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك ما تعرفني
قال لا ولكن ارى فيك طبع الدواب فهي تركض بارجلها فغضب وقال ان تقول لي هذا وانت
عبيدي فقال له سقراط بل أنت عبد عبيدي قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قديما كنتك
وأنا ملكك الشهوات فقال أما الملك بن الاملاك السادة أمهات من البلاد كذا ومن الاموال
والرجال كذا قال اراك تفخر على بلبسك وانما سميتك أن تفخر على بنفسك

ولكن تعال فخلع ثيابنا ولبس جميعاً ثوباً من ماء في هذا النهر وتكلم اذ يتبين القاضل من
 الفضول فانصرف الملك خجلاً وها أنا أكلي لك أمراً أصابني طبعي عقلى ولبلى حرمي
 وقطع يدا قلبي فلا يزال امرأة لي حتى يواريني التراب وذلك أني كنت يوماً بالعراق وأنا
 أشرب ماء فقال لي صاحب لي وكان هه عقل يا فلان لعل هذا الكوز الذي تشرب فيه الماء
 قد كان انساناً يوماً من الدهر فأت فصار تراباً فاتفق للفتاوى أن أخذ تراب القبر وشربه
 خرفاً وشواء بالنار فانتظم كوزاً كثرى وصار آية يمتن ويستخدم بعد أن كان بشراً سوياً
 يأكل ويشرب وينعم ويلذو بطرب فاذا الذي قاله من الجائزات فان الانسان اذا مات عاد
 تراباً كما كان في النشأة الاولى ثم قد يتفق أن يحفر لده ويحفر بالماء ترابه فيحفر منه آية
 فتعفن في السيوت أو لينة تعفن في الجدار أو طين به سطح البيت أو يفرش في البلد فيوطأ
 بالاقدم أو يجعل طيناً على الجدار وقد يجوز أن يفرس عند قبره شجرة فيسحق تراب
 الانسان شجرة وورقا وغرقة تسمى البهائم أو راقها ويأكل الانسان عمرها فينبت منها لحمه
 وينشمر منها عظمه أو تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فينبما كان يقات صار قوتاً وينما
 كان يأكل صار مأكولاً ثم يعود في بطن الانسان رجيعاً فيقذف في بيت الرحاضة أو يعرا
 ينبذ بالعراء ويجوز اذا حفر قبره ان تسمى الرياح ترابه فتتفرق اجزأؤه في بطون الاودية والتلول
 والوهاد أليس في هذا ما اذهل العقول وطيش الخلووم وضع اللذات وهان عنده مفارقة
 الاهلين والمال والحق بقتل الجبال والانس بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا
 ما صغر الدنيا وما فيها أليس في هذا ما حقر الملك عنده من عظمه والمال عنده من جمعه أليس
 في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا يستكمل
 ومن متغرد اوليس من أجله انكم لو ابصرتم الاجل وسيره لا تبغضتم الامل وغروره (ولما)
 بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك الاندلس قصره وأنفق فيه يوت الاموال جاء على
 أكمل بستان في الارض وكان من عجائبه أن صنع فيه بركة ماء كلها بحجرة وبني في وسطها
 قبة وساق الماء من تحت الارض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون
 وكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالها محيطاً بها متصل بعنقه يعرض فكانت القبة
 في غلالة من ماء سكب لا يفتقر والمأمون فاعدها ففروى عنه أنه بينما هو قائم اذ سمع منشداً يفسد
 هذين البيتين

أنتى بناء الخلد من وانما * بقاروك فيها الوعظ قليل

لقد كان في ظل الاراك كناية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيراً حتى قضى نحبه (ووجد) كنبوا على قصر قد بادأه وأقمرت منازل

هذه منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فاقبلوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للديناصي نفسك لماعدت هذا البيت

ومن يأمن الدنيا يمكن مثل قابض * على الماء خاتمه فزوج الاصابيح

(وروى) أن الخجاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بقى من الدنيا أشبه مما مضى من الماء

ولوأعطيت ماضى من الدنيا بعد امتى هذه ما قبلته فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره
الموت قال لاحدهم قد كنت لى خليلاً مكرماً مؤثراً وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى
فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبني عليك لا أستطيع أن أنفس كربك ولكن هذا ما بين
يديك فخذ مني زاداً يتفق ثم يقول للثاني قد كنت عندى أثر الثلاثة وقد نزل بي من أمر الله
تعالى ما ترى فما عندك قال هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك ولكن
سأقوم عليك في مرضك فادامت أتفتت غمك وجوأت كسوتك وسرت جسدك وعورتك
وقال للثالث قد نزل بي من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة على فماذا عندك قال الى
فريقك وحليفك في الدنيا والاخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج منه
ولأفارقك أبداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني أهله والثالث عمله (ولما)
لقى يعقوب بن مهران الحسن البصرى قال له قد كنت أحب أقامك فعظمي فقراً الحسن أفرأيت
ان متعناهم سنين ثم يباهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون فقال عليك السلام
أباهم يدفعه وعظمت أحسن موعظة واجبها كل العجب للمكذب بالثألة الاخرى وهو يرى
الاولى واجبها كل العجب للثالث في قدرة الله تعالى وهو يرى خلفه واجبها كل العجب للمكذب
بالنشور وهو يموت في كل يوم وإيسله ويحبها واجبها كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو
يسمى دار القرور واجبها كل العجب للخصم للتمحور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو
بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروى) ان الله تعالى أوحى الى آدم عليه السلام بجماع الخير كله في
أربع واحدة في واحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فأما
التي فتعبدني لا تشركني بشياً وأما التي لك فاعمل ما شئت فاني أجزيك به وأما التي بيني
وبينك فمالك الدعاء وعلى الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب أن يكونوا لك
(وقال) سليمان بن داود عليهما السلام أوتينا ما أوتي الناس وما لم يوتوا وعلمنا ما علم الناس وما لم
يعلموا فلم نجد شيئاً أفضل من خشية الله تعالى في القريب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب
والقصد في الغنى والفقر (وكتب) معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتب لي كتاباً توصيني
فيه ولا تتكفري علي فكتبت اليه سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اتى الناس بضا الناس بخط الله وكلمه الله الى الناس والسلام (ولما) ضرب ابن ملجم
عليما رضي الله عنه دخل منزله فاعتزته غشية ثم أفاق ودعا الحسن والحسين رضي الله عنهما
(فقال) أوصيكم بتقوى الله والرياسة في الآخرة والزهد في الدنيا ولأننا ساعى شئ فآذ كما
منه اعملاً الخير وكونوا للظالم خصماً والمظلوم عوناً ثم دعا محمداً وقال له أما سمعت
ما أوصيت به أخويك فقال بلى قال فاني أوصيكم به وعليكم ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة
فضلهما ولا تقطع أمرادوتهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكم به خيراً فانه أخوكا وابن أيبك
وأنتما تعلمان ان أباكما كان يحبه فأحباه ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في القريب والشهادة
وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والهدو والعمل
في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شرب بعد الجنة بشر ولا خير بعده

النار بغير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية . يابني من أبصر عيب نفسه
شغل عن عيب غيره . ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته . ومن سل سيف البغي قتل به ومن
حفر لآخيه بئر أو وقع فيها . ومن هلك بحجاب أخيه . انكسرت عورات بفيه . ومن نسي خطيئته
استعظم خطيئته غيره . ومن أعجب برأيه ضل . ومن استغنى به قله ذل . ومن تكبر على الناس ذل
ومن خالط الأعداء احتقر . ومن جالس العلماء وقر . ومن يحب صاحب السوء لا يسلم . ومن
يحب صاحباً صالحاً يغتم . ومن دخل مداخيل السوء اتهم . ومن لا يملك نفسه يندم . ومن مزح
استخف به . ومن أكثر من شيء عرف به . ومن كثر كلامه كثر خطؤه . ومن كثر خطؤه قل حياته .
ومن قل حياته قل ورعه . ومن قل ورعه مات قلبه . ومن مات قلبه دخل النار . يابني الأدب خير
ميراث . وحسن الخلق خير قرين . يابني العافية عشرة أجزاء . تسعة منها في الصمت . الا عن ذكر
الله تعالى . والواحدة في ترك مجامسة السفهاء . يابني لا شرف أعلى من الاسلام . ولا كرم أعلى
من التقوى . ولا معقل أحرز من الورع . ولا شفيع أنفع من التوبة . ولا لباس أجمل من
العافية . الحرص مفتاح التعب . ومطية النصب التدبير . قبل العمل يؤمنك من الندم . ينس
الزاد للمعاد . العدو ان على العباد . فطوبى لمن أخلف الله عاه . وعمله وحبه وبغضه
وأخذه وتركه . وكلامه وصمته . وقوله وفعله . (وروي) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه
لما طعن دعا بلبن فشر به فخرج من طمته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يننون عليه فقال
وددت أن أخرج منها ككفافا . كما دخلت فيها لو أن لي اليوم ما طلع عليه الشمس . وغربت
لاقتديت به من هول المطاع . (قال) ابن عمر . ولما حضرت الوفاة عمر غشي عليه فآخذت رأسه
فوضعت يدي على عنقه . فقال ضع رأسي بالأرض لعل الله يرحمني . فمسح خدي به بالتراب . وقال ويل لعمر
ويل لأمه . ان لم يغفر له فقلت وهل تخفي والأرض الاسواميا . أبناء فقال ضع رأسي بالأرض
لأأم لك . كما أمرك . فاذا قضيت فأمر عروابي في حفرتي وانما هو خير . فقدموني اليه . وأمر نضعونه
عن رقابكم ثم بكى فقبل له ما يبكيك . قال خبر السماء لا أدري الى الجنة ينطلق بي أو الى نار . (ولما)
حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انك أمرتني فقصرت . ونهيتني فصيت . وأنعمت
علي فأفطلت . فان عفوت فقدمت . وان عاقبت فما ظلت . ألا اني أشهد أن لا اله الا الله وحده .
لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله . ثم قضى رحمه الله . (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظر الى أهله ليكون حوله فقال جادلكم هشام بالدين . وجدتم له بالكا . وترك لكم ما جمع
وتركتم عليه ما جعل . ما أعظم منقلب هشام . ان لم يغفر الله له . (واخل) على المأمون في مرضه
الذي مات فيه . فاذا هو قد أمر أن يقرش له جبل الدابة ويسط عليه الرماد وهو راقد عليه
يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه . (وروي) أن أبا بكر الصديق رضي الله
عنه مر على طائر واقع على شجرة . فقال طوبى للطيائر . تطير فتقع على الشجر . وتاكل من
التمر . وليس عليك حساب ولا عقاب . يا ليتني كنت مثلك . والله لو ددت أني شجرة الى جنب طريق
فرع على بعير . فأخذني فلا كني . ثم ازدردوني . ثم أخرجني بدرا . ولم ألدنرا . (وقال) عاصم بن عبد الله
أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنه من الأرض فقال يا ليتني كنت مثل هذا التبن . يا ليتني
لم تلدني . أمي يا ليتني كنت نسياً منسياً . (وقال) ابن مسعود . وددت أني طائر في منكب زيش .

(وسمع) رجلا يقول يا ليتني كنت من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني إذا مت لم أبعث
 (وقال) عمران بن حصين لو ددت اني رماد فتفتت في الرياح في يوم عاصف (وقال) أبو الدرداء
 يا ليتني كنت شجرة تهضو ثمرها كل غرق ولم أكن بشرا (وروي) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 لما رجع من صفين قد خيل أوائل الكوفة فإذا هو بقبر فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن
 الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجرا طائعا وعاش مجاهدا وابتلى في
 حجه آخر الأولين بضيع الله أجرا من أحسن عملا ثم مضى فإذا قبر رجلا حتى وقف عليها
 فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم بسبع
 وبكم عاقيل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا عنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل
 للسبب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الأزواج فتد
 تكتن وأما الديار فتد تسكن وأما الأموال فتد تقسم فهذا خبر ما عندنا فإخبر ما
 عندكم ثم التفت إلى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا اتناوا وجدنا أن خبر الزاد التقوى

(الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين)

دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة مصوف فلما مثل بين يديه اقتضته عينه
 فأقبل عليه وقال له فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أهل البصرة عند يسير وعظم كبير
 مع تنابغ الهول واتصال من الذحول فلكم منها قد اطرق والمثل منها قد ألتقى وانغى
 الحق فان رأى أمير المؤمنين أن ينعش القنبر ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصنع عن
 الذحول ويدأى الهول ويامر بالمعطاء ليكشف البلاء وتزول المأواء الأوان السبيل من
 يغير ولا يجهض ويدعو الحظي ولا يدعو النقي ان أحسن اليه شكر وان أسى اليه غفر
 ثم يكون من وراء الرعية عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية
 ها هنا يا بجور ثم قرأ وتعرفهم في لحن القول (وقال) سفيان الثوري لما حج المهدى قال
 لا بد لي من سفيان فوضعو إلى الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثل بين يديه ادناى ثم
 قال لا يمشى ثلاثا تينا فتشير لي في أمرنا فإما أمرتنا من شئ نصرنا اليه وما نمتنا عن شئ انتهينا
 عنه فقلت لكم أنتم في شرك هذا قال لا أدري لي امانة وكلاء قلت فاعذرني غدا
 اذا وقت بين يدي الله تعالى فسألت عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال
 لفلانة كم أتفتت في سفرنا هذا قال يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً قال ويحك أبجفتنا بيت
 مال المسلمين (وقال) الزهري ما هت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك
 فقال يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فبين صلاح دينك وملوكك وآخرتك ودنياك قال
 لا تعد احد اعداءك وأنت لا تريد انجازها ولا بدتك من تنقي سهل اذا كان المتعد روعرا واعلم
 ان الاعمال جزاء فاحذر الجواقب والمهترات فكن على حذر (ولما دخل) ابن
 السكاة على هرون الرشيد قال له عظمي قال يا أمير المؤمنين ان الله لم ير من خلقه في عباده غيرك
 فلا ترض من نفسك الا بما رضي الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أولى
 الناس بذلك يا أمير المؤمنين من طلب فكالة رقبته في مهلة من أجله كان خليفة أن يعتق نفسه
 يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيا ولا وفها بركون منه اليها أذا قته الاخرة مرارتها ببقا فيه عنها

يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم إلى الجنة عرضها السموات والأرض وقد دعيت إليها وليس
 لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين المنة قوت وحدها وتحاسب وحدها واثمك لا تقدم إلا على نادم
 مشغول ولا تخلف إلا مقتونا مغرورا واثمك وإيانا في دار سقر وجيران ظعن (ولما) حج سليمان
 ابن عبد الملك استخضر أباحازم فقال له تسلم يا أباحازم فقال فيه أن تسلم قال في الخروج من هذا
 الأمر قال يسيران أنت فعلته قال وما ذلك قال لا تأخذ الأشياء إلا بحقه ولا تضعها إلا في أهلها
 قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الأمر ما قلده قال عظمى يا أباحازم قال يا أمير
 المؤمنين إن هذا الأمر لم يصل إليك إلا بعثت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك
 ثم قال يا أمير المؤمنين زهرك في عظمته عن أن يرالحيت نهلك أو يفقدك حيث أمرك يا أمير
 المؤمنين انما أنت سوق فوافق عنك حمل الملك من خير أو شر فاختر نفسك أيها ما شئت قال
 فإني لا تأتينا قال وما أصنع يا قاتل أن أدفني فتنني وإن أقصيتني أحترقني وليس عندي
 مأخاذك عليه ولا عندك مأزحوك قال فارفع البناء انجك قال قد رفعتها إلى من هو
 أقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعتني منها رزيت بقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم
 معيشتهم في الحياة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله أو يزيد في قليل
 ما قسم الله قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت إلى أمير المؤمنين قال
 أبو حازم اسكت فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء لم يئنه للناس ولا يكفونه ثم خرج من عنده فلما
 وصل إلى منزله بعث إليه بجمال فرده وقال للرسول قل يا أمير المؤمنين والله ما رضاه لك
 فكيف أرضاه لنفسي (وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد فبينما أنا قائم ليلة أذهبت
 قرع الباب فقلت من هذا فقال أحب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فإذا أنا بأمير المؤمنين
 فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرج به إلا عالم
 انظر لي رجلا أسأله قلت ههنا سليمان بن عبيدة قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه
 الباب فقال من هذا فقلت أحب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت
 إلى أئمتك قال جئنا بجمالنا فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض
 دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عن صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق
 ابن همام قال امض بنا إليه نسأله فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أحب
 أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال جئنا بجمالنا
 فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال
 ما أغنى عن صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضل بن عياض قال امض
 بنا إليه فأتيناه واذ هو قائم يصلي في غرفة يتلو آية من كتاب الله ويرددها فقرعت الباب فقال
 من هذا فقلت أحب أمير المؤمنين فقال مالي ولا أمير المؤمنين فقلت سبحان الله ما عليك طاعة
 فقال أوليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس المؤمن أن يذل نفسه فتزل فتقع
 الباب ثم ارتقى العرفة فأطلق السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا العرفة فخطبنا فحول عليه
 يابدين فسمع كف الرشيد كنى إليه فقال آوا من كف ما أئنه إن نجت غدا من عذاب
 الله تعالى قال فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي فقال جئنا بجمالنا

الله قال وفيه جنت حلت على نفسك وجميع من معك ملوا عليك حتى لو ألهم عند
 انكشاف الغطاء عنك وعندهم أن يعملوا عنك شقة صامن ذنب ما فعلوا ولكن أشدهم حبالك
 أشدهم هربانك ثم قال ان هرون بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن
 كعب القرظي ورجاه من حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلا فاشيروا علي فعدت الخلافة
 بلاه وعددتهم أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب
 الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من
 عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أبوا وسطهم عندك أخا وصغرهم ولد اغيرت بالك وارحم
 أخاك وتحسن على ولدك وقال له رجاء من حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله غدا فأجب المسلمين
 ما تحب منك واسكرهم ما تكره لنفسك ثم مضى شئت مت وانزل لاقول لك هذا وانى
 لاخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل لك رجلك اقم مثل هذا القوم من يأمرك
 بمنزل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقالت ارقق يا أمير المؤمنين فقال يا ابن ام
 الربيع قتلتهم انت وأصحابك وأرفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني
 ان عاملا لعمر بن عبد العزيز تركه كالإسههرا فكذب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذكر شهر
 اهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطردك الى ربك ثم اناحوه عتقان وابالك ان تزل قدمك
 عن هذا السيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى
 قدم عليه فقال له عمر ما قدمك قال له خلعت ثلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدا حتى أتى الله
 تعالى فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله
 عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله أمرني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم
 النبي نفس تحمى بها خبر من امانة لا تحمى بها ان الامانة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت
 أن لا تكون أورا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني برحمتك الله قال يا حسن
 الوجه أنت الذي يسأل الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقى هذا
 الوجه من النار فافعل وابالك ان تصبح وتعيش وفي قلبك غشزر لعينك فان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح راحة الجنة فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال
 عليك دين قال نعم دين ربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي
 ان لم يلهمني حجتي قال نعم أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا الأمر في أن أصدق وعده
 وأطيع أمر فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد
 أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه ألف دينار خذها فانفقها على
 عبادك وتقربها على عبادك فبكى فقال سبحان الله انا أدلك على النجاة وتكافئني بمنزل
 هذا سلكت الله ووفقتك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجن لمن عنده فقال لي هرون اذادلتني على رجل
 فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروى) ان امرأته من نسائه دخلت عليه
 فقالت لها هذا قدرتي ما تمنى فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فقرضناه فقال انما ضلني
 ومثلكم كمثل قوم كلناهم بغير يا كلون من كسبه فلما كبر فخره وفاقوا له موتوا يا اهل
 جوار ولا تذبجو افضيلا فلما سمع الرشيد ذلك فقال ادخل فعمى أن يقبل المال قال فدخنا

فلما علم بنا الفضيل ترح وجلس على التراب على السطح فجاءه رون الرشيد فجلس الى جنبه
فجعل يكلمه فلا يجيبه فيينا كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ
منذ الليلة فانصرف يرحك الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا أمير المؤمنين
ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوقك شكر الله شكرا (ودخل) عمر بن عبيد على
المنصور فقرأ وألقى الخبر ولبال عشرين حتى بلغ ان ربك لبا المرامدلى فعل مثل فعالهم فأتى الله
يا أمير المؤمنين فان يبائك نيرانا تخرج لا يعمل فيها كتاب الله ولا سنة رسول الله وأنت مدول عما
اجترحو وليسوا مسولين عما اجترحت فلا تصلح ديناهم الا بضاد آخرتك أما واقع لوعلم
عمالك أنه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريدك فقال له سلمان بن مجاهد
اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال له عمرو وويلك يا ابن أم مجاهد أما كفاك انك خربت
نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا أمير المؤمنين
فان هؤلاء قد اتخذوك سلا إلى شهواتهم فانت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وان هؤلاء
لن يغفوا عنك من الله شيئا (وقال) الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما
علمت انه كان يدير رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يسلك بها ويردع بها المنافقين
فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة يدك اذ تذهبها لا تغلقها قالوا هم رعبا
فكيف من صفك دماء المسلمين وشقق أستارهم وانتبه أموالهم ان المغنورة ما تقدم
من ذنبه وما تأخر دعاء الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرايا من غير تعدد فقال له
جبريل عليه السلام ان الله لم يعنك جبارا تكسر قرون رعيته يا أمير المؤمنين لو أن ثوبا
من النار نشر على ما في الارض لاجتته فكيف بمن يجرحه ولو أن حلقه من سلاسل جهنم وضعت على
جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضلها على عنقه (ودخل) بعض العقلاء على سلطان
فقال له ان أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بسط يديه
بالقدرة فاستندم مأوقبت من النعم بتأديده ما عليك من الحق (وروى) ان اعرايا قام بين يدي
هشام بن عبد الملك فقال أيها الأمير أتت على الناس سخون ثلث أما الاولى فاكات اللحم
وأما الثانية فاذا ابت الشحم وأما الثالثة فهاضت العظام وعندك فضول أموال فان كانت لله
فاقسمها بين عباده وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزى
المتصدقين فأمر هشام بحال تقسم بين الناس وأمر الاعراي بحال فقال ألكل المسلمين منك
مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لا حاجة لي فيما يبعث لأئمة الناس على أمير المؤمنين
(وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين اذكر ما قضى هذا لا يشغل الله عنك كثر من
يخاضم من الخلائق يوم تلقاهم بالانفة من العمل ولا برا من الذنب فيكأ عمر بكأ مشديا ثم
استرد الكلام فجعل يردده وعمر يهتفي وينتجب ثم قال ما حاجتك قال عاملاك باذريهم ان
أخذمني اثني عشر ألف درهم قال ألا تكتبوا له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر
ابن عبد العزيز قال يا زياد الا ترى ما بليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد
يا أمير المؤمنين والله لو ان شهر منك قطعت ما بليت كنه ما أت فيه فاعل انك في الخروج

مما أنت فيه يا أمير المؤمنين كيف حال رجل له خصم له قال متى الحال قال فان كان له
 خصمان الدان قال اسوأ الحاله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنته عيش قال فواقعه ما حد
 من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فيكي حتى تغيب أن لا أكون قلت لذلك
 (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الديناسوق فيها يخرج الناس
 بما ربحوا فيها لا تخرجهم وخرجوا بما يضرهم فكلم من قوم غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى
 أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مملين لم يأخذوا من الدنيا الا خرفة فاقسم ما لهم من لا يجمعهم
 وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تعب ان يكون معك فقد دمه بين يديك حتى تخرج اليه
 وانظر الى الذي تكبر ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البذل حيث يصور البذل ولا تذهبن
 الى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك يا أمير المؤمنين افتح الابواب ومهل الطباب
 ونصر المظلوم (وحضر) رجل بين يدي بعض المaulا فاعطاه السلطان فقال له الرجل انما
 أنت كالسم اذا أرعدت وأبرقت فقد قرب خبرها فكن غبطة وأحسن اليه وولما احتاج
 المنصور بن أبي عامر ملك الاندلس ان يأخذ أرضا محبة وبعاوض عنها اخبر امته المستحضر
 الله في قصره فأتوا به لا يجوز فغضب السلطان وأرسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا
 بالحدة والجله فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستحلي أموال الناس
 يا أكلي أموال اليتامى ظلم يا شهدة الزور يا أخذى الرشا ومتلقى النصوص وملقنى السرور
 وملبسي الامور وملقنى الروايات لا تباع الشهوات تبالككم ولا رأتكم فهو وأعزه الله
 واقف على فسوقكم قد عبا وخونكم لاما نأناكم مفض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة
 نظر كفى حاجة مرة واحدة في دهره فلم تسعوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضكم
 وليكن من سنودكم ولينا نحن الاسلام فيكم واخفى عليهم هذا ونحوه فاجابه شيخ منهم
 ضعيف المنسة فقال تنوب الى الله عما قاله أمير المؤمنين ونساء الا قاله قد عد عليه زعيم القوم
 محمد بن ابراهيم بن حيويه وكان جلداسا رافقا قال لكتمكم ثم تنوب يا شيخ السوء نحن برأى من
 متابك ثم أقبل على الوزير فقال يا وزير برئى المبلغ أنت وكلنا بسببه الديناعن أمير المؤمنين
 فهو وصفتمكم وما شربتم فأنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم
 بغير حق وتصفون معاشهم بالرشا والمصانعة وتبعون في الارض بغير الحق وأما نحن فليس
 هذه صناتنا ولا كرامتنا لا يقولها لنا الامم في الدانة فمن أعلام الهدى وسرج القللة
 يشايخصن الاسلام ويحرق بين الحلال والحرام وتنفيذ الاحكام وبإتقام القرائض وتبنت
 الحقوق وتحقق الدماء وتستحل القروج فهلا ذعبت علينا سيدنا أمير المؤمنين بشئ لا ذنب
 فيه لنا وقال باللفظ ما قاله تايت لا بلا غنا رسالتك بأهون من الخافك وعرضت لنا بانكاره
 حتى فهمنا أنك فأجبتك عنه بما يصلح الجواب عنه به فكنت ترين على السلطان ولا تفتنى
 سره وتستخيفنا بما استعجبنا به فمن تعلم ان أمير المؤمنين لا يمدى على هذا الرأى فيما ولا
 يعتد هذا المعتقد في صفاتنا وأنه سيراجع بصيرته في اشارة وتقريرنا فلو كنا عندك على
 هذه الحال التي وصفتها عنا والعماد بالله من ذلك لبطال عليه كل ما صنعتك وعقدك من أول
 خلافة الى هذا الوقت فما ثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شر ولا بيع ولا مدقة ولا حبس

ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشم ادتها هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منه صرفين فلم يكادوا
يلفوا باب القصر الا والرسول تنادى بهم فادخلوا القصر فداقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا
منازلهم واعتذروا اليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم امير المؤمنين - تدبر اليكم من
فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم وزعمته التي جعلته على الخفاء عليكم ويعلمكم
انه نادى على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد امر لكل واحد
منكم ما ترون من صلة وكسوة عامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما امرهم وانصرفوا
غالبين بمسهم سوء (ولما) نظروا لك بن دينار الى المهلب بن ابي صفرة يجر اذنيه وينصرف في
اتواب خيلانه ناداه ان ارفع من ثيابك فقال له المهلب او ما تعرفني قال له مالك بلى انى عرفك
او لك نطفة مذكورة واترك جبهة قدرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة ويرى ان رجلا
قال لعبيد الله العمري هذا هرون الرشيد في الطراف قد اخل الى المسمى فقال له لاجرا لاه
عن خيرا كافتني امرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال له ياهرون فلما نظر اليه قال ليبيك يا عم قال
كم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل
واحد منهم يستل عن خاصة نفسه وانت واحد تسئل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى
هرون وجلس وجعل يعطونه من دياره من دياره ووع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسرع في مال
نفسه فيسحق اطهر عليه فكيف فيمن اسرع في مال المسلمين فيقال ان هرون كان يقول بعد
ذلك انى احب ان اجمع في كل عام وما يعنى من ذلك الا عبيد الله العمري ويرى ان الحسن
ابن محمد بن الحسين رضى الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه
فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجنات على ركبته فقال
الحسن من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق ومن اذا
قدر لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلاد فود عليه الحجازيون
فقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر ليطلق من هو اسن منك فقال الغلام
اصلى الله امير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا مضى الله عبيد السان لا فظا وقلبا
حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامير امير المؤمنين بالنس لكان
في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت قل ما بدالك فقال الغلام اصلى الله امير
المؤمنين نحن وفدتهم ثمة لا وفد مرزئة وقد اتيناك ان الله الذى من علينا بك ولم يقصد منا اليك
رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما رهبة فقد امنا جوارك بذلك فقال له عمر
عظي يا غلام فقال الغلام اصلى الله امير المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول
أطلمهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الاقدام فهو راقى النار فلا يغرك حلم الله عنهم
وطول أطلهم وكثرة ثناء الناس عليك فزلت بك قدمك فطلق القوم فلاجعك الله منهم
والحقن بصالحى هذه الامة ثم سكث فقال عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة
ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم فقتل عمر عند ذلك فقال

فعلم نليس المرء له عالما • وليس أخو علم كمن هو جاهل

وان كبير القوم لا علم عنده • فغير اذا التفت عليه الماعقل

وفي مثل هذا قيل العنابي وكان لا يلبس ما لا يتجدد الملبوس فقال انما يرفع الرجل
ادبه وعقله لاجلته وحلته على الله امر ارضى ان ترفعه هبته وجماله والله حتى يشرفه
أصغرا لسانه وقلبه ويعلموه أكبراه هبته ولبه ولما دخل ضمير بن شمرة على المنذر بن
المنذر وهو ملك وكان شمرة ذارأى وعقل احتقرته عيناه لما سمته فقال لان تسع بالمعدي خير
من أن تراه فقال شمرة أيت اللعن ان القوم ليسوا بجزور وتجوز انما المرء باصع به قلبه ولسانه
فاذا نطق نطق بيسان واذا قاتل قاتل بيمين والرجال لا تكال بالفقزان ولا تؤزن بالقبان
فأعجب المنذر بكلامه روى ان روح بن زباع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر
مع أصحابه قتلوا فاضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فيخافهم
كذلك اذا هم راع فدعا للطعام فأبى وقال اني صائم قال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال
أفادع أباي تذهب بالظلال قال روح لقد ضنت بأياك يا راعي اذا جادها روح بن زباع وروى
ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحمله ان
كراهته فان وراءه ما تعجب ان قلبه قال هات يا اعرابي قال سأطلق اساني بما خست به
اللسان ادا ملحق الله وخلق امانتك انك قد اكنفتك رجال اساءوا الاختيار لا تقسم
واشاعوا دنياك بدنيهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يحافوا الله فيك فلا تصلح
دنياك بفساد آخرتك فاعظم الناس غيبا يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان
اما أنت فقد نصحت وارجو ان الله سيعيننا على ما قلنا وقد جردت لسانك فهو سيفك فقتل
أجل يأمر أمير المؤمنين وهو لك لاعليك وقال ابن أبي عروبة في صحيح الجراح قتل بعض المياه بين مكة
والمدينة ودعا بالقتل وقال لحاجبه انظر من يتعدى معي واسأله عن بعض الامر فنظر نحو الجبل
واذا هو براع بين صحتين تأم فصر به برجله وقال له أنت الامير فأما فقال له الجراح اغسل يدك
وتقدمي فقال دعاني من هو خير منك فأجبتة قال ومن هو قال الله تعالى دعاني الى الصيام
فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد من صمتا قال فافطر وصم غدا قال ان
صمت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألني عاجلا باجل لا تتدر عليه قال لانه
طبع قال لم تطببه أنت ولا الطباخ ولكن طبعه العافية ولما جهرت الرشيد بعث الى مالك
ابن أنس يكس فيه خمس مائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن
أنس ان أمير المؤمنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس
بجافه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا
كان يفتن الناس ويحملهم على أكل لحم الخنزير فأتى برجل أفضل أهل زمانه فاعظم الناس
مكانه وهاله امره فراوده على أكل لحم الخنزير فلم يفعل فرفقه صاحب شرطة الملك فقال له أنا
أتيتك بجدي تذبحه بما يصل لك أكله فاذا دعا الملك بلحم خنزير أتيتك به ففعل ثم أتى به الملك فدعا
بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرطة بذلك الجسد فأمر به الملك ان يأكله فأبى ان يأكله ففعل
صاحب الشرطة بغيره ان يأكله فأبى ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب
به قال ما منعك ان تأكل وهو اللحم الذي ذبحته أنت أعلنت اني جئت بغيره قال لا قد علمت
انه هو ولكني خفت أن يفتن الناس بي فان أكرهوا على أكل الخنزير طاولوا قدا كاه فلان فيستن

بي فأكون فتنة لهم فقتل رجله الله وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اكعب
 الاحبار يا اكعب خوفنا قال وليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا اكعب واكن خوفا قال
 يا امير المؤمنين اعمل على رجل لو واقبت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لا ذريت عملهم مما ترى
 فتكسر عمر وأطرق لميا ثم أفاق ثم قال يا اكعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو وقع من جهنم
 قدر مضطرب بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرقا فتكسر عمر ثم أفاق فقال
 يا اكعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتر فرزرة يوم القيامة فلا يحق ملك مقرب ولا نبي
 مرسل الاخر على ركبته حتى يحضر ابراهيم خليل الرحمن على ركبته يقول يا رب لا أسألك اليوم
 الا نحي واستأذن أبودهمان على بعض الامر امفجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر
 الذي صار اليك قد كان في يد غيرك فامسوا واقه ريثا فان خيرا فخير وان شرا فشر فحبب الى
 عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله
 وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في
 زمانه على بلال بن أبي بردة امير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه الشجرة
 يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهر غونا هكذا كن لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيلكم
 فصارت السنة ينكم بدعا وشجرة واما انا فلما دخلت على ملك مصر وهو افضل بن امير الجوش
 فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت رداجيلا وأكرم اكراما
 جزى بلا وأمرني بدخول محاسنه وأمرني بالجلوس فيه فقلت يا امير الملك ان الله سبحانه وتعالى قد
 احل محلا لينا شامحا وأمر انك منزلا لشر يفا بذنا ومليك طايفة من ملكه وأمر انك في حكمه ولم
 يرخص ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترض ان يكون احد اولي بالشكر منك وان الله تعالى
 قد أزم الوري طاعتك فلا يكون احد اطوع قه منك وان الله تعالى أمر عبادا بالشكر وليس
 الشكر باللسان ولا كنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعلموا ان الله قد اوتى داود شكرا واعلم ان هذا
 الملك الذي اصبحت فيه اغلصار اليك بموت من حصان ان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار
 اليك فان الله فيما خولك من هذه الامه فان الله ما لك عن النغير والقطيع والقتيل قال الله
 تعالى فوريك لتسا لهم اجعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان من قال حبة من خردل
 اتينا به او كفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحدافيرها سليمان بن
 داود عليهما السلام فحضره الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وحضره الريح
 تجري بأمره وناهيه حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامزوا من
 بغير حساب فوالله ما عداها نعمة كما عدهوها ولا حبهامة كما حسبوها بل خاف ان تكون
 استدراجا من الله تعالى ومكره ايه فقال هذا من فضل ربي ليسواني الشكر اكرام اكثر فافتح الباب
 وسهل الجانب وانصر المظالم اعانك الله لي ما قلته وبعلك كنه ما لمهوف واما ما لا تقف
 ثم اتهمت المجلس بان قلت قد دسرت البلاد شرقا وغربا فبالا اخترت مملكة تزوجت فيها وولدت غير
 هذه المملكة ثم انتشرت شعرا

والناس اكبر من ان يحمدوا رجلا حتى يروا عنده آثارا واحسان
 وكتب حكيم الى حكيم اتى سائل عن ثلاثة اشياء ان احبت عنها اسرت لك فليدعي الناس

أولى بالرحمة ومتى نضع أمور الناس وبهم تعلق النعمة من الله تعالى فكسب الله أن أولى الناس بالرحمة ثلاثة البري يكون في سلطان فاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغمووم والكريم يحتاج إلى اللطيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضع أمور الناس إذا كان الرأي ندم من لا يقبل منه والصلاح عنده من لا يستعمله والمال عند من لا ينفعه وتلقى النعمة من الله تعالى بكثر شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تليذا له إلى أن مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عوف بن عبد العزيز فلما أشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان إلى السراذف قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال أرى دنيا عمر بضعة يأكل بعضها باضا وأنت المسؤل عنها الأخوة فيها صفاهما كذلك اذ طار غراب من سرادف سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما أدري ما يقول ولكن أن شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سرادفك في منقاره كسرة أنت بهما أخذ وعنها مد ول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا بالجناب قال أفلا أخبرك بأنجب من هذا قال بل من عرف الله كيف عساه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غنيت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (وبروي) ان بلال بن ابي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر إلى جماعة وقوف فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف معه اذهب إلى مالك بن دينار فقل له يرتفع المينا إلى القبر فجاء الوصف فأدى الرسالة إلى مالك فصاح به مالك مالي الله حاجة فأجبت فيها فان تكن له حاجة فليجيئ إلى حاجة نفسه فلما دفعوا اميهم قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جامعني إلى الحلقة حتى جلس فلما رأوا مالك بن دينار سكت فاطال السكوت فقال له بلال يا أبا يحيى ذكرنا فقال ما نيت شيئا فاذ كر ليه قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبلك على البصرة فمات فدفعنا في هذه الجبانة ثم اتينا بن يحيى فدفعناه إلى جنبه فواقع ما أدري أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا أبا يحيى أتدري ما الذي جرى ألك علينا وما الذي اسكتنا عنك لانك لم تأكل من دراهمنا شيئا اما والله لو أخذت من دراهمنا شيئا ما اجترأت علينا هذه الجرأة فافاد هذا الحديث على ألافنا فوادراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا ان الله تبارك وتعالى اذا استرعى عبد اوعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين أي خليفة أقرب إلى الله أم خليفة ليس في قال بل بن خليفة قال فانما أحدثك يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين فهذا وعبد الله لني خليفة فما ظنك بخليفة غيري فقال الوليد ان الناس ليقرؤنا عن ديننا (وروي) زياد عن مالك بن أنس قال بعث إلى ابو جعفر وإلى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه انطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الاضاني وأومأ اليانان أجلسا خلفنا فاطرق عنا طويلا ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس

فعنه قال من سيرة وطعمته قال فأجور السر وأخبت العظم واعدى العدا على الله وأحكامه
قال فغضب الخبيث وقال وياك أعاغت أنه أخى قال بلى قال فأتت ما علمت أن الله ربي والله
له وامنع بي منك أكثر منك لا خيك قال أجل أرسله يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من
أهل المدينة قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين
رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين لمساو القريش فقالوا لا يا جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن
أبي ذئب قال أبو جعفر لابن أبي ذئب ما تقول في بني فلان قال أشرار من أهل بيت أشرار قالوا
سلي يا أمير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال ياخذ
بالأحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن واقم يا أمير المؤمنين لوسائلك عن نفسك لربك بالهداية
ونعتك بشر قال ما تقول في قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لا بد أن تقول قال انك لا تعدل في
الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجه أبي جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل
وقال طهرني بدمي يا أمير المؤمنين قال له ابن أبي ذئب اتعدي يا فليس في دم رجل يشهد أن لا اله
الا الله طهور ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال دعنا يا أمير المؤمنين نبحث فيه بلعني انك
رقت ابنك الحبا بالعراق يعني المهدي قال أما ان قلت ذلك انه يصوم اليوم البعيد ما بين
الطرفين قال ثم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال أبو جعفر اما والله ما هو بمستوفى العقل ولقد قال
بذات نفسه (ودخل ابو النصر) سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له يا ابا النصر
انه تاتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا تحب بدنا من انتاذاها فاذ ترى قال ابو النصر قد
اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فاقم ما اتعت كتبت من اهله

«الباب الثالث فيما جاء في الولاية والقضاء وما في ذلك من العرو والخطر»

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخيمان بين يديك فتود أن
يكون الحق الذي لا اله الا الله خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام ملكه قال
ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام ان ناسلن أهل
جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه فحوا اليه مع غيرهم فاحب أن يكون الحق لأهل
جرادة فحضى لهم فعوتب حين لم يكن هو فيهم واحدا ومن ذلك آية الملوكة التي أنزلها الله
تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله
تعالى ولنصرن الله من نصره ان الله اقوى عزيز ثم سمي المنصورين وأضح شرائط النصر
فقال تعالى الذين ان مكاهم في الارض آباءهم والصلاة وآتوا الزكاة وأمر وبالعدل وفهم واعين
المنصرون فعني الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم شرائط كما ترى فحق قسعة ضمت قواعدهم
واتقص عليهم من اطراف ممالكهم وأظهر عليهم عدوا وباع فتنة أو حاسنة نعم أو اضطرت
عليهم الامور أو رأوا أسباب القبر فليجروا الى الله تعالى ويستنجوا من سوء أقدار بما صلاح
ما بينهم وينبئه باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى للعباد ووركو سبيل العدل والحق
الذي قامت به السموات والارض وأظهر شرائع الدين ونصر المظلوم والأخذ على يد الظالم
وصكفيد القوى عن الضيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحقة ذوي الخصامة

والمستضعفين وليعلموا انهم قد اخلوا بشئ من الشرائط الاربع التي شرطت في التصبر (وروى)
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذي على الناس
 راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على
 اهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه
 ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راعيا
 له واللفظ مأخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من يأكله فهو الهالك كما قال الشاعر
 وراعي الشاة يحمي الذئب عنها * فكيف اذا الذئب لها راعا

(وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ على امر المسلمين ثم لم يجتهد
 لهم ريشة الا لم يدخل الجنة معهم وقال سعد بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 ما من عبد يسر عيبه الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد راحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتا عن مسئلة
 وكنت اليها وان اعطيتا عن غير مسئلة أعنت عليها (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال انكم تفرصون على الامارة وستكون ذامة يوم القيامة فضعتم المرضعة
 وبست القاطمة وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت أمرني يا رسول الله قال انها أمانة وانما
 حصة ذامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها (وروى البخاري) ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه
 (وفي الحديث) من ولي من أمر المسلمين شيئا لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ عقده
 من النار • وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى
 وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على
 جسر جهنم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتقض انتفاضة فيزول كل عظيم منه عن مكانه ثم يأمر الله
 العظام فترجع الى مكانها ثم يسأله فان كان لله تعالى طائعا اخذ بيده وأعطاه كفاين من رحمة
 وان كان لله عاصيا خرق به الجسر فتهوى به في جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر سمعت من النبي
 صلى الله عليه وسلم ما لم اسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان اى واقبه امر ومع
 السبعين سبعين خريفا في واد يلهب النهاب فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من
 يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله نفسه والصق خذ به الارض (وروى) ان العباس رضي الله
 عنه قال أمرني يا رسول الله فاصيب واستر بئس فقال ليا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس
 تخيها خيرا من اماراة لا تخيها الا احشكم عن الامارة واولها ملامة واولها هدامة وآخرها
 حصرة يوم القيامة (وروى) أبو داود في السنن بامر رجل فقال يا رسول الله ان أبى عريفة على
 الماء واني أسألك ان تجعل لي العرافة فمن به . فله فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرافة في النار
 (وروى) الساجي عن أبي سعد الخدرى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس مذابا
 يوم القيامة الامام الجائر • وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله
 سبحانه على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤها على رؤوس الخلائق فان كان عادلا نجله الله

بعده وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة مائة
ثم يخرق به الصراط لما يلي قعر جهنم الا بحر وجهه (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان القاضي يزل في ضلقة بعد من عدن في جهنم (وقالت عائشة رضي الله
عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوفى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى في شدة
الحساب على ما قضى حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في عمرة (وروى) الحسن البصري ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن حمزة يستعمله فقال يا رسول الله خذني فقال اعد في بيتك
(وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو تدن اقوام يوم القيامة ولو وقعوا من القربا ولم يكونوا
امراء على شيء لو كن من منزول في مال الله وماله لولا له النار غدا (وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال صفان من امتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغافل
الدين مارق منه (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه ما من امير يؤمر على عشرة الا يجي به يوم القيامة
مغلولاً نجا عظمه وأهلكه (وقال) طاوس سليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير المؤمنين
من أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشرك الله في ملكه بخارجي حكمه فاستلقى سليمان على
سريره وهو ركي وما زال يكي حتى قام عنه جلاؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقرب الساعة
ان يكون امراء فجرة وقراء كذبة وامناء خونة وعلماء فقه وعرفاء غالة (وقال) عبيد بن حمير
ما ازداد رجل من السلاطين قريبا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرا تباعه الا كثرت طائفة ولا كثرت
ماله الا كثرت حبابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة اشنان في النار
وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بغير علم بخلافه وفي النار ورجل قضى
بالحق فهو في الجنة رواة يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى
عبيدة السلماني يخبرون اليه في أولاهم فلم ينظر فيهم وقال هذا حكم ولا تؤلى حكما أبدا (وتخبر)
غلامان الى ابن عمر فدخل ينظر الى كتابهم وقال هذا حكم ولا بد من النظر فيه • والمؤمنون
يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم
الى القضاء فقد ضيع بغير سكين (وفي أخبار) القضاء ان قضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل
ودين فقال له أيها القاضي أباغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ضيع بغير سكين
قال نعم قال فبلغك ان أمورا للناس ضائعة في بلدنا فحجت تجبرها قال لا قال أفاكرهك السلطان
على ذلك قال لا قال فاشهد أني لأطالك بحمد الله ولا أؤذي عندك شهادة أبدا (وروى) ان أبا بكر
الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهد الله في ماله ورغبه فيما في يده غيره
واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا
وجبت نفسه ونصب عمره ومحى ظله حاسبه الله فاشد حاسبه وأقل عقوبه (وذكر) السلطان
لاعراي فقال والله ان عز وافي الدنيا بالحوادث قد دلوا في الآخرة بالعدل وبالقيل فان رضوا عن
كثير باق وانما يكون الندم حين لا يتبع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي هريرة عن قوم فأتاه صاحب
لهم يارض فلما لم يجدوا ما فاتاهم رجلا فقالوا لئلا على الماء قال احلقوا في ثلاثا وثلاثين عينا
انه لم يكن فيكم صرافا ولا مكسلا ولا عريفا ولا بريدا وروى لاعرافا قالوا فادلكم على الماء فحلقوا
له ثلاثا وثلاثين عينا فدلهم على الماء ثم قالوا له عاوبا على غنله فقال احلقوا في ثلاثا وثلاثين عينا

كما تقدم ذكره فافواه فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لاحق تحلفوا الى اربعة
 وثلاثين يمينا كما تقدم فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا وكانوا يرون انه الخضر عليه السلام
 (وقال) ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا
 أو قتله نبي وامام فضلا ومثل من المثلين (وقال) أبو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ست أيام أعقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لم يكن في اليوم السابع قال أو صيكت بقوى الله
 في أمر سرك وعلايتك فاذا أسأت فاحسن ولا تسألن أحدا وإن سقط سوطك ولا تؤوين أمانة
 ولا تؤوين يتيما ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يا أبا ذر إنى أحب لك ما أحب لنفسى وإنى أراك ضعيفا لا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يقيم
 (وروى) أبو ذر أيضا قلت يا رسول الله ألا تستعملنى فضرب يده على منكبي وقال لى يا أبا ذر
 انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وذامة الا من أخذها بجهتها وأدى الذى عليه
 فيها (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
 وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله انك تبعثنى الى قوم شيوخ ذوى أسنان ولا علم لى
 بالقضاء فقال ان الله سبحانه هادى قلبك ولانك فاذا جلس الخفيمان فلا تقض للأول حتى
 تسمع كلام الآخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تنضى (فان قال قائل) كيف ينهى أبا ذر
 عن القضاء وأمره بالقبض مع ما فيه من التغرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد مدح بغير
 سهو من وفيه البعد عن حضرته والتمين بالمشاهدة وتعلم سننه وشرايع دينه والتعلق بأخلاقه
 وشيئه وأيهما أفضل المثل بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته والصلاة خلفه أو القضاء فى
 غيبته مع البعد عنه (قلنا) انما ينهى أبا ذر لى فيه بقصره عن رتبة القضاء مما كان ضده فى لى
 رضى الله عنه ثم قال فى آخره الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها فاستدلنا بذلك على أن
 من استجبت فيه شروط القضاء وكان قويا على اتفاده لم يدخل تحت التنبه وبما يعد من ناعن
 القضاء طلبه اياه اذ لم يدعوا فيه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانة بالجهل فقال تعالى
 ان اعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابدين أن يحملنها وأنشفن منها وجلها
 الانسان انه كان ظلوما جهولا لاي ظلموا لنفسه جهولا بعاقبة امره والدليل على صحة هذا
 التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل عرف
 الحق فقاضى به فهو فى الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجاز فى الحكم فهو فى النار ورجل
 لم يعرف الحق فقاضى للناس على جهل فهو فى النار (قلت) فهذا الرجلان ضعيفان عن رتبة
 القضاء احدهما بنفسه وظلمه والاخر بجهله وقد عابت جهله بنى اسرائيل طالوت فقالوا لى
 يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخمسة مئين الف درهم
 ليس من سبط المملكة فقال لهم عليهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده سلطة فى العلم والجسم فبين
 شروط الولايات والممالك وانها تقتضى العلم الذى به يحكم والى القوة التى بها تنفذ الاحكام
 دون ما ظنه بنو اسرائيل وأما قولك أيهما أفضل القضاء فى غيبته أو الحضور بين يديه والكون
 فى حضرته فالجواب ان أمره عليه السلام فرض يعصى بتركه والكون فى حضرته
 مستحب بعد الهجرة لاي معنى بتركه فعلمنا بهذا انه انما بعثت علينا رضى الله عنه القضاء لانه

أفنى من سكا بهضرة لانه مبلغ عنه الى الخلاق شر بعته التي بعته الله بها فهو خليفة
في ذلك يدل على هذا انه اوجب الجنة لمن قضى بالحق

(الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهم السلام

وروجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده) *

قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فطلب الملك ثم زاد على ذلك بان لا يؤتى مثله أحد بعده
وكان ظاهره يؤذن بالجن. والكلام على هذه الآية من وجوه (أحدها) انه انما سأل هذا بعد
أن سلبه الله تعالى ملكه ثم أعاده اليه حين طلب الملك كما ملكا فكانه قال هذا الملك الذي
جددته لي هب لي على صفات لا أعصيك فيها فتسلبني اياه وتعاقبني يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال
رب اغفر لي وهب لي ملكا أي ملكا لا أعصيك فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى
هذا عطاؤنا فاقبضوا أو اسكن بغير حساب فكانه أجاب دعاه فقال نصرف كيف نمت فلا حساب
عليك فيه. وقيل ان أعطيت أجرت وان أسكت فلا تبعه عليك فيه وهذا يخص سليمان
ابن داود عليهم السلام ولم يخص به أحد من ولد آدم سواء لان الله تعالى قال للخلاق نوربك
لنساءهم أجمعين عما كانوا يعبدون. وأما قوله لا ينبغي لاحد من بعدي فعناه لا سلبه في باقي عرى
فيصير لغيري كما سلبته فيما مضى من عرى وقبل لا تسلط على قلبه شيئا مثل الذي قد سلطت على
وقيل انما سأل ذلك ليكون عالما على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فسلم أنه قد غفر له
وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلمه على مجزئه. وقال مقاتل كان سليمان بن داود ما كما
وانكسر أراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي نسخ الرأح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى
فسهرناه الرج الى آخر الآية. وقيل ان سليمان كان ملكا في خاتمه ولهذا ذهب لملكه بذهب
خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدي يعني اجعل لملك في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملك أحد غيري
فان ابليس لما أخذ خاتم سليمان تحول ملكا سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى
أنكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد أتى عليه شبه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما أراد به
ملك النفس وقهر الهوى يدل عليه ما روى سلمان الشعبي قال بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال رأيت سليمان وما أتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء فتشعاه تعالى حتى
قبضه الله تعالى. وزاد غيره انما أراد ملك النفس وقهرها لانه يستقر بالملك ولهذا قدم سؤال
المغفرة على طلب المملكة. وقال بهض الوعاظ انما أراد حتى أتتكم لآدم من ابليس وذريته
حيث كان سيباني اخرجه وذريته من الجنة (وروى) البخاري في صحيحه ان النبي عليه السلام
قال ان عذري تمان الجن جهه. ل. ينقل على البارحة ليقطع على صلاق وان الله تعالى أمكنني
منه فصرعته ولقد هممت ان اربطه الى ساري بمن سوارى المسجد حتى يصبح فتظنرون اليه
كماكم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرداه الله خاسئا (فان قيل) فما
معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم (قلت) يستفاد من
الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره أو أمة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه او اراد
ايرافضه جازله ان يهبهم على مكانه وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه واظهار الفضله فيجعل في
مكانه. وقبه فائدة اخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخونة والمصوص ومن لا يؤد.

الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية جازله ان فيه السلطان على امانته وكفايته
ولهذا قال بعض العلماء من أصحاب الشافعي من كل فيه الاجتهاد وشروط القضاء جازله ان فيه
السلطان على مكابه ويحط به خطه القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي
من لا يقوم به

• (الباب الخامس في فضل الولاة والقضاء اذا عدلوا) •

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى
اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوي
الضعيف وثواب الخلق بعضهم على بعض فلا ينظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض
ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى ولكن الله وفضل على العالمين
يعني في اقامة السلطان فآمن الناس به فيكون فضله على الظالم كفيده عن المظلوم وفضله على
المظلوم كفيد الظالم عنه (وروي) ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم
الامام العادل والصابر حتى يطرود دعوة المظلوم (وروي) ان النبي عليه السلام قال سبعة
يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وثاب نشاف عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد
ورجلان تمابا في الله اجفعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعه امرأ ذات منصب وجمال فتال
اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخضاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه (وروي) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في
ارضه يا وي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان
عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروي) ابو هريرة يرفع فاعل لعمل الامام العادل في رعيته يوما
أفضل من عبادة العباد في اهل ما تيسر سنة أو خمسين سنة (وقال) قيس بن سعد يوم من امام عادل
خير من عبادة رجل في مئتين سنة (وروي) ان سعد بن ابراهيم واباسلة بن عبد الرحمن
ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا للسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضاء
يوم باخى أفضل عند الله من صلاتك عمرتك وسينضح لك صخرة هذه الاقوال اذا وقف على ما نالته
الرعية من الصلاح بصلاح السلطان (واعلم) ارشدك الله ان الانسان اعز حواهر الدنيا واغلاها
قدرا واشرفها منزلة وبالسلطان صلاح الانسان اذا فهو اعز اعلاق الدنيا واعها بها وكذلك
خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم لما كان السلطان صلاح الدارين فخلق
بشخص يرفع العباد والبلاد ويصلح صلاحه الدنيا والآخرة أن يكون شرفه عند الله
عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه عجميا وعلى قدر
هون المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر التهمة تكون المنية الا ترى ان الانبياء عليهم السلام
أعم خلق الله نفعنا فهم اجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلق وناجزهم من
الظلمة الى النور كذلك سلطان الله في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلق ودعائهم
الى فناء الرحمن واقامة دينهم وتقويم أودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الانبي مرسل
او ملك مقرب فالتخذ عظم قدر السلطان عندك بحجة الله تعالى على نفسك وناجحه على قدر
ما تشكك وليس نفعه مورا على عجلة من حطام الدنيا يصبول بها ولكن صيانة جسمك

فناء بكسر القاء

وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم تفعلك ان عقلت وأمر الله سلطان الاوقد اخذ
عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان
العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشري الجائر رتبة لشري لان شريهم كان خبر
الاوليعم وكان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الرزق الى الله تعالى والقوز
يحنة الماوى كذلك بالسلطان الجائر تصد البلاد والعباد وتقترب المعاصي والاثام وتورث
دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا
الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فبات الباطل ذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين
الحق فأرسلت السماء غيثها واخرجت الارض بركتها وامت تجاراتهم وزكت زروعهم
وتناسلت انعامهم ودرت اوزاقهم وورخت اسعارهم وامتلات اوعيتهم فوامى البخيل
وأفضل الكريم وقضت الحقوق واعتبرت الموازين وتهدأ فتنول الاطعمة والتحف فهان
الحطام لكثرة ذلك بعد عزه فتمسكت على الناس مرواتهم وانحفظت عليهم أديانهم
وبهذا تبين لك ان الوالى ماجور على ما يتعاطاه من اقامة العدل وما جور على ما يتعاطاه الناس
بسيبه واذا جاز السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرق أديانهم واضمحلت مرواتهم
ففتشت فمهم المعاصي وذهبت أماناتهم فضعت النفوس وقطعت القلوب فغصوا الحقوق
وتعاطوا الباطل وبخسوا الميالك والميران وجوزوا والبحر جرفعت منهم البركة وأمسكت
السماء غيثها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقتل في أيديهم الحطام فتنظروا وأمسكوا
الفضل الموجود وتأخروا عن القهود فغصوا الزكوات المترضة وبخلوا بالمواساة المسنونة
وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجادوا والتقدرا الخسيس ففتشت
فهم الايمان الكاذبة والتخل في البيع والتخدا في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء
والاقتضاء ولا يجتمع من السرقة الالعار ومن الزنا الاحياء فظل أحدهم عاريا عن محاسن
دينه ومنجردا عن جلباب مرواته وأكثرهم قوت دنياه وأعظم مسرته من هذا الحطام
ومن عاش كذلك فبطن الارض خبئه من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور
أو عمل به ادخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شئ واذا هم
بالتحير والعدل أو عمل به ادخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز
لك العامة بعمل الخاصة ولا تملك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله
سبحانه واقترافته لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد
بفساد الوالى وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لا يبي جعفر المنصور انى لاعلم رجلا ان
صلح صلت الامة قال ومن هو قال أنت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير
في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فحبب
الملك لذلك وحادث نفسه باخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت
بالامس فقال له الملك ما بال حلابها تنقص أوعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن أظن
ملكهاهم باخذها تنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه
في نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد حلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لا عدل

ما بقيت • ومن المشهور في أرض المغرب ان السلطان يلقبه ان امرأته لها حديقته فيها القصب
الخلويان قصبة منها تعصر قد حفر زم على أخذها منها ثم أنها وسألها عن ذلك فقالت ثم ثم أنها
عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي يطلع الان يكون
السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان وأخلص لله نيشه ان لا يأخذها
ابدا ثم أمرها فعصرت فجاءه القدر • وحديثي بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بعصر
قال كان بعبد من مغلته تحمل عشرة أرباب غرا ولم يكن في الزمان مغلته له تحمل نصف ذلك
فغضبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيئا ولا فترة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من
أسياف الصعيد أعرف هذه المخلصة في القرية فبحني عشرة أرباب ستين وربة وكان صاحبها
يبيعهما في ستين الغلاء كل وربة بدينار (قال) الشيخ رضي الله عنه وشهدت انا بالاكاديمية
والصعيد في الخليل مطبق للرعية والسكك فيه يغلي المياه كثيرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم يجره
والواي وضع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة في يومنا هذا
وهكذا اتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خير النعم وان شرافتها
(وروي) أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا أمضوا في زمان الحجاج يتلاقون
يتسالمون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب
ضباع واتخذ مصانع فكان الناس يتسالمون في زمانه عن البنان والمصانع والضباع وشق
الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح وطعام فكان
الناس يتصدقون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراري ويعمرون مجالسهم
بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتسالمون كم تحفظ من القرآن وكم ورد في
كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتي يموت وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

(الباب السادس في ان السلطان مع وصيته مغبون غير غائب وخاسر غير راجح) •

اعلوا أرشدكم الله ان السلطان خطر عظيم وبلية عامة وقد يطر من الاكاف ويحترق
من الامور الملكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعيذ بالله مما حله وبشكره على ما عهده
لا تهدأ فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر له الخلق في شغل عنه وهو
مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل
بيته وانا له ضيقه وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل مملكته وكما روي
تقمان حواشي مملكته انفتحت آخر وكما روي منها شعثا آخر وكما وقع عدوا أرضه أعداء
الى سائر ما يعاينهم من اخلاق الناس ويقاسمهم من خصوماته ونصب الولاة والقضاة ويحث
الجيوش وسد الثغور واستحياء الاموال ودفع المظالم ثم من الهب العجائب ان انفسا
واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسال غدا عن جميعهم ولا يسألون عنه
فيالله وبالله من رجل رضى ان ينال رغيفا ويحاسب منها على آلاف آلاف رغيف وياكل
في معا واحد ويحاسب على آلاف آلاف معا ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف
آلاف من الانفس وعلى هذا النمط في جميع احواله يعمل انفسا لهم ويرجع اسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مناورهم ومناصبهم ويعصى ربه فيهم ويحافظ

أمرهم ويركب نهيهم من أجلهم ويقتصر حوائجهم على بصيرة فيهم ثم يجدهم له قالين وعنه غير راضين ولولا أن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقل بمذمة منزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكل ما ذكرته في هذا الباب أحكمه النبي عليه السلام في كلمة فقال مالكم ولا مراعى لكم صفو أمرهم وعليهم كدره ونزال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الأكلة العناء ولهم الهناء وله الخار ولهم القار طلب لقومه الراحة ففصل على التعب وطلب لهم النعيم فإخطأ الصراط المستقيم وعن هذا قالوا سيد التوهم اشقاهم وفي الحديث ساقى القوم آخرهم شربا • وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما بين يديه الوزراء إذ نظر إلى جماعة من التجار فقال لوزيره اتعجب إن أريك ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والآخرة وطائفة لا دنيا ولا آخرة وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك أيها الملك فقال الذين لهم الدنيا والآخرة فهم ولاء التجار يركبسون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون أحدا وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهم ولاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم دنيا بلا آخرة فأنأنت وسائر السلاطين خفق على جميع الورى أن يعبدوا السلطان بالمناصحات وبمحموده بالدعوات ويعينوه على سائر المعاولات ويذكروا له أعيننا نظرة وأيديا باطشة وجننا ناطقة وألسنة ناطقة وقوادم تنهض وقوائم تقله وهيات منه السلامة وأنى له بالسلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعملوا إن السلطان والجنة لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله وحدثني رجل أنه قد رآه قال أرسل إلى السلطان أن أطلق امرأتك وكان قد أرادها البعض أصحابه فآيت ذلك وراحت الرسل غير مرة فقال لي فاصح منهم خذ الأمر مقبلا فإنه لا حيلة لك فإن السلطان لا يخاف في الدنيا عارا ولا في الآخرة نارا فأنارقتها (وروى) من عبد الملك بن مهران أنه لما ولي الخلافة أخذ المصحف فوضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون قال أبيعك يا عم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيه إلا الله فقال أعلم أيها الرجل إن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هرون وجلس فحشاوا يعطونه مندبلا مندبلا لادموع ثم قال له والله إن الرجل ليسرع في مال نفسه ويستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين • ويقال إن هرون كان يقول والله أني أحب أن أجيء كل سنة وما ينعني إلا رجل من ولد عمر يعني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أحق من السلطان ومن أجهل من عصفاء ومن أعز من اعترى أياراعى السوء ففت اليك غمما فما حماها فأكلت اللحم وشربت اللبن وانتدعت باليمن ولبست الصوف وتركها نظاما تنفتح ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

• (الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض) •

اعلموا الرشيدكم الله أن في وجود السلطان في الأرض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لأن الله سبحانه جعل الخلق على حب الاتصاف وعدم الانصاف ومن لهم بلاسلطان مثل الخيتان في البحر يزدرد الكبير الصغير فمضى لم يكن لهم سلطان فاهل لم ينظم لهم أمر ولم يستقيم لهم معاش ولم ينجوا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الأرض ما كان الله في أهل الأرض من حاجة ومن الحكم التي في إقامة السلطان أنه من حجج الله تعالى على وجوده

سبحانه ومن علاماته على توحيد لانه كالا يمكن استقامة أمور العالم واعتداله بغير مدبر يفرد
بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه
وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم بأسره
في سلطان الله تعالى كالبالد الواحد في يد سلطان الأرض ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه امر ان جديان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشراكة وهما الملك والرأي
فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأي بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية
بالسلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله فنام من الخلق يعالجون صنائعه هم فينجاهم كذلك
طفئ السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعتل جميع ما كانوا فيه ففتروا الحيوان الشرير
وخشخش الهام الخسيس فذبت العقرب من مكمنها وفستت القفارة من جحرها وخرجت
الحية من معبها وجاء اللص بجملته وهاج البرغوث مع حنارته فتعطلت المنافع واستطارت
فيهم المضار كذلك اذا كان قاهر الرعية كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء في أهلها محبونة
والحرم في خدوره من مصونة والاسواق عامرة والاموال مخروسة والحيوان القاضل ظاهراً
والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الصوق والدغارة خامل واذا اختل أمر
السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا في كفة كان هرج ساعاً أعظم
وأرجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان أضعف شوكة سوق أهل الشر
ومكسب الاجناد وفاق أهل العبارة والسوقة واللصوص والمناهية وقال الفضيل جور سنيين
سنة خير من هرج سنة ولا يبقى زوال السلطان الا جاهل مغرور ورافسق تني كل محدور فحقق
على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في اصلاح السلطان وان تبذل له بجمعه ويخصه بصالح
دعائها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساد فساد العباد والبلاد وكان العلماء
يقولون اذا استقامت لكم امور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكروا وان جاءكم منه
ماتسكرون وجوهوا الى ماتسوجونه بذنوبكم وتستحقونه بما تاتاكم واقبلوا هذا السلطان
لا تشاور الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة واستتلاف الاعداء وارضاء
الاولياء وقلة الناصح وكثرة التدليس والطمع وفي كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم
الملوك كبار واباب الملوك مشغولة بكل شئ واباب السوقة مشغولة بايسر شئ والجاهل
منهم يعذر نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن
هنالك يعز القسلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكيم الهجم لا تسوطنن الابلدافيه سلطان
قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

• (الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره) •

(قال) حكيم العرب والهمم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سبيل الله
تعالى وبركات السماء وحياة الأرض ومن عليها وقد ينادي به المسافر ويسد اعين البنيان
وتكون فيه الصواعق وتدرس بوله فتلك الناس والدواب والناظر وبجود البحر
فتستبدل به على أهل ولا يمنع ذلك انظاره والى آثار رحمة الله تعالى في الأرض التي
أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر أن يعظموا رحمة ربهم

وبشكرونها ويلقوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق (ومثاله) ايضا مثل
الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرابن يدي رحمة فيسوق بها السحاب ويجعلها قاحا للثمرات
ورواحا للعباد ويتنعمون منها ويتلبون فيها وتجرى بها مياههم وتسد بها انهارهم
وتسير بها في الصحرا فلا يحسهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبصرهم وتخلص
الى أنفسهم فيشكروها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا ينلها ذلك عن منزلها
من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) ايضا مثال الشتاء والصف الذي جعل الله حرهما
وبردهما صلاحا للحرث والتسل وتاجا للعب والتفرج لجمعهما البرد بان الله ويخرجهما الحر
بإذن الله فينضج على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما
وسوءهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا يغيبان الى الصلاح والخير وقد غر صلاحهما اذيتهما
ومثاله ايضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكا وباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش
له آخر الضيق ويسارع فيه أهل الذنابة والفساد واللصوص وقد يوقبه السباع وتتشرب
فيه الهوام وذوات الحية والسحوم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يبرز أصغر
ضرره بكبير نفعه (ومثاله) ايضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ووضوا وانشاءا
وانتشارا وقد تكون فيه الحروب والفجارات والتعب والنصب والنقص والخصومات
قد تريح الخلق منه الى الليل ثم ليس العباد نعمة الله عليهم فيه وهكذا كل جسم من أمور
الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصا فهو بلا عام
ولو كانت نعم الدنيا صفا من غير كدر وميسور هان غير معسر لكأن الدنيا هي الجنة التي
لا تعب فيها ولا نصب (وقد قال الشاعر)

لا ترج شيئا خلاصا نفعه * فالحق لا يغفل عن العيب

(الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية)

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا ضمت الروح من الكدر
سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسد فأمن الجسد من الغير فاستقامت
الجوارح والخواص وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح أو فسده من أجهالها أو بوج
الجسد فتسرى الى الجوارح كدرة وهي منفرقة عن الاعتدال فاخذ كل
عضو وحاسة بقسطه من الفساد فخرت الجوارح وتعلت فتعطل نظام الجسد وجر
الى الفساد والهلاك (ومثاله) السلطان ايضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان
منها معتدلا لم ينجح الى النار وما كان منها متاودا احتاج الى التار ليقام أو دعه فيعبدل عوجه
فان أفرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم أو دعه وان قصرت النار لم يلب الخشب لقبول
الاعتدال فيبقى متاودا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في أطوار
ان أفرطت أهلك الخلق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا (ومثاله) ايضا مثال عين خراة
في أرض خراة فان جلا مشربه وعذب طعمه وسلت من الكدر والفساد وأصافه
اختلج في الأرض فاتلعه صاقيصر فا ثم شر به عروق الاتجار فاعتذت به كذلك فغلقت
سوقها وفرغت أعصابها وامدت أفتانها ثم أخرجت أوراقها وأبرزت أذهارها ثم قدفت

نمازها خفمت على أتم طبيعتها كبرا وطعما ولونا ورائحة فتقوت بها العباد وأكث
 حظوظها اليها ثم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز كل منها قوته واستقام النظام وان
 كان في حواشي الأرض ما يدق عن الانبات والنقع ويكدى عن الزكاة والربيع أو كان فيها
 من الشجر ما يبر زجده ويقل دبعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في قواه ولم يغادر
 ممكنا الا وفاء وان كان في العين كدر أو فساد او ملح شربتها الانبجار كذلك فسد من اجها
 وأضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعت أغصانها وتغيرت أوراقها وقلت
 ازهارها ونمازها ودخل الفساد على جميع ذلك بخفات النمرة وهي نزر قدورها ردى مطعما
 كادف لو نها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا
 قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لقوت في أجبرتها من الانبجار والادب ابن آدم يعني اذا
 كثرت المعاصي في الأرض حبست السماء غيائها وصنعت الأرض نباتها فهلك الهوام
 والحشرات والحدواب

• (الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها في نظام الملك والدول) •

وهي ثلاثة العن ورتك القنطرة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها
 ولا طالب لها ولما علم الله تعالى ما فيها من انتظام أمر الملة واستقامة الامر نص عليها الله
 سبحانه ورسوله اعلم ان هذه الخصال من أساس الممالك وقيل من يعمل بها من الملوك اثنتان
 نزول من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى فيما رجه
 من ان الله ثلث لهم ولو كنت فقا غلبا القلب لافضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
 في الامر وفي الآية اشارتان احدهما ان القنطرة تنظر الاحصاء والجلساء وتفرق
 الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلالته واحصائه وحشده واتباعه وأخلق بخصاله تنظر
 الاولياء وتطمع الاعداء فتعين بكل سلطان رفضها والاسترا من سوء مغبتها ولتكن كما
 قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان جالسا مع اصحابه فجاء رجل فقال أياكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الياض المكنى فقال
 الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك دل الا ترعى انه ما سائر
 بشرف المجلس ولا فاتهم بزي ولا مقعد وقد يبلغ بالعين ما لا يبلغ بالقلبة ألا ترى ان الرياح تهون
 أصواتها فتمتد داخل لها الشجر وتنعطف الافئدة والاعصان وفي القنطرة تنكسر الاعصان والماء
 يلينه في أصول الشجر يقلعها من أصلها واذا كانت الحبة مع معويتها وسبها وتقيها في بجرها
 تزي بالكلام حتى تستهطف فتخرج فالانسان أخرى ان يستمال بلين القول وحسن المنطق
 فاذا أردت ان تقيم من يسي السك فكافته بكل كلمة سواء قالها كلمة جيدة وحسن شاء عليه
 والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قبل لنا كفي وشاورهم وهو نعيم وامامهم
 وواجب عليهم مشاورة وان لا يفصلوا أمر ادونه فلما هذا أديب أديب الله تعالى نبيه عليه
 السلام وجهه ما دية سائر الملوك والامراء واللاطين ما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن
 الادب مع المجلس وساهمته في الامور فان نفوس المجلس والنصح والوزراء تصلح عليه
 وتقبل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولاوى الامرة من أهل ملته فلي

الله عليه وسلم لا ترى ان النبي عليه السلام كان في غزوة فاحرمهم بالتزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا باهرلك فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس يغزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن اتبع ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا أو سوقة الاستبداد بالراي وتولي المشاورة وسنة قد لا مشاورة بما ان شاء الله تعالى والخليفة الثالث عمار بن الجراح ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام انا ان كنت عمل على علمنا من اراده والسرقة ان الولايات امانات وتصرف في ارواح الخلائق وأموالهم والتسرع الى الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد أكلها واذا اتفق شئ على موضع الامانات كان كاسترقاء الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة تنفس دغلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اختصت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم واطلقوا النظم بالدعوى والتشكي وذكر واسائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه
وراحي الشايعي الذئب عنها • فكيف اذا الرعاة لها ذناب
فاذا خان أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول
بالملح يصلح ما يخشى تغيره • فكيف بالملح ان حلت به الغيرة
(وقال آخر)

ذئب تراه مصليا • فاذا هربت به ركب
يدعو وجل دعائه • ما لفريسة ما تنفع
بجل بها اذا الصلا • ان القواد قد اندفع

• ومن اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية (وروي) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما خيئت يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح ويقعده بالارصاد الشرير ويخامر عليه القوى ويقبح ثأوه عند الجماعة ويقتنوا الراحة منه ويتظرون من يصلح لها سواء

• (الباب الحادى عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولايات لدونها)

فاقول الخصال وأحدها الرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول وأمن كل مملكة سواء كانت نبوية أو اصلاحية • اعلم أرشدك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه ان ليس كل النفوس تصلى على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايضا ذى القربى فلو وسع الخلق العدل ما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يراد على العدل كيف يصلح اذ لم يصلح به العدل والعدل سيران الله في الارض الذي به يؤخذ للضعيف من القوى وللمع من المبعطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية ايضا فمن أزال ميزان الله الذي وضعه من القياس القسط فقد تعرض لحظ الله تعالى • واعلم أيها الوالى ان الملك بمنزلة رجل فرأسه أنت وقلبه وذيرك عيدها أعوانك ورجلاه رعيته وروحه عندك وبما وجد به جلا روح واذا أردت ذريعة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم أباً ووسطهم أخاً وصغيرهم ابناً فبأبائهم وأكرم أهلك وارحم ابنك فالحق واصل بملك الى بزا الله وكرامته ورحمته واعلم ان عدل الملك

يوجب الاجتماع عليه وجوبه وجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفي منشور
 الحكم سلطان جابر أربعين عاماً خيراً من رعيته مهلة ساعة واحدة من النهار إذا عدل
 السلطان فيما قرب منه صلح له ما بهد عنه فضل المالك في الاعطاء وشرفها في العفو وعزها
 في العدل هذه السلطان ثلاثة مساورة النصحاء وثبات الأعيان وإقامة سوق العدل
 أفضل الأمانة أمانة العادل ثم العدل يتقسم قسمين قسم المهيّج يأتي به الرسل والأنبياء
 عليهم السلام عن الله تعالى والثاني ما يشبه العدل وهو السياسة الإصلاحية التي هزم عليها
 الكبير ونشأ عليها الصغير وبهذا ينبغي سلطان أو تستقيم رعية في حال إيمان أو كفر بلا
 عدل قائم ولا ترتيب للأموال ثابت فذلك ما لا يجوز ولا يمكن • وقد ذكرنا في أول الكتاب أن
 سليمان بن داود سلب ملكه حين جلس الخشمان بين يديه وكان لاجدهما خاصة بسليمان فقال
 في نفسه وددت أن يكون الحق لنا حتى فاقضى له قلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على
 كرسيه فاجعل العدل رأس سياستك فتسقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة وتقوم
 لك جميع الشرائط التي تقوم بها المملكة • قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمام عادل
 خير من مطر وابل وأسد مطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من قننة تدوم
 وقال ابن مسعود إذا كان الإمام عادلاً فلا إبر • عليك الشكر وإن كان جاثراً فعليه الوزر
 وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يبرزان الملك واتفق حكام
 العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والبناء أساسه فإذا قوى الأساس دام البناء
 وإن ضعف الأساس انهار البناء فلا سلطان إلا ببناء ولا جند إلا بعمل ولا مال إلا ببجاية
 ولا بجاية إلا بعبارة ولا عبارة إلا بعدل فصار العدل أساساً للسلطان أساساً للامانة فاما العدل
 النبوي فأن يجمع السلطان إلى نفسه حلة العلم الذين هم حفاظه ووعاؤه وفقهاؤه وهم الأدلاء
 على الله تعالى والقائمون بأمر الله والحافظون لحسنه ودأبه والناصحون لعباده الله • وروى أبو
 هريرة أن النبي عليه السلام قال إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا
 لمن يا رسول الله قال الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فاتخذها الملك العلماء شهاراً
 والصالحين دليلاً فتدور المملكة بين ناصح العلماء ودعوات الصلحاء وأخلق بذلك دوربين
 هاتين النصيحتين أن تقوم حكمة ويطول أمد • وكيف لا وقد فرغهم الله في سلطانه
 وأمد طغاهم بخالص معرفته فقال جل من قائل سمع الله أنه لا اله الا هو والملائكة
 وأولو العلم قائموا بالسطح فبدأ بنفسه ونهى عن لائقته وثبت بأولي العلم وهم ورثة الأنبياء عليهم
 السلام الموفقون عن الله تعالى لأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن
 تعظمهم وتقر بهم امتثال لأمر الله تعالى وتعظيم لمن أنشأ الله عليه • ويجب ترفيع مجالسهم
 وتبزين مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آمنوا أنواراً
 درجات وفيه استقامة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب
 على السلطان أن لا يقطع أمر أدوتهم ولا يضل حكماً إلا بمشاورتهم لأنه في ملك الله يحكم وفي
 شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان أن ينزل نفسه مع الله منزلة ولا تهمه معه ليس
 إذا خاف إليه أمره وما رجع له من الأحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته وإذا امثل أو أمره

وانزجر من زواجره حل منه محل الرضا فوا عجباً ان يفض على واليه اذا خالقه ثم لا يخاف
سطوة ربه عليه اذا خالسه فهذا طريق اقامة العدل الشرعي والسياسة الاسلامية
الجامعة فوجوه المصلحة الآخذة لازمة التدبير السالقم من العيوب المهتدة لاستقامة الدنيا
والدين وكان الملك الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزراء والاختيار كذلك لا يتم عدله
الا باستفتاء العلماء الابرار وقد وقع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمر واعر
نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها وفي اشاعة العدل قوة القلب وطيبة النفس ولزوم اليقين
وامان من العدو ولما استاذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يجد عنده حاجباً
ولا بواباً ففعل له هو في المسجد فأتى المسجد فوجد من تسليماً وسداً كوماً من الحصباء ودرته
بين يديه فقال له عدلت فامنت فمئت وقال الحسن رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد جمع
الحصباء في مسجد النبي عليه السلام عند رأسه وقد وضع احد جاني رءاه عليه وهو يومئذ
أمير المؤمنين ما عند أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب حامل حصص الى عمر بن عبد
العزيز ان مدينة حصص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر رضي الله عنه انما العدل رونق
طريقها من الجور والسلام وقالت الحكيم من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه وقال
يحيى بن اكرم ما شئت المأمون في بستان والشمس عن يساري والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت
الشمس أيضا على فقال لي المأمون فتول مكاني واتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت
وأقربك الشمس كما وقتني فان أول العدل ان يعدل الرجل على بطائه ثم الذين يلونهم حتى يبلغ
العدل الطبقة السفلى فعزم على قصور وكان يقال ليس شيء أبعد من بقائك الغاصب وقيل
للاسكندر لو اكرمت من التساحق يكر نسك ويحيى ذكره فقال انما يحيى الذكر الافعال الجيلة
والسيرة الحميدة ولا يحسن من يغلب الرجال ان تغلبه النساء وقال الحكيم من اتقاه العدل
سنة كان له أحسن جنة ومن استشر حلة العدل استكمل زينة الفضل وقال أبو عبيد
ابن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل يسكت الاصوات عن الله وان الامام الجائر لا يكثر
منه الشكاية الى الله تعالى وقال الحكيم لا يزال السلطان مهملاً حتى يخطى الى أركان العمارة
ومباني الشريعة فحينئذ يرجع الله منه وقالوا لا تنظلم الضعفاء فتكون من ثام الاقوياء وقال
بعض الحكماء أمير بلا عدل كقيم بلا طر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا قوبة
كشجر بلا ثمر وغني بلا ضياء كقفيل بلا مقناح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا
حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفتك ملوك العجم على أربع خصال ان الطعام لا يترك
الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلح له الا الطاعة والرعية لا يصلح لها
الا العدل واحق الناس باجبار نفسه على العدل الملوك الذين يعدلهم يعدل من دونهم
والذين اذا طالوا اوقعوا كان نافذاً غير مردود وقالت الحكماء من عاشت بالانصاف وانازع
لها بالظفر به والطالم ادعى شيء الى تغييره فسمه أو تجميله فتمه وقال الحكيم شر الزاد الى المعاد
الذنب بعد التوب وشر من هذا العدو ان على العباد ومضى أراد السلطان حسن الصيت
وبجل الذكرك فليقم سوق العدل وان أحب الزنى عند الله وشر من التزلة عنده فليقم سوق
العدل وان أحب ما جاعل فليقم سوق العدل والذي يخلد به ذكراً الملوك على غابر الدهور عدل

واضح وجور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له العقوبة
 • (فصل) • فاما القسم الثاني من العدل وهو السياسة الاصطلاحية وان كان أصلها على
 الجور فيقوم بها أمر الدنيا ولكنها تشا كل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك
 الطوائف في أيام القرس وكانوا كذرا يعبدون الثيران ويتبعون هواجس الشيطان
 فواضعوا بينهم سننا واسساوهم أحكاما وأهملوا هم مراتب في النصفة بين الرعايا واستحياء
 الخراجات وتوظيف المكوس على التجارات كل ذلك بقولهم على وجوه ما أنزل الله بها من
 سلطان ولا نصب عليها من برهان يبدأه لما جات الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه
 صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما أقرته في نصايح ومنها ما استحتمه وأبطلت حكمه
 فعدلت الحكمة النافذة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم
 محمونا بربايتهم للقوانين المألوفة بينهم فاقطع بذلك جبل الهمل فكانوا يقيمون بها واجب
 الحقوق ويتعاطون بها مالهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر الحافظ
 لشرائط السياسة الاصطلاحية أبقى وأقوى من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع
 للسياسة النبوية العدلية والجور المرتب اتقى من العدل المهمل اذ لا شيء اصلى لامر
 السلطان من ترتيب الامور ولا شيء افسده من اهمالها واعلم ان دورهما يؤخذ من الرعية
 على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا فسد قلوبها من عشرة تؤخذ منها سياسة على زمام
 معروف وردهم مألوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر ان
 الاقامة العدل النبوي وأما شبه العدل من الترتيب الاصطلاحى وقال ابن المقفع الملوك
 ثلاثة ملك دين وملك حرم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أعام لاهل المملكة دينهم كانوا
 راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضى واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن
 والسطح ولن يضرب طعن الدليل مع حزم القوى واما ملك الهوى فلهب ساعة ودما ودهر ولقد
 بلغنا أن ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح متوجعا همتا بامور المظالمين وانه لا يسمع
 استغاثتهم فامر مناديه ان لا يلبس أحدا في مملكته نوابا اجرا المظالم وقال لمن منعت سمى
 لم أمنع بصري فكان كل من ظلم ليس نوابا آخر ووقف تحت قصره فيكشف عن غلامته قال
 شيخنا واخبرني ابو العباس البخاري وكان ممن دخل الصين بسيرة عجبية غريبة للملوكها
 في سياستهم وذلك ان الميتم الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة
 في خارج الطريق وعليها امناء السلطان وحفظة يباقي المظالم فيحرك السلسلة فيسمع الملك
 صوت الناقوس فيامر بادخال المظالم فكل من حرك السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخله
 على السلطان

• (الباب الثاني عشر في التخصيص على الخصال التي رزم الملوك انها

ازالت دولتهم وهدمت سلطانهم) •

ايها الملك احرم كل الحرص ان تكون خيرا بامور عمالك فان المسمى يفرق من خيرتك به قبل
 ان تصيبه عقوبتك والحرص يستبشر بملكته قبل ان ياتيه نوابك قال ابو جعفر المنصور
 ما زال امر بني امية مستقيما حتى افضى امرهم الى انبائهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شلن

الملك و جلالة قدره قصد الشهوات و اشار للذات و الدخول في معاصي الله و ساخطه بهم لا
 منهم يا ستدراج الله تعالى و امنا المكره فـ لهم الله العز و قتل عنهم النعمة قال عبيد الله بن
 مروان و مروان هذا هو المعروف بـ مروان الحمار و هو آخر ملوك بني أمية قتل في أرض مصر في
 كورة بومصر لما زال ملكا و هربت الى أرض النوبة فـ من اتبعني من أصحابي فـ مع ملك النوبة
 بنجري فجاءني فـ قعد على الأرض و لم يقعد على فراش اقترسته فـ قلت له الا تقعد على ثيابنا قال
 لا قلت و لم قال لا لي ملك و حق على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لم تشرى
 الخمر و هي محرمة عليكم و لم تطوفن الزرع بدوا بكم و الصادح محرم عليكم و لم تستعملون الذهب
 و الفضة و تلبسون الديباغ و الحرير و هو محرم عليكم فـ قلت زال عنا الملك فـ قل انصارنا
 و اتصرونا يقوم من الاعاجم يدخلوننا و اتنا عبيد و اتباع فـ علوا ذاك على كره منا فـ اتركنا
 بقلب كفيه و ينسكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم اسفلتم ما حرم الله و ظلمتم
 فيما ملكتكم فـ لعلكم الله العزيز بنو بكم و لله فيكم نفسه لم تبلغ غايتها و أخاف ان يحل بكم العذاب
 و انتم يلدى فيصيبكم معكم و اعاد الضيافة ثلاثة أيام فـ قروا ما احببتم اليه و ارتحلوا عن بلدنا
 فـ قرونا و ارتحلنا و سئل بـ زجرهم ما بل ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه من
 قوة السلطان و شدة الوركين فقال ذلك لانهم قلدوا كبارا و عمال صغار الرجال و عن هذا قال
 الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة و في الامثال ان زوال
 الدول باسطاع السفلى و قال الشافعي رضي الله عنه اعلم الناس لنفسه التيم اذا ارتفع جفا
 افاربه و انكر معارفه و استخف بالاشراف و تكبر على ذوى القسطن و سئل بعض الملوك
 بعد زوال ما الله ما الذي ملكت ملكك قال اعطاه زمان بطر و طغى و رفع عمل اليوم لغد
 و سئل بعض الملوك بعد ان سلوا ملكتهم ما الذي سلب عزمك و هدم ملككم فقال شغلنا ذاتنا
 عن التفرغ لهم ماتنا و وثقنا بكفائتنا فـ تزوارنا فـ قهرهم علينا و ظلم عاملو عمتنا فـ انفسدت
 يا تم لنا و غنوا الراسمة و حمل على أهل خراجنا فـ قل دخلنا و بطل عطاء عبيدنا فـ زالت
 الطاعة منهم لنا و قسد ما عدونا فـ قل ناصرنا و كان أعظم ما زال به ملكا استأثار الاخبار عنا
 و قالت الحكماء أمرع الخصال في هدم السلطان و أعظمها و أسرها في افساده و تقربق الجمع
 عنه اظهار المحابة لقوم دون قوم و الميل الى قبيلة دون قبيلة فـ نعى أعلن بحب قبيلة فـ قد برئ من
 قبائل و قد عاقب المحابة مفسدة و قال مهبوذ الموبدان من زوال السلطان تقرب من فـ نعى
 ان يباعد و مباعد من ينبغي ان يقرب و حينئذ حال وان الغدر و قيل الملك بعد ذهاب ملكه
 ما الذي اذهب ملككم قال تقى بدولتي و استبدادى به رفقى و اغتالى استنارتي و اعمى
 شدتي و اضاعى الحيلة و قتل حاجتي و التاني عند العجلة و لما أحبط مجروان الجعدى و هو
 آخر ملوك بني أمية قال لهفاه على دولة ما نصرت و كف ما نظرت و نعم ما شكرت فقال له
 خادمه نسيب و كان من أولاد اشراف الروم من أغفل الصغير حتى يكبر و القليل حتى يكبر
 و انفى حتى يظهر اصابه مثل هذا و سئل بعض العلماء الذي اذهب ملك بني مروان قال
 تحاد الاكفاء و انقطاع الاخبار و ذلك ان يزيد بن عمر كان يحب أن يضع من نصر بن سيار
 و كان لا يجده بالرجال و لا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من أخبار و خراسان فلما رأى ذلك نصر

ابن سيار قال

أرى خلل الزماد وميض نار • فيوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكو • وان الحرب أولها الكلام
فقلت تجاهلا يا ليت شعري • أبقا طأمية أم نيام
وكن العباسيون يرسون دلولتهم ولا تصل اخبارهم الي بني أمية حتى استقبل أمرهم وضعف
أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أضعف ملكك
بعد قوة السلطان وثبات الأركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت على كعب نصير بن سيار
ان أمده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال بما يظهري من
فساد الدولة قبله وهيئات ان تقتض على خراسان فاة تقتض دولته من خراسان

• (الباب الثالث عشر في الصفات الراتبة التي زعم الحكماء انه لا تدام معها الملكة) •

ومن أعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان
الفضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالتمتزة والعجب يكون بالقصيلة والتكبر
يجل نفسه عن رتبة التعليل والعجب يستكبر فضله عن استزادة المتاديين وحسبك من رذيلة
تفسد من سماع النصيح وقبول التاديب والكبر يكسب الملك ويمنع من المستلة وكل كبر
ذكره الله في القرآن فمروء بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انه انك عن
الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حوكم
يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاخنف بن قيس مات كبر احدا الامن ذلة
يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تنهاى الكبر وتناف منه قال الشاعر

فنى كان عذب الروح لامن خصاصة • ولكن كبرا ان يقال به كبر

ونظرا فلا طون الى رجل جاهل محجب بنفسه فقال وددت انى مثلك في فلنك وان أعدائى مثلك
في الحقيصة قالت الحكماء قديوم الملك مع معظم النقائص فرب فقير ساد قومه ورب أحق
ساد قبيخته منهم الا قرع بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحق المطاع
قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة واعظم من ذلك ان الله تعالى
حرم الجنة على المتكبرين فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة فجعلا للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا دناءة فاقربن الكبر بالفساد ومنعنا من دخول الجنة وقال جل وعز سا صرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحوّل
داؤه في بعضى انى تكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب الموت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله
ومن أبغضه بطائفة كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحماة تطاوت عليه الاعداء واما الانجاب
فيحمله على الاستبداد وتترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المظاهرة
الكذب والغدر والخيل والجور والسحق وقات حكماء العرب والعجم ست خصال
لا تفتح من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والجبن فانه اذا كان
كذا لم يوثق بوعده ولا بوعده فلم يرج خيره ولم يحقق نيره ولا يهأ السلطان لا يره وقال
الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مرقونان بابطال الوعد والوعيد من الملوكة والكذب امة

الاخلاق واغلب شيء على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه لضراوته وقيل لأحرابي لم تكذب
قال لو تعزيت به مازكته وهو نوع من التعمش وضرب من الذنابة وأصله استعذاب المني وهو
أضغان فكرا الحق ومن يلبسه أنه يحمل على صاحبه ذنب غيره فإذا سمعت كذبة طامحة نسبت
إليه قال الشاعر

حبب الكذوب من المما • نه بعض ما يحكي عليه
وإذا سمعت بكذبة • من غيره نسبت إليه
• (وقال غيره) •

لي حيلة فمين يتم وليس في الكذاب حيلة
من كان يحلق ما يقو • لخلق في قلبه
وقال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأما الحمد فأنه إذا كان
حسودا لم يشرف أحدا وإذا ضاعت الأشراف هلك التبع ولا يصلح الناس الأعلى
أشرافهم قال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لأسرارة لهم • ولا سرا إذا جهالهم سادوا
وأما البخل فإذا كان بخيلا لم ينصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالناجحة وليس للملك أن يبتذل لأن
بيوت الأموال في يديه وأما الجبن فإذا كان جباناً اجترأ عليه عدوه وضاعت نفوره وإذا كان
حديدا غصو بالوقعة من ورأه هلكت رعيته وليس للملك أن يفتنب لأن القدرة من وراءه
ساجدة ولما دخل اسقف نجران على مصعب بن الزبير ضرب وجهه بالفضيب فأدماه فقال الاسقف
إن شاء الأمير أخبرته بما أنزل الله على عيسى عليه السلام قال قل قال لا تغضب بعد ما قال هات
قال لا ينبغي للأمير أن يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جأرو منه يلتمس العدل وقال الأوزاعي
يملك السلطان بالاجتهاد والاحتجاب فاما الاجتهاد فقد دكرناه واما الاحتجاب فهو أروى
الخلال في هدم السلطان وأسرعه آخر بالادول فانه إذا احتجب السلطان فكأنه قد مات لأن
الجميع موت حكمي ففتحت بطائمه بأرواح الخلائق وحريهم وأموالهم لأن الظالم قد آمن أن
لا يصل المظلوم إلى السلطان ومعظم ما رأينا في أعمارنا وسمعنا عن بعض من دخول القسادة على
الملوك من هيجتهم عن مباشرة الأمور ولا تزال الرعية ذال سلطان واحد ما وصلوا إلى سلطانهم
فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يأبى الملك المغرور واحتجبت عن الرعية بالجلاب والابواب
وجعلت دونهم بروية شديدة وحفاظا بالجباية والمساوطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين
ليس هناك لاجاب ولا أبواب قال الله تعالى الأمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وقال معاوية
ليس بيني وبينك السلطان وعينه أو ظلكه إلا الحزم والتواني وكأله امر أن شدة في غير أفرطولين
في غير امتنان وسئل بزرجمهر أي الملوك أحزم قال من ملك جده هزله وقهره به هواه
وأعرب عن ضميره فعلة ولم يتخذه رضاء عن حظه ولا غضبه عن كيدته وقال بعض الحكماء
زوال الدول في اصطناع السفلى ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر بالبقظة
لم ينفذ بالحقظة وقال يحيى بن خالد أحسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة البخل
والجهل مع التواضع خير من الشفاء والعلم مع الكبر فبالها حسنة غطت على سبطين وبالها

• (الباب الرابع عشر في الخصال المحودة في السلطان) •

وقد اتفقت العلماء والحكام على ما قالوا أي المثلثان قصرت قوتك عن عدوك فظنك بالاخلاق
الجليلة التي ليس لعدوك مثلها فانها الكفاية من الغارة الشعواء وقال معاوية لصعصعة بن
صوحان صفني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالم برعته عادلا في قضيته عاديا
من الكبر قبول العذر مهمل الحجاب مصون الباب متعصبا للصواب وفيها بالضعيف غير
محب للقوى ولا ينجاف للقريب وقالوا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة
والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب اللفة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب
الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب
المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والابسط يوجب المؤانسة والانتقاص يوجب الوشعة
والكبر يوجب الخفت والتواضع يوجب المنة والجود يوجب الحمد والجل يوجب المنعة
والتوازي يوجب التضييع والجدي يوجب رجا الأعمال والهوي يوجب الحسرة والحزم
يوجب السرور والتغريير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير يوجب
بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبلين كف المعاشرة تدوم المودة ويحفظ الجانب
تأثر النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عينه والاستئانة توجب التباعد وبكثرة الصحت
تكون الهيبة وعدل المنطق يوجب الجلالة وبالنصفة تفكر المواساة وبالاتصال يعظم
القدر وبصالح الاخلاق تنكوا الاعمال واحتمال المؤن يجب السودد وبالعلم عن السفه
تكثر انصارك عليه وبالرفق والتؤدة تسحق اسم الكرم وبترك ما لا يعينك يتم لك الفضل واعلم
ان السياسة تكسوا أهلها المحبة والفظاظة تتخلع عن صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة
الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب شجاة ومن لم يحلم بدم ومن صبر غم ومن سكت
سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر ابصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل
ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة زارع البر يحصد السرور صاحب العاقل مقبوض
صديق الجاهل تعب اذا جهلت فاسال واذا زلت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت
فاقلع واذا افضلت فاكرم واذا منعت فاجل واذا أعطيت فاحزل واذا غضبت فاحلم من
بدأك بيده فقد شغل بكه المروآت كلها تبع للعقل الرأي تبع للتجربة العقل أصله
التثبت وغرته السلامة والتوفيق أصله العقل وغرته الصبح والتوفيق والاجتهاد زو جان
فالاجتهاد سبب والتوفيق ينجم الاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا
والاعمال كلها تبع للمقدور واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب من التوراة من
قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجاة ومن القرآن من اعتصم
بالله فقد هدى الى الصراط مستقيم الحلم شرف والصبر نظير والمعروف كثر والجهل سقم والايام
دول والمهر غير والمرء منسوب الى فعله وما أخذ به من اصطناع المعروف يكسب الحمد
أكرموا الجليس يعمرناديكم أنفسكم ووثق بكم اياكم والاخلاق الدنيئة فانها تضييع
الشرف وتهديم الحمد نهيته الجاهل أهون من جريرته رأس العشيرة يعمل انقالها واجتعت

حكما العرب والعجم على أربع تلت لا تحمل بطنك ما لا تطيق ولا تفعل عملا لا يتقن ولا تفتر
بأمره ولا تنق بماله وان كثر

• (الباب الخامس عشر في ما يعزبه السلطان) •

وهي الطاعة قال ملك فارس لموبدان موبد ما شئ واحد يعزبه السلطان قال الطاعة قال فما
ملك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة مثل
الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة
والرغبة والمحبة والديانة ولمدخل سعد العشيرة على بعض ملوك حبر قال يا سعد ما صلاح
الملك قال معاملة شائعة وهيبة وازمة ورعية طائعة فان في المعاملة حياة الانام وفي الهيبه نفي
الظلام وفي طاعة الرعية الثأف والالتزام طاعة الائمة فرض على الرعية كما أن طاعة السلطان
مقرونة بطاعة الله اتقوا الله يحبه والسلطان بطاعته من اجل الله اجلال السلطان
عادلا كان أو جورا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين عصيان الائمة يهدم أركان
الله أولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته أهل الدين والنعم والمروآت اذ لا يقوم الدين الا
بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقدة السلامة
وارفع منازل السادة الطريقة المذلي والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة
الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاسة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن بها اليها وحرز لمن دخل
فيها وليس للرعية ان تعرض على الائمة في تدبيرها وان سؤلت لها أنفسهم بل عليها الانتقياد
وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتؤدي القرائض وتحقق الدماء وتأمين السبل
الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد أوجب الله لمن خصه بفضلها وجهه اعباءها الطاعة
فقرن بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى
الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاف بنورها وموت لمن حافظ عليها الخارج من
الطاعة منقطع العصمة يرى من النعمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الائمة حبيل الله المتين
ودينه القويم وجنته الواقعة وكفايته العالية اياكم والخروج عن أنس الطاعة الى وحشة
العصية ولاتسروا عن الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما شئ قوم الى سلطان لينلوه
الا اذلهم الله قبل ان يجنوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة للرعية
على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم
والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة
الى الراعي ما ليس بالراعي من الحاجة اليه - لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا السيم هلكت
السنائم

• (الباب السادس عشر في حلال أمور السلطان) •

قال سليمان بن داود عليه ما السلام والرحمة والعهد ليجرزان الملك وقال زياد ملك السلطان
ثلاثة أشياء التمسك على المذهب والمجازاة للمحسن وصدق القول ولما غزا ساور ذو الاكاف
ملك الروم وأخرى بالاد و قتل جندة وافنى بطارقه قال له ملك الروم ائتني فاقولت وأخرى
فاشعري ما الامر الذي نشئت به - حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان

كان عياضه الامر بمثلها ديت اليك الخراج وصرت كعوض الرعية في الطاعة لك فقال له
 سابوراني لم اُزد في السياسة على غان خصال لم اُهل في امر ولا نهى ولم اخلف في وعد ولا
 وعيد ووليت اهل الكفاية وابنت على العناء لاعلى الهوى وضربت للادب لاللفظ
 واودعت قلوب الرعية المحبة من غير حراة والهيبة من غير ضيقة وعممت بالقوت ومنعت
 الفضول فاذا عن له وادى اليه الخراج وكسب الوليد الى الخراج ان يكتبه بغيره فكسب
 اليه انى ابقت رأيي وانمت هواي واديت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب
 الخازم في امره وقلدت الخراج الموفى لاماته وقسمت لكل خصم من تقصى قسما يعطيه
 حظا من نظري ولطف عنائي وصرف السيف الى البطار والمضى تخاف المذنب مولد
 العقاب وتمسك الحسن بحظه من الثواب وقال ابو عبيدة اذا كان الملك معصنا السر به بعدا
 من ان يعرف ما في نفسه مضرا للوزراء مهيبا في انفس العامة مكاتبا بحسن البلا لا يخافه
 البرى ولا يامنه المجرم كان خليفة بالبقاء ملكه

• (الباب السابع عشر في خيرا السلطان وشر السلطان) •

افضل الملوك من كان شكره بين الرعايا السلك واجدهم فيه قسطه ليس احدا حق به من احد
 لا يطمع القوي في حينه ولا يياس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذيده
 الامة من اما المدينة فتطوق به على سكت المدينة حتى تقضى حاجتها وفي حكم الهند افضل
 السلطان من امنه البرى وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البرى وامنه المجرم وقال عمر
 لا غير لما ولاد الكوفة يا مغيرة ليا منك الابرار ولتحفك الفجار وفي حكم الهند ايضا شر
 المال ما لا يتفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرى وشر السلاط
 ما ليس فيه نصب ولا امن وخيرا السلطان من اشبهه التسر وحواله الجيف لامن اشبهه الجيفة
 وحواله التسر وعن هذا المعنى قالوا السلطان تخافه الرعية خيرا للرعية من سلطان يخافها وفي
 الامثال العامة رجوت خيرا من رجوت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء
 والقسوة على الضعفاء والجمل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاثة من
 القوافر جارية لا نرم ان راى حسنة سترها وان راى سيئة اذاعها وامر ان دخلت عليها
 السكك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان احسنت لم يحمك وان اسأت قتلك وقال رجل
 لبعض العلماء متى اضل راعا علم فقال اذا ملكك امراء ان اطعمتهم اذلولك وان عصيتهم قتلولك
 وقال ابو خازم لسليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما تفق عنده اتى به وفي كتاب ابن المقفع
 الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده تفاق فيسكس بذلك التجور والدانة
 في آفاق الارض ونعم زياد جلا يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان
 هو السلطان وقال معاوية لابن الكواصفلى الزمان فقال انت الزمان ان تصلح يصلح وان
 تفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء
 ان احق الناس ان يحذروا المد والفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال بزرجمهر
 ادمم التعب محبة السلطان السي الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابليت بعصبة سلطان
 لا يريد صلاح رعيته فقد خربت بين امرين ليس بينهما خيار اما المبل مع الوالى على الرعية فهو

هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالى فهو هلاك الدنيا فلا حيلة لك الا الموت او الهرب منه وقالوا الملك العادل كائن الرعايا يتفجع به الاشرار والاكابر ولا يضرا احدا والملك السوء مثل الحية تبسرع اليها شرار الحيوان ويضامها الناس

(الباب الثامن عشر فى منزلة السلطان من القرآن)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يربى بالسلطان ما لا يربى بالقرآن معناه اى يدفع وقال كعب بن علقمة الاسلام والسلطان والناس مثل القسطاط والعمود والاطناب والاوناد قال قسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوناد الناس لا يصلح بعضهم الا بعض وقال ارد شيرلانته يابى ان الملك والدين اخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين اس والملك حاوس ومالم يكن له اس فهو مهودوم ومالم يكن له حارس فضائع يابى اجعل حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرتك لاهل الدين وسرك لمن عنامها هناك ولتكن من اهل العقل وكان يقال الدين والسلطان قوامان

(الباب التاسع عشر فى خصال جامعة لاهل السلطان)

قالوا ظفر الملك بعدوته على حسب عدله فى رعيته ونكوبة فى حروبه على حسب جورده فى عساكره واصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحسنه انصافه وسلاحه كفانه وماله رعيته وقالت حكماء الهند لا ظفر مع بغي ولا صمعة مع نهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا برمع شمع ولا اجتناب محترم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سود مع اتقاف ولا ثبات ملك مع تم اوين وجهالة وزارة ولما ولى أبو بكر رضى الله عنه خطب فقال أيها الناس انه لا أحد أقوى عندى من المظالم حتى آخذ به بحقه ولا أضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقيل لاسكندر بن نلت ما نلت قال باسئلة الاعداء والاحسان الى الاصديقاء وقال يزرجه رموسوا احرار الناس ببعض الموقدة والعلامة بالرغبة والرهبنة والسفلة بالخافة وقال الموبدان السياسة التى بها اصلاح الملك الرقى بالرعية وأخذ الحق منهم فى غير مشقة وسد القروج وأمن السبل وان نصف المظالم من الظالم ولا يحمل القوى على الضعيف وقالوا الوالى من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به وبه الوالى من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبعد الجسد مع البقاء بعد ذهاب الرأس والسلطان خلقى أن يعود نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوى النسيصة والتجبر على امرائهم ولا ينبغي أن يحسد الا على حسن التدبير ولا أن يكذب لأن أحد الا يقدر على استكراهه ولأن يغضب لأن الغضب والقدره للقاح الشر والندامة ولأن يعزل لأنه أقل الناس خوفا من الشر ولأن يحفظ لأن قدره جل عن المجازاة ولا ينبغي للوالى أن يستعمل من يغيبه فيما يكتفى فيه بالسوط ولا سوطه فيما يكتفى فيه بالجلبس ولا جلبسه فيما يكتفى فيه بالجفاهة والوعيد وقال معاوية ابنى لا أضع سبني حيث يكتفى سوطي ولا سوطي حيث يكتفى لسانى ولو أن بينى وبين الناس شهرة ما انقطعت اذا مدحوا خيلهم واذا خلوا هم مدحتهم ونحو هذا قول الشعبي كان معاوية كالجل الطيب والجل الطيب هو الخاذق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه ولا ينبغي له أن يهمل رعيته أنه لا يصاب خبره الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية

انكالا على نظره في جسميها فان اللطيف موقعا يتفجع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهم السلام ثم تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد لان التهاون باليسر أساس الوقوع في الكبير وقد قال الشاعر

لا تفقرن شيئا * كم جر شر اشيب

وقالوا اصل الاشياء كلها شيء واحد ولا تدع مباشرة جسم امره فلجسم موضع ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير ابدأ فيضيع الكبير وقال زياد لما جبه وليث بن جبابني وعزله عن اربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد مخزنه فقد وصارخ الليل لشدهاء وصاحب البريد قالتهون بالبريد ساعة يحرب عمل سنة وكان أبو العباس السناح يقول لا هان اللين حتى لا يتفجع الاباء لشدته ولا كثرت من الخاصة ما أنتهم على العانة ولا غدت سيني حتى يله الحق ولا عطين حتى لا أرى للعطية موضعا وقال أردشير لما كل ملكه وأباد أعداءه انه لم يحكم حاكم على العقول كالعبر ولم يحكمها المحكم كالعبرة وليس شيء أجمع للعقل من خوف وحاجة يتأمل بها صفات حاله وكان عمر يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال الرشيد هل تعرف كلمات جاءت للمكارم الاخلاق يقل اضلها ويسهل حفظها تكون لا غرناها لتفقا ولقاصدها ونقا تشرح المستهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا أمير المؤمنين دخل أكنم بن صبيح حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سألت عن أشياء لا تزال بصدري تخبطني وماتزال الشكوك عليها وابالجه فأباني بما عندك فيها فقال آيت الالمن سألت خيرا واستفتأت بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما بدا لك قال ما السود قال اصطناع المعروف عند العشرة واحتمال الجيرة قال فما الترف قال كف الاذى وبذل السدى قال فما الحمد قال حمل المغامر وابتناء المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخاف في الشدة قال فما العز قال شدة العز وكثرة العدد قال فما السماحة قال بذل النائل وحسب السائل قال فما التقى قال الرضا بما به كفي وقلة التقى قال فما الرأي قال لب نعينه تجربة قال له الملك أوربت زناد بصيرتي وأذكت نار حيرتي فاحتمكم قال لكل كلمة هجمة قال هي لك قال الاصمعي فقال لى الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فأنصرفت بثمانين ألفا وكان قس بن ساعد يشد على قيسر فيكرمه فقال له يوما ما أفضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال ما أفضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما أفضل المروءة قال استبقا الرجل ما وجهه قال فما أفضل المال قال ما قضى به الحقوق

• (الباب الموفى عشرين في اتصال التي هي أركان السلطان) •

قال أبو جعفر المتوسوما كان أحوجنى أن يكون على ياني أربعة لا يكون على ياني أحف منهم قبل من هم يا أمير المؤمنين قال هم اوسكان الملك لا يصلح الملك الا بهم كان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم فان نقص فائتة واحدة عابه ذلك أحدهم قاض لا ناخذ في الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة بنصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فاني غنى عن ظلمهم ثم عرض على أصبعه السبابة ثلاث مرآت يقول في كل مرة آه آه قال من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب بخبره ولا على العصة وقال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه لا يصلح الوالى الا بأربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له أمر ولا نهى قوة على جمع المال من أبواب حله ووضعه في حقه وشدة لاجبوت فيما ولين لا وحق فيه

• (الباب الحادى والعشرون فى بيان حاجة السلطان الى العلم) •

قال ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يجهلك ذلك فان زوال الكرامة بزوالها ولكن يجهلك ان أكرموك لأدب أو علم أو دين • اعلم أن رشدك الله أن أكثر الناس حاجة الى التفقه أكثرهم عيالا واتباعا وحشما وأصحابا والخلق مستقنون من السلطان ما له من الخلائق السنية والطرائق العلمية مضيقون اليه فى الأحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو أخرج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم ونخص بلا علم كبلد بلا أهل وأفضل ما فى السلطان خصوصاً فى الناس عموماً محبة العلم والتعلم به والشوق الى اسقائه والتعليم لحلقه فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعد من البهية ومضاهاته لا العالم العلوى وهومن أوكدم ما يتصب به الى الرعية واذا كان الملك خالياً من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالذابة بلا رصن تمرى غير طريق وقد تنافى ما تقر به • واعلم أن زهر الفضائل وحسن المناب وبها المحاسن وما ضا ذلك من قبض المناب وخس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة ونسرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون قبحك أقبح وليس أحسن أهل الدرجات السنية والمراتب العلمية أحوج الى مجالسة العلماء ومحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء وسر الحكماء من السلطان وإنما كان كذلك من وجهين أحدهما انه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطى حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله لو لم يمتد لهذه الامور عذتها ولم يقدم لها أهبتها والثانى أن من سواهم من الناس لا يعدون من مشرك عليهم وبما رضهم وبذلك لهم مساوهم ويخالفهم فى مذاهبهم فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة أنفسهم وتعلمهم من ارشادهم ومناظرة الاكفاء ومعايشة النظراء فلتج العقول وتهذيب النفوس وتدريب الأخذ الأحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يقاوم ولا يجالس الامم اعظم لقدرة مجل شأنه وسائر اسايه ومادح له بما ليس فيه وانما جوابه لهم صدق الامير وعلى قدر المرتبة يكون علو السقطة كما ان على قدر ارتفاع الحائط يكون صوت الوجبة

• (فصل) • يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد دون أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد أجل قدراً من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطراً من أن يتعلم حكم الله ولا أهلى شأننا من أن يتصف بصفات الله ومن صفات الله العلم الذى وصف به سبحانه نفسه ودح بدنه فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسى هو العلم والكرامى هم العلماء وانما كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أقبح والابتداء بالفضيلة فضيلة (حكى) أن ابراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه فقال يا عمى هذا فىما يقول هو لا فقال يا أمير المؤمنين شغلنا فى الصغر

واشتغلنا في الكبر فقال المأمون لم لا تعلم اليوم فقال أويحسني بمثل طلب العلم فقال نعم والله
 لأن عموت طالبا للعلم خير من أن نعيش قانعا بالجهل قال والي متى يحسن العلم قال ما حسنت بك
 الحياة وروى أن بعض الحكماء رأى شخصا يطلب العلم ويحب النظر فيه ويستحي فقال يا هذا
 أنت ستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله ولأن الصغرة أعذر وإن لم يكن في
 الجهل عذره وفي منور الحكم جهل الشيايب معذور وعلمه محذور فاما الكبير فالجهل به
 أفصح ونقصه عليه أفضح لأن علوا السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يقده علما كان الصغرة أفضل منه
 لأن الاصل فيه أقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغرة المساوية له في الجهل أفضل منه
 وكاذرنا من حاجة الشيخ الى العلم فحاجة السامان اليه أكثر ودراجه الى اكتسابه أشد
 لأن من عداه انما يخصه نفسه الواحد فبقرب عليه تصحصيل ما يقوهم به والمثقف منتصب
 لسياسة أهل ملكته وتعليمهم وتقويم أروهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر
 اذا لم يكن مزالسين مترجما • عن الفضل في الانسان سميت طفلا
 وما تنفع الاعوام حين تعددا • ولم تستقد فيهن علما ولا عقلا
 أرى الدهر من سوء التصرف مائلا • الى كل ذي جهل كان به جهلا
 وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستكشف
 ملكا أو ذومنزلة عليه عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين
 في أقصى المغرب على بحر القلزم الى لقاء الحضرة لم منه فلما نظره قال هل أتبعك على أن
 تعلمي ما علمت رشد اهذا هو نبي الله وكتابه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته من
 جميع خلقه قد أوصاه به وعلمه كيف يستعمل ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في
 خزائنه أكثر من العلم لنبيه عليه وهذا آدم عليه السلام لما نزلت الملائكة بتسليمها
 وتقديسها الرب اغتر آدم بالعلم فقال أئبثوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم
 بالسجود له وأخلق بخصلة تستدعي السجود لحاملها أن يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فضل
 الخطاب لمن تدبره ولا تنص لثقتك هذا ما عروى في بعض الاخبار من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم في العلم
 كالوشم على الصخر والذي يعلم في الكبر كالنقش على الماء فقد سمع الاحنف رجلا يقول العلم في
 الصخر كالنقش في الحجر فقال الكبير أكبر عقلا واسكنه أشغل قلبا فخصص عن المعنى ونبه عن اللفظ
 • وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون شيئا وكهولا وأحداثا وكانوا يتعلمون العلم
 والقرآن والسنن وهم يحجروا العلم وأحواد الحكم والنقح غير أن العلم في الصغرة أرفع أصولا
 وأبسط فروعا وليس اذا لم يعز به قوة كاه • قال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اني أريد أن أتعلم
 العلم وأخاف أن أضيعه فقال أبو هريرة كفي بتركك له تضيعا وبعض الخير خير من كل الشر وانما
 مثل الجاهل تحت غيب الجهل مثل الحال تحت حل ثقل فانه كلما أعيا نفسه قليلا قليلا يوشك أن
 ينقصه كاه فيسترجم منه وان هولم بطرح القليل حتى يطرح الكثير فإوشك أن يصرح به كله
 وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك أن يأتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر لما فاتته في الصغرة
 فأوشك به أن يموت تحت غيب الجهل

• (الباب الثاني والعشرون في وصية على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) •

رضي الله عنه لكي يلب في زياد في العلم وأهله قال كليل بن زياد الضبي خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الجبابة فلما أحضر تنفس الصعداء ثم قال يا كليل بن زياد ان القلوب اوعية فخيرها ووعاها التي تحفظ عنى ما قولك الناس ثلاثة تعال رباني وتعلم على سبيل شجاعة وهمج رعا ع أتباع كل ناعق يملكون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا منه إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكوك على الاتقاء والمال ينفق النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العالمين بدين الله بكسبه الطاعة في حياته وجيل الاحدوث بعده وفاته مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ان خاصهم مفقود وانما لهم في القلوب موجوده هان ههنا وأشار بيده إلى صدره لعلما جالوا أصبت له حلة بلى قد أصبت لقضاء غيري امون عليه يستعمل آله الدين للدينا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه أو كآقال وبنعمته على عباده أو منناد الاهل الحق لا بصيرة في اختياره ينقدح الشك في قلبه باقول عارض من شبهة الاذلا ولا ذلك أو مهموما بالذات صريع الاتقياد للشموات أم آخر شانه جمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شها بهما الانعام الساعة اللهم فكذلك يموت العلم يموت حامله ولكن ان تخلوا الارض من قائم لله سبحانه بحجة كسلات بل يحج الله ويؤناته ومن أولئك وأي أولئك أو تلك الاقلون ع مددا الاكثرون عند الله قدرا تخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزعموا في قلوب أشباههم ويودعوا في صدور ونظرائهم فهم بهم العلم على حقيقة الامر قبائش وروح اليقين فاستلنا وما استوحش القرفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صهبوا الدنيا باجساد أرواحهم معلقة بالمحمل الاعلى أولئك خلقاء الله في بلاده ودعائه إلى دينه آمشوقا إلى رؤيتهم

• (الباب الثالث والعشرون في العقل والذهاء والخبث) •

قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه ومجده وأحكامه بما لا مزيد عليه وقد ذكر ههنا منافع ومداركه ولباب ما اختر من القول فيه انه الاستمدا بالاشاهد على الغائب فمن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر إلى قصر قد كمل فيبانه وحسنت أركانه وجمعت فيه من الآلات ما يكفي به ما كتمه فاشرف عليه انسان فرأى بيوتها مقطوعة وأبوابها منصوبة وفرشها مفروشة وزرايها مبنونة وموائيم موضوعة ومخافاتها مصفوفة وأرائكها منصوبة ومجلا مشدودة وطونها وأبوابي وبيوتها وميازيب تصب الماء وتحم البلاليع لفيض الماء إلى سائر ما يبتعد عنه العقل لا الاتساع ثم فكر هل هذا القصر بما حواه صنعة قادر صانع عالم حي أو اتفق لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستغنى عقله بالضرورة احتماله وجوده من غير صانع وأنه مقتدر على ما صنع صنعه وهذا علم بهجم على القول لا يقتصر على النظر واستدلال وانما كثرت له هذه الامثلة لان ما في الانسان من الاعضاء ولطيف الصنعة والجهانب أكثر مما في القصر بأضاهاف مضاعفة فإذا نظر إلى ما في نفسه فرأى فيه من الجهاب والتراكيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه بما يجب نفع أو دفع ضرر فأنظر في عضو واحد مثلا وهو فم فيرى في

أوله اسنانا تشبه القاس تصلح للقطع وفي آخره طواحين. ضرورة تصلح للطين وشدقين كأنهما
 ثقبان الرسي يمنعان ان ينزلق الطعام الى خارج واسنانا يرد ما تنقلب من الطعام اليه على
 الطواحين ثم يلى ذلك بلعوم لازدوا به بعد الطحن على يداني تامل ان هذه الخلقة ما انقضت
 بنفسها انتفاها بل هي منتصرة الى قصد فاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبناذ كمنفعة
 كل عضو لو قفت على المحب والمكن تركاه كراهية التعاويل وعلى هذا المعنى به الكتاب المبهين
 فقال تعالى وفي أنفسكم أفلات تبصرون وبهذه العبرة تستقل العقول بالثبات الصانع وتستغنى
 عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المقيد لاثبات الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار
 والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائهم على اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند
 النظر في حدوث العالم علم استدلال اعتبارا بالغائب بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين صنعة
 وصنعة في اقتضاها صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لان الانسان لم يرزل يرى البناء في
 الخياط يخط والتجار يبيع الخشب ولم تر العقلاء القديم سبحانه يخلق ويخترع وانما استفادوه
 من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين أقوى في النقص وأثبت في العقول العلم بالصانع النظر
 في السرير واقضاه للتجار أم العلم بالله عند النظر في السموات والارضين وما بينهما فالجواب ان
 هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فليست هذه علم ان معه عقلا
 عزيزا ونسجه عقلا ونوجه التكليف عليه وهو العقل التكنيفي واذا ثبت هذا فاعلم ان الله
 تعالى خلق الخلق على أربعة انحاء ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم فاما الملائكة فتعقل
 بلا شهوات ولا هوى يقارنه وأما البهائم فشهوة بلا عقل وأما الشياطين والجن فتركب
 الله فيهم العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة فنقلت
 شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقانهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والمحب
 والمقت والفر والنعوى والحسد والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهائم فنقضت
 أوقانها في شهوات البطن والفرج واما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة والاخلاق
 الشياطين وشهوات البهائم فن غلب عقله هواء منهم فسكاه من عالم الملائكة كالانبياء والرسل
 والاولياء والاصفياء وقيل ما هم وامان كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فان كان ذلك من
 المباحات من اطاعهم والملايس والمراكب والنساء والخيل المسومة والانعام والحراث فأكل
 وتمتع بعد ان كسبه من حله فهذا من عالم البهائم وانما الحقايق بعالم البهائم لانه لا تكليف على
 البهائم وكذلك هذه المباحات لا سر في الاستمتاع بها بعد ان يكون كسبه من حله وان كان
 الغالب عليه اخلاق الشياطين من الكبر والمحب والحسد والغش الى سائر الاخلاق المذمومة
 فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات واتساع الهوى والاشفاق
 المذمومة فيكون آدميا في صورته شيطانيا في خلقه بهيمة في شهواته فلا يصلح للصحة وان ثبت
 هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي اطول رقة من العين وواجب الى الشخص من السيف

اولاد العرب كان يحسدني وامتنعني الله بخصايتي وملاحسته ايسر لك ان يكون لك مائة الف درهم وانك احق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يبحني على حقي جناية تذهب بمالي ويقي على حقي فاستخرج هذا الصبي بفرط ذكائه ما يدق على من هو اكبر منه سنا وقيل لبعض الصبيان اللذاب قال فكأنني عيسى بن مريم وقد قالت الحكماء آية العقل سرعة انهم وغايته اصابة الوهم وايسر للذكايا ولا الجودة القريبة نهاية الاتري ان اياك بن معاوية الذي يضرب المثل بك كانه قال لايه وهو طفل وكان ابوہ يؤثر اخاه عليه يا ابت تعلم ما مثلي ومثلي أخى معك انا كفرخ الحمام اقبح ما يكون اصفر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحه وحسنا فتبني له العسلالي ويتخذ له المربعات ويستحسنه الملوك ومثلي أخى مثل الجملح امح ما يكون اصفر ما يكون وكلما كبر قبح وصار الى الفقهري انما يصلح لجل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لذوي الحسنة وصحة الروية لطول عمارة الامور وكثرة التجارب ومرور الفير على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتنازع الدول قد مررت على عيونهم وجوه الغير وتعدت لاسماعهم انواع الاخبار وانا العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب نادبا وتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والفرصة ثمرة الجهول ولذلك سموت اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار ويتنايع الاخبار لا يطيبس لهم سم ولا يسهط لهم وهم وعليكم باراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاه اطبع فقد افادتهم الايام حسنة وتجربة وقد قال الشاعر

المترن العقل زين لاهله • ولكن نعام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة • افادت له الايام في كرها عقلا

غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف يرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتشفاه والهوى ابعد من ان يتدفيه حيلة الخازم المحتال وهو اغض مسلكتي الجنان من الروح في الجنان واملكت النفس من النفس والممالك للشيء ولهذا قيل كم من عقل اسير عند هوى امير في احب ان يكون حرافة يهوى والاصار عبدا كما قال علي بن الجهم

انفس حرة وفنح عبيد • ان رقى الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة ام لا فقال معظم العقلاء انه فضيلة اذا كان مجموع آحاد والاحاد فضائل ولا شك ان كثرة الفضائل فضيلة اما الشيء المهدود فتكون الزيادة فيه نقصا من المهدود كالتهور في الشجاعة والتبذير في الكرم فاما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الناس اعقل الناس وقال عليه السلام اعقل حيث كان الف مالوف وقال القاسم بن محمد لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حقه في اغلب الخصال عليه ولما مات بعض الخلفاء حدثت الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الا ن يستغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الفرقة منهم والوثة عليهم ونضربوا في ذلك مشاورات وتراجعا فراقية بالناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وفرصة النصر وكان رجل منهم من ذوى الراي والمعرفة غابا عنهم فقالوا من الخزم عرض الراي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا

عليه قال لا اري ذلك صوابا فسالوه من علا ذلك فقال غدا اخبركم ان شاء الله فلما اصبحوا
غدا وعليه للوعد وقالوا لقد وعدتنا قال نعم فامر باحضار كلبين عظيمين قد اعدهما ثم حرس بينهما
والب كل واحد على الاخر فتواثبا وتمارشا حتى مالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت
عنده وارسل منه على الكلبين ذنبا عنده قد اعد له فلما ابصرهما تركا ما كانا عليه وتالفت قلوبهما
ووثبا جميعا على الذئب فتالاهما ما احبا ثم اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين
مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقنال بينهم ما لم يظهر لهم عدو ومن غيرهم فاذا
ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتالفتوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفقدوا
عن رأيهم وأما المذموم في هذا الباب فصرف العقل الى الدعا والمكر قال الشعبي ودهاة
العرب ستة معاوية بن ابي سفيان وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد بن امية
وقيس بن سعد بن عباد وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقال الاصمعي كان معاوية يقول أنا اللاناة
وعمر والبدية وزياد الصغار والكار والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رأيت اعطى
لجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حملا ولا أطول انامن معاوية
ولا رأيت أغلب للرجال ولا يذلهم حين يحقون من عمرو بن العاص ولا اسمه سرا بعلاية
من زياد ولوان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر يخرج من
ابوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبي عليه السلام يا عمر ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا
قلت بآي وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وأدقراض الله تكن عاقلا ثم تغفل
صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزد من ربك قريبا وعليه عزا (ويروي) لعلي بن ابي طالب
رضي الله عنه شعر

ان المكرم اخلاق مطهرة • فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها • والجود خامسها والعرف سادسها

والرياسة سابعها والصبر ثامنها • والشكر تاسعها واللين عاشمها

والنفس تعلم اني لأصدقها • ولست أرشد الا حين أصعبها

والعين تعلم في عيني محدثها • ان كان من حزينها أو من أعادها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ومن رأيه في امداد فقوله شديد وقوله جيد
والجاهل من جهله في اغواء وقوله سقيم وقوله ذميم فاما من صرف فضل عقله الى الدعا
والمكر والشكر والحيل والتدبيرة كالجحاح وزياد واشباههم فانه مذموم وقد قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لست بالخب والخب لا يخدعني وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع والموصوف بالدعا والمكر مذموم
وصاحبه محذور وخائف غوائله وتحذر عواقب حياته وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله
عنه بأباموسى الاشمرى ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زيادا عن موحدة أو خيلة يا أمير
المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت ان أحمل الناس على فضل عقلك وكتب زيادا الى
معاوية رضي الله عنه ان العراق في شمالي وبيحي فارغة فولي الجحاحا فكذلك أهله فبلغ ذلك ابن
عمر فقال اللهم كفه فطعن في أصبعه بعد أيام فمات فقتل وان كان رغب عن الدعا والمكر فاما

نرغب في الحيلة ونرضى بها والانساع في الحيلة مما نواصى به العقل مقدميا وحديثا وليس
شي من أمور الدنيا الطالب الرفعة وباغى الوسيلة وممر نادى أمر كان دق أو وجل خبر من
الحيلة وأضعف الحيلة أنفع من كثرة الشدة وقالت الحكمة املاك العقل الحيلة والثاني
السبب الضعيف والقوى من الامور (وردى) ان رجلا وقف لكسرى فقال أنا أصنع
ما تهجز الخلائق عنه قال ما هو قال بشد برجلي حبل طرفه برقبه القبل وبرجلي الاخرى كذلك
ويشد طرفه برقبه القبل ثم يساق القبل بالضرب والزجر فلا اترشح ثم طلب ان يفعل ذلك
باربع من القبل فمرت بصدتها ففسهوه شطرن فقال كسرى من لم يكن أكبر ما فيه عقله هلك
بأكبر ما فيه فتنظم بعض الشعراء فقال

من لم يكن أكبر عقله * أهلكه أكبر ما فيه

(وسمعت) استأذنا بالواليدي حتى ان رجلا استأذن على هرون الرشيد وقال اني أصنع ما تهجز
الخلائق عنه قال الرشيد هات فاخرج انبوه تعصب فيها اربعة ثم وضع واحدة في الارض وقام
على قدميه وجعل يرمي ابرة ابرة من فامته فتقع كل ابرة في عين ابرة الموضوع حتى فرغ دسسته
فامر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمره بما عهد يسار فستل عن جمعه بين الكرامة والهوان
فقال وصلتته بطردة ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم أن العقل
المكتسب اذا تناسى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل هيات متوسطة بين فضيلتين ناقضتين فما
جاوز المتوسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو متوسط بين الجذل والتبذير والشباعة
وسيط بين الثور والجن (وقالت الحكمة لاسكندر) أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور
فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث) ان النبي عليه السلام قال خيرا لأمورا وسطاها
(وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه خيرا لأمورا لا وسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالى
فالاولان زيادة العقل تفضى بصاحبها الى الدماء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كانه باطل
بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو متقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبسائر الفضائل وأما
قولهم انه يفضى بصاحبها الى الدماء والمكر قلنا الدماء والمكر كسب معان أخر غير العقل
ليست من لوازم العقل فان شاء تدهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شيء يكتسبه العاقل
باختياره وليس عقله أوقعه فيه بل انما أوقعه فيه قلة عقله وكان يزيجه ولما فرغ من كتاب
أمثاله ونسق كل باب على حياه يقول ليس العجب عن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما
العجب عن حفظها ولم يصرع عالما وأنا أقول ليس العجب عن قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا
انما العجب عن قرأه ولم يصرع مهذبا كاملا

(الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم)

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى
عن الوزير لما كان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد
به أزرى وأشركه في أمري دلت الآية على ان موضع الوزارة أن تشدد قواعد المملكة وأن
يفضى اليه السلطان بجمعه ويجهز اذا استكملت فيه الخلال المحودة ثم قال كي نسبك كثيرا
ونذكر لك كثيرا دلت هذه الكلمة على ان بعضة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة

تتظم أمور الدنيا وأموال الآخرة وكان أشجع الناس يحتاج إلى السلاح وأقره الخليل إلى
السوط وأحد الشفاري إلى المنى كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير
(ويؤى يوسف الخدري) قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة الا كانت له بطاقتان بطانة
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وبطانة تأمره بالنمر وتنهى عنه عليه والمعصوم من عصمه الله
تعالى وانما اشتقت الوزارة من الوزر وهو الثقل يريد انه يعمل من أمر المملكة واعباتها
وأشغالها مثل الاوزار أسعد الملوك من له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه وقال
وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور
هامان فشاوره في ذلك فقال ليغيا أنت الله تعبد اذ صرت تعبد فافهم واستكبر وكان من أمره
ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الطاج يزيد بن ابي مسلم لا يالوه خبالا ولبس القزواء شرا
قرين لشرفدين وأشرف منازل الأتبعين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير مع الملك بمنزلة
الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومفرغ عند الحاجة الوزير مع الملك بمنزلة
سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) ان أول ما يستفيد الملك من
الوزراء أمران علم ما كان يجوله ويتقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه وأول ما ينظره من
السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استقابة الوزراء واستقادة الجلساء ومحادثة العقلاء
فهذه ثلاث خصال تدل على كماله وبها يعمل في الخلق ذكره ويجعل في العقول قدره وترسخ
في النفوس عظمته والزم موسوم بشيئيه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزناؤهم وفي
كتاب كليله ودمسه لايصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة والمودة
والنصيحة الا بالسر والعفاف وأعظم الاشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة
ان يحرموا صالح الوزراء والاعوان فتكون أحوالهم غير ذي جدوى وغناء ويحذر الملوك
ان يولي الوزارة غير المحبرين كي لا تضاع الامور كما يحذر ان يطلب بغريب طيب بصير مأمون
(قال شريح بن عبيد) لم يكن في بني اسرائيل ملك الا و معه وجل حكيم اذا رآه غضبان كتب له
ثلاث صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب
الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه (وقال اودشير) بحق على الملك ان العطف ما يكون قطرا أعظم
ما يكون خطرا ولا يذهب حسن أثره في الرعية خوفا لها ولا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد
وأن يكون حذره للملاقين أكثر من حذره للمتبعين وان يتق بطانة السوء أسدق من اتقائه
العامة ولا يطمع في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال اودشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع
بذلك جميع المملكة فاذا أقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطاته على مثل
ذلك حتى يجمع على اصلاح عامة الرعية ومنال الملك الخير والوزير السوء الذي ينجع الناس
شبهه ولا يمكنهم من الدعوة كلما في فيه القساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ما يجا
وكان الى الماء محتاجا ومنال السلطان مثل الطبيب ومنال الرعية كمثل المرضى ومنال الوزير
كمثل السفيرين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا أراد ان
يقول أسد من المرضى وصف لاطبيب نقض دأبه فاذا سقاء الطبيب على صفة السفير هلك
العديل كذلك الوزير يقتل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن همنا شرط ان يكون الوزير

صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلافة بصيرا بامور الرعية وتكون طاعة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لشخصا قليلا إذا ارتفع جفا فأمر به وتكره معارضة واستصف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحاج يزيد بن ابي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحي ذر الحاج باستكتابك اياه فقال يا أبا حفص اني لم أجده عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أما وجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابلدس مامس دينار ولا درهم وقد أهلك هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يعيل اليه ويقربه فقال

يا ملك طاعته في الوري • وجهه مقترض واجب

ان الذي شرفت من أجله • يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذي فاستله يا أمير المؤمنين عن ذلك فعلاه فلم يجبه بدمان أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام لا يعرف وزير الملك ماله وماعليه حتى يرعى من صاحبه الوائى به ما يراعيه العاشق الغيور من المشوقة المتهومة (وكان) بعض الملوك قد كتب ثلاث رفاع وقال لوزيره اذ رأيتني غضبا نافذ فاع الى رقة فكان في الواحدة انك استبته وانك سمعت وتعود الى التراب فاما كل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحتك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بكم الله فانهم لا يسلمهم الا ذلك اذا كان الوزير يساوى الملك في الرأي والهيبة والطاعة فليصره الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع (وفي الامثال) اذا سكنت الدهماء خاف الوزراء • ولما كانت امور المملكة عائدة الى الوزراء وازمة الملوك في اكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المنزل السائر فقالوا لا تقترع بعودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فلا تخش الامير ويقال الخرق بملاوة الامراء ومعاداة الوزراء ورب أمر ره الامير فتم بالوزير وكتم من أمر اراده الامير فتناء عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير بابها في أي الدار من بابها ولج ومن أتاه من غير بابها فزعج (وقال أنوشروان) لا يتم للملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له مجلس أمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كرفع المرأة من النظر فكان من لم ينظر الى المرأة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته والخصوص بقربه وزومه دون نظرائه فاهل الامير وزيره وزيره حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه السكرية قوام الخلافة وقرينة الرئاسة وعود المملكة للكاتب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويقتضى مره اليه (وقد قالت الحكماء) لا يطمعن ذوو الكبر في التنا ولا تلعب في كفة الصديق ولا السبي الادب في الشرف ولا الشجع في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتعاقب الضعيف الوزراء في بشاء الملك وكان المرأة لا تترك وجهك الا بصفا جوهرها ووجوده مقلها ونقاها من العدا كذلك الامير لا يكمل أمره الا بجدود عقل الوزير وجمعة فهمه وصفاته نفسه ونقا قلبه (ومن شروط الوزير) أن يكون مكين الرحمة

للخلق رؤفاهم لياصور رجته مايجرحه السلطان بقلطته (ومن شروطه) أن يكون نقي الجيب
 ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة • وقال بعض المولوك لو زير لا تكون الى ما تشرى
 به أسرع مبادر من انذارى فيما يضاف على منه • وقال بعض المولوك اعط من أهلك بما تشكره
 كما تعطى من أهلك بما تحب فان من أئذوكن بشر (ومن شروطه) أن يكون معتدلا كليل تمامة
 لاسر ولا قر وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكان السلطان اذا صلح صلحت
 الرعية واذا فسد فسدوا كذلك الوزراء اذا فسد وافسد الملك واذا صلح واصلح الملك (وكان)
 يقال آفة العقل الهوى وآفة الأمير خفاة الوزير • وقال المتقدم رباحه لوزير على بن عيسى اتق
 الله يعطى عليك ولا تعصه فيسلط عليك • وقال المأمون لمحمد بن زنادياك أن تعصى الله
 فيما تقرب به الى فيسلط عليك (واعلم) انه ليس للوزير أن يكتم السلطان نصيحة وان استغفلهما
 وموقع الوزير من المملكة كوقع العينين من الانسان وكالسدين فانه اذا صبح قبضهما
 وبسطهما صبح التدبير واذا سقما دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة أن تكون في غير
 أهلها كما لا يصلح الملك أن يكون في غير أهل • وشتر الوزراء من كان الاشرار أيضا له وزراء وبطانة
 ودخلاء وأوصت امرأته انها لو كان ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء وزير
 يثق برأيه ويفضى اليه بأسراره وحسن يلبأ اليه اذا فرح وسيف اذا نازل الاقربان لم يهتبه
 وذخيرة خضفة المحمل اذا نابه فائبة كانت معه وامرأة اذا دخلت عليه أذهبت همه وطباخ
 اذا لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهيه

• (الباب الخامس والعشرون في الجلساء وآدابهم) •

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال سبحانه يا وليتنا لنفك لم اتخذ
 فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد ادباني وكان الشيطان للانسان خذولا • وينبغي للملك
 أن يجالس أهل العقل والادب وذوى الراى والحسب وذوى التجارب والعبر فجالسة
 العقلاء ملصاح العقل ومادته ولذلك حدث آراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوفاة
 وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يقطع لهم وهم وقالوا عليك بآراء المشايخ فانهم ان
 فقدوا ذكاء الطبع فقد هربت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آراء الفير وقالوا
 رأى الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال عبد الملك) جلسائه جنبوني ثلاثا لا تطرونى فأتى أعرف
 بنفسى منكهم ولا تكذبونى فانه لا رأى لكذب ولا تغتابوا عندى أحد اقية سدا على عليكم
 (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب ناديا وينقلب الايام غطة وقالوا التجربة مرآة العقل
 والفرقة غمرة الجهول • وقد قال هرم بن قطيبة وهو أحد حكماء العرب حين تناقروا اليه عامر بن
 الطليل وعلقمة بن علاية عليهما الحديث السن الحديد النظر (وقال كثير من حكماء العرب)
 عليكم عشارة الشباب فانهم يتبعون رأيا لم يعلمه طول القدم ولا استولت عليه وطوبى له
 والمذهب الاول أصدق على العقول • وقال عبد العزيز بن زورارة معاوية عليك بجالسة الالباء
 اعداء كانوا واصدا فامان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) بجالسة العقلاء تزيدي
 الشرف • وقال سفيان بن عيينة ان الرجل عن كان قبلكم للقى الرجل العاقل فيكون عاقلا
 أياما وقال مالك بن أنس مرسلان بن داود عليهما السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا

غدو نأمن قرى اصطخره • الى القصر فعلنا
 فن يسأل عن القصر • فنبينا وجدناه
 بقلل المدر بالمر • اذا ما هو ماشاه
 وفي الشيء على الشيء • علامات واشباه
 فلا تعصب أخال الجهل • واياك وايا •
 فكهم من جاهل أردى • حليما حسن آخا

قال ووجدنا عليه نسرا واقعا فداء فقال من في هذا القصر قال لا أدري قال كم لك منذ وقعت
 عليه قال تسع مائة سنة (وفي الامثال) بطن بالمر ما بطن بجلبه (ولما) حج عبيد الله بن جعفر نزل
 مكة ليلا فلما أصبح ذل بأهل مكة عرفنا خياركم من أشراوكم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك
 قال نزلنا ومنا خيارا وأشرافنا وأخيارنا على خياركم وأشرارنا على أشراوكم فعرفناكم
 • واعلم أنه ليس الدخان على النار بادل من الصاحب على الصاحب • وقال الاوزاعي الصاحب
 للصاحب كرقعة في الثوب ان لم تكن في مثله شأنته • وقال مالك بن مسمع للاخنف بن قيس يا أبا
 بصير ما اشتاق الى غائب اذا حضرت ولا أنتفع بحضوره اذا غابت فاخته ابراهيم بن العباس
 الكاتب فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من بينهم • وأنت الحبيب وانت المطاع

وما لك ان بعد واحد • وما هم ان بعد اجتماع

• وقال عبد الله بن طاهر المال غادورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافر
 • وقال الاصمعي تناظر رجلا نواعري حاشر فقال لاحدهما مناظره مثل في الدين فرض
 والاستماع منك أدب ومجالستك زين وعرفتك عز وهذا كرتك تلقى للعقول وشخذ
 واحاولك شرف وغفر • وقال السهماني غنى مخاوق بين يدي المأمون

واني لمشتاق الى ظل صاحب • يروق ويصفق كدورت عليه

عذيري من الانسان لان جفوته • صفالي ولان صرت طوع عيدي

فطرب المأمون وقال ويحك يا مخاوق خذ مني نصف الخلقة واعطني هذا الانسان • وقالت
 الحكماء النظر في عواقب الامور تلقى العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقه والاحسن
 لا تدوم مودة فانخذ من نصحاء اصحابك مراء طبا بئعك وفعا تلك كما تنخذ لو جهك المراء الجلوة
 فانك الى صلاح طبا بئعك اخرج منك الى تحسين مورثك • وقال المأمون الحسن بن سهل
 نظرت في اللذات فوجدتها كلها مخلوقة خالصة لاسبعة قال وما السبع يا أمير المؤمنين قال خبز
 الخنطة وطعم الفسمن والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والقراش الوطي
 والنظر الى الحسن من كل شيء قال فإني أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت
 وهي أولاهن • وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطرن كل شيء فاكث الحسن والحامض
 حتى لا أجدهم ساطعا • وشعث الرائحة حتى لا أجدهم رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالي
 مراء أتيت أم حناط فوجدت شبأ الذين جلس يسقط بيني وبينه مؤنة التفظ • وقال
 عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطرن كل شيء إلا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على

العلالي العقر * وقال عبد الملك من قرب السفلة وأدناهم وباعد ذوي العتل وأقصاهم
استحق الخذلان ومن منع المال من الحدوثه من لا يحصده ومن الكلام الشريف قول
الحكامة ما أخرج ذا القدرة إلى دين يحجزه وحياه يكفه وعقل يعدله * وإلى تجربة طويته وعبر
محفوفة وإلى اعراق تسرى إليه واعلاق تسهل الأمور عليه وإلى جليس رفيق ورائد
شقيق وإلى عين تنظر العواقب وعقل يحاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الأيام لم يحقر من
سطوات الدهر ولم يتحفظ من فلتات الزلل ولم يتعاطمه ذنب وإن عظم ولا تنام وإن سجع وإذا
رأيت من جليتك امرأتك رهأ وخله لا تحبها وصدرت منه كلمة عوراء أو هفوة غبراء فلا
تقطع حبلة ولا تصرم وقته ولكن داوكله واستر عورته فابسه وابرأ من عمله قال الله تعالى فإن
عصوا فقل اني بري مما تعملون فلما امر بقطعهم وانما امر بالبراءة من علمهم السوء قال الشاعر
إذا راب مني فصل فقلعه * بقيت وما بي للنهوض مفاصل

ولكن أدويه فان صح سرتي * وان هو أعيان كان فيه فحاصل

* وأتى رجل إلى بعض الحكماء فشكا إليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له
الحكيم أنتهم ما أقول لك فاكثر أم بك من فورة الغضب ما شغلك عنه فقال اني لما تقول
واعذتال أسروك بعودته كان أطول أم غك بذنبه قال بل سروري قال أغضبته عندك
أكثر أم سبائه قال بل حدنائه قال فاصبح صالح أيامك عن ذنبه وهب لسرورك بجرمه واطرح
مؤنة الغضب والانتقام منه واعمالك لا تنال ما أملت فتطول مصاحبة الغضب وأنت حائر
إلى ما تحب

• (الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان) •

قد ذكرنا الخصال التي تجرى من المملكة بحري الأساس من البنيان وتذكر الأمان الخصال
التي تجرى من المملكة بحري التاج والطلاسم وحسن الهيئة والكمال فأكملها وقاعدتها
العقر قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما تولت هذه الآية على
الزبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا أدري حتى أسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد
فقال يا محمد بك يقرؤك السلام ويا امرأ أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك واعلموا اني قد علمت ان الله تعالى أمر بالعفو ونسب إليه وذكر فضيلته وحث عليه
ووهب فيه نفسه فقال سبحانه والمكانمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
فاوجب الله تعالى محبته للعافين وأثنى عليهم بالاحسان فقال ولئن صبروا وغرنا ذلك لمن عزم
الأمور وعزائم الأمور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم
من الرسل وقال سبحانه وإذا ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعفووا وليصغروا ألا
تحبون أن يغفر الله لكم فاستهطف الخلق وذهبهم إلى أن يعفوا عن الجفنة والظالمين
والخاطئين كما يحبون أن يفعل الله بهم وقال فيمن انتصروا لم يغفروا لمن انتصروا بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء
وأزاح العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال

سبحانه وان عاقبتهم قضايبوا عجل ماء وقيته به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نص لا يحتمل التأويل وتحقيق القول في ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله أحب اليه من الانتصار لانه ان عدل علينا فآخذنا بجهنم هلكلوا ان عفا عنا برحمته فخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استعصا ومناقشة وذلك مما تضيق عنده النفوس وتخرج له الصدور رناط الاحسان بالعدل فقال ان اقمي امر بالعدل والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وايضا فالانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجواب سيئة سيئة مثلها غير انها انما سميت سيئة لما كانت تبيهة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عرو بن كنوم التغلبي

الا لا يجهل ان احدهما * فنجعل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا رويت عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم متصرا من مظلة ظلمها قط غير انه اذا انتهك شيء من محارم الله فلا يقوم لضبعه شيء (وروي) انه قال ينادي مناد يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقيم فلا يقوم الا من عفا الذي افاض عفوت أيها الطالب كان أجرك على الله وان لم تعف كان حقل قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أو توهم ان يكون قبل مخلوق وايضا فان لم تعف نلت حقل بلا زيادة عليه وان عفوت كان حسنة أسديتها لخير الله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وشفع الاخف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريئا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك أمر فقال لأبائي فضيل له ولم لا تبالي قال ان صدق الناقل وسعني عفوه وان كذب الناقل وسعني عدله * وما داخل عيفة بن حصين على عمر بن الخطاب قال يا ابن الخطاب واقه ما نطعننا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم بلن يوقع به فقال ابن اخيه يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فواقه ما جا وزها عمر حين تلاها عليه وكان عمر واقفا ضد كتاب الله تعالى (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارحوا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ارحم ربحم وكان يقال أولى الناس بالسلطان احبهم بالرافة والرحمة وفي الانجيل افعل اهل الرحمة لانهم سيرجون (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لقد أبغض الله التسرعين الى ارافة السماء فاليهم انتهت العسوة والغلظة والتباعد من الرحمة ولم تحسن داود من قتل جالوت ابني عليه وهو يومئذ عدوه وطالب بموالاته يارب اعظمهم في عين أعدائي كما عظمت في عينى دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهموم * وقالت حكاء الهند لا سود مع انتقام ولا يسا مع عازة نفس وعجب (وقلت) الحكيم ليس الاقوا في شيء أجود منه في العفو ولا هو في شيء أجود منه في العفوية وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العفوية * واعلم انك ان تخطي في العفو في ألف قضية خير من أن تخطي في العفوية في قضية واحدة (وقال) معاوية اني لا رفع قضى أن يكون ذنب أعظم من عفوى وجهل أصح من حلى وعورة لا بوار بها سترى (وقال) المادون

ليس على في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علوا رأيت في العفو يذهب الخوف عنهم فخلص
 لي قلوبهم • وقال رجل للمنصور بأمر المؤمنين ان الانتقام اتصاف والتجاوز فضل والتجاوز
 قد جاوز حد المنصف ونحن نعبئ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه ما وكس النصيب وأن لا يرتفع
 الى أعلى الدرجتين فاعف عنا يصف الله عنك نعمنا عنهم وانشدوا

واذا بقي باغ عليك يجيله • فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عاقبته والله ما أدري أي الأمير أي يوميك أشرف أيوم
 ظفرت أي يوم عفوت وقال الشاعر

ما زلت في العفو للذنوب واط • لا قك جان بحسرة ملق

حق عني العفاة أنهم • عندك أمسوا في الصبر والخلق

ورفع الى انوشروان ان العامة تتوب الملك في معاودة الصنيع عن المذنبين مع متابعتهم في الذنوب
 فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء وليس معاودة الداء اياهم بما نعلمنا من معاودة العلاج لهم
 (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرنت شي الى شي أفضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة
 (وقال) رجل لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك
 ولا تنصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) بعض التابعين المعاقب مستدع لعداوة اولياء المذنب
 والعافي مستدع لشكرهم أو مكافأتهم أيام قدرتهم ولان ينفي عليك باتساع الصدر خبر من
 أن تنسب الى ضيقه وأقاله العثر متوجبة أقاله عثرتك من ربك وعفوك عن الناس

موصول بعفو الله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك والله يحب العافين (وقال)
 المنصور عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرار التصريح • وقال المأمون لما رأيت
 الذنوب جلست عن الجبازاة بالعقاب جعلت العقاب فيها عفوا أمضى من الضرب للرقاب
 • وقال الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفوضيا والبذل سرفا • وفي الحكمة اذا
 اتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت (وقال) بعض الحكماء اقبل العذر وان
 كان منه صوغا الآن يكون ممن أو جبت المروءة قطيعته أو يكون في قبولك عذره تشجيعه
 على المكره أو عونه على الشرفان قبولك للعذريته اشتراك في المنكر (ولما دخل) القليل
 دمشق حشر الناس رؤيته وصعد معاوية الى علية متطلعا فينا هو كذلك اذ ظفر في بعض
 الطير في قصور جلامع بعض حرمه فاني الحجرة دق الباب فلم يكن من قصه بدفوقعت عينه على
 الرجل فقال يا هذا أنى قصرى وتحت جناحي تهتك حرى وأنت في قبضتي ما حملت على ذلك
 فبهت الرجل وقال حلك أو قهني قال معاوية فان عفوت عنك تسترعا على قال نعم نخلي سبيله
 وهذا من الدماء العظيم والحلم الواسع ان يطلب السر من الجاني وهو عذر قول الشاعر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم • ونذنبون فأنابكم فنعتذر

(واتى موسى الهادي) برجل قد جنى لجعل يقرع بذنوبه ويتهدده فقال اعتذارى عما تقري عني
 به وتعليك واقرارى بما ذكرته ذنب ولكني أقول

فان كنت رجوف الحقوية راحة • فلا تزهدي عند العافاة في الاجر

فامر باطلاقه (وقال المهلب) لاني ابقى للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته منه

بحسن العقول يوحسها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة أوحسها الذنب وان صغر
حتى يضطر ذلك الى المعصية • ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول ساويرس قديس
فقال يابقي ان أعجز كم ان غلوا قلوب الرعية حبا فاهلوا خوفا وليس ذلك بان تحمل العقوبة
على من لا يبتعضها ولكن تهيئها لمن يستحقها • وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشر بينهم من
خلفهم وهذا معنى لا يحتل عما أوجبناه وهو معنى قول ما يور ولا يخالف ما قررناه من حسن
العضو بل هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما في تركه اغرار بركون أمثاله فهنا يكون
العقوب مفسدة فبإياها العقاب اذا أفت على مذهب عقوبة فلا تكن كالتشقي المثلذذ به
لأنك وإياه اخوان لأب وأم آدم وحواء لم تفضل بهجولك وقوتك بل بما فضل الله به تطولا عليك
فاذ كر لو كنت في مقامه وكان في مقامك ولاتأمن تطب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم
ولا يظفر في العقاب واحذر التفریط والتقصير وأقم نفسك مذبذبا أقيم للعقوبة وليكن
عقابك مقدرا كما كان عطاؤك مقدرا وليكن عقابك لا تقويم لالانتقام ولزجر لالهوى
وعن هذا قال بزرجه لا ينبغي للملوك أن يكرمو احدا هو ان من ليس لله وان اهلا ولان
يهنوا احدا باكرام من ليس للكرامة اهلا • لا تكن على الاسماء أقوى منك على الاحسان
ولا على البخل اسرع منك الى البذل قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه • من العقول يعرف من الناس مجرما

فليس يبالي أن يكون به الاذى • اذا ما الاذى بالكره لم يضر مسلما

(وقال سليمان بن داود) عليهم السلام التنكيل والعقوبة امنية الملك الشري وعلى مثله يعث
الله لملاكه ربح • وقال معاوية لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب أو رضا الا لتواب أو عقاب
وقال اردشير فضل الملك على السوقه انما هو يشد رده على اقتناء المحامد واستفادة المكارم
فكلما استكبرتم مابنت فضيلته واستحقاقه لموضع من الولاية عليهم وكلما نقص منها قارب
من السوقه (وقال المأمون) انى لا جدد لعقوى لذة أعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب
الملك أو هان على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطا في الرأى أعظم مما ادخل على
صاحبه من العقوبة • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من
ظفر بالاثم (وقيل) لا فلاتون أى شئ من افعال الناس يشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان
الى الناس وقال الحكيم الحليم فدام السفيه والعقور كلة العقل • وقال الحكيم السيد الذي
لا يشين حسن الظفر بفتح الانتقام وخير ما قبال المملوك العقوب • وكان يحيى بن معاذ يقول
سبحان من أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت خير راحم وان عذبت فخير
ظالم الهى انه كدت لا ترضى الاعن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجو
الاهل وفانك فحين يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن • لعز الحليم ينتقم الحليم

(ودوى ان الجاهل) أخذ القطري بن الصماء فقال لا تقتلك قال ولم قال لخروج أخيك على قال
فان معى كتاب امر المؤمنين ان لا تأخذنى بذنب أخى قال هانه قال ان معى أو كد منه قال الله
تعالى ولا تزروا زرة وزرا أخرى فتجيب من جوابه وخلي سبيله • ولما وفد عقييل بن أبي طالب على

معاوية امر له جماعة أن تصدروهم فلما أرادوا التصرف رأى في الطريق جارية باربعين أنفصدرهم
فرجع إلى معاوية فآخبره قال وما صنع بها قال تلد لي غلاماً فإن اغضنتي يضرب مقرقك
بالسيف فأمر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية
ضبعة فبلغ الحسين بن علي الخبر فكتب إلى معاوية أني لا أجيز بيع مسلم فأرسل معاوية إلى مسلم
فقال هذا كتاب الحسين يا بني رد المال فقال مسلم أما دون أن أضرب مقرقك بالسيف فلا
فصلت معاوية وقال والله لقد تهديني أبوليك ذلك قبل أن يشتري أمك وسوغه المال فقال
الحسين فليتنا معاوية على وجودنا

• (الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة) •

وهذا الباب مما يبعده الحكيم من أساس المملكة وقواعد السلطنة ويقتصر إليه الرئيس
والمرؤس وقد ذكرناه في باب الخصال القرآنية ونذكره هنا فولدناها وحاسنها • اعملوا ان
المستشير وان كان أفضل رأيًا من المشير فإنه يرد ادبراً به رأياً كما ترداد النار بالسلطاناً فلا
يقذف في روعك الخ اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك فينبغي لك ذلك
عن المشاورة فائق لا تريد الرأي للغير به ولكن للاستتباع به فان أردت الذكر كان أغزر ذكر
وأحسن عند ذوى الالباب لسياسة أن يقولوا لا يتقدم برأيه دون ذوى الرأي من اخوانه ولا
ينبغي عزمك على اتخاذ رأيك وظهور مصوابه لك عن الاستشارة الاترى ان ابراهيم عليه السلام
أمر به مع ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة
فيه فقال فيه يابني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من أحسن ما رسم في هذا
الباب • وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى القرد كالخط السبيل والريان كالتلطين
والثلاثة الا ترى الامتداد تنقطع ويرى أن روميًا وفارسية فآخروا فقال القارسي نحن لاثلاث
عليان من يشاور وقال الرومي ونحن لاثلاث عليان من لا يشاور وقال بزرجمهر اذا أشكل الرأي
على الحازم كان بمنزلة من أضل لواءه فجمع ما حول مسقطها فاقسمها فوجدوها كذلك الحازم
يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان)
يقال من كثرت استاونه جدت امارته وفي حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد
برأى الوزراء الحزمة كما يزداد البصر بجماد من الانهار وينال بالحزم والرأى ما لا يشا بالحقوة
والجند ولم تزل حزمة الرجال يستحلون من ارقول النعماء كما يستحل الجاهل المساعدة على
الهوى • وقال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق الخلو ع يعني أخاه الأمين فقال كان
واسع الصدر ضيق الادب ينج من نفسه ما تأباه هم الاحرار لا مصعباً إلى نصيحة ولا يقبل
مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك مما يهيم به قال فكيف حروبه قال يجمع
الكتاب بالتبذير وبقره فابوء التبذير فقال المأمون ذلك ما حل محله أما ما قلت لو اقلدانة
النصائح واختار مشورة الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به • وقال بعضهم اتقوا الملوك
الامور بغير روية كالعبادة بغير ربة ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم يشهدون القلوب
ويستترون صواب الرأي من كل أحد حتى الاممعة الوعلت هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يقول رحم الله امرأه اهدى إلى عيبي • وكان يقال من أعطى أربعاً لم ينج أربعاً من أعطى

الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستشارة لم يمنع الحسنة
 ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب • وقال بعضهم خبر الراي خبر من فطره وتأخيره خير من
 تقديمه (وذكر صاحب كتاب السراج) أن بعض ملوك الجهم استشار وزيراً فقال أحدهم
 لا ينبغي للملك أن يستشير من أحد إلا خالفه أمة للسر وأخرم في الراي وأجدر بالسلامة
 واعني لبعضنا من غائلة البعض • وكان بعض ملوك الجهم إذا شاور مرأته فقصر وفي الراي
 دعا الموكلين بأوزاقهم فعاقدتهم فيقولون تخطين مرأز بك وتعاقبنا فيقولنم لم يخطوا إلا لتعلق
 قلوبهم بأوزاقهم وإذا أخطوا • وكانوا إذا أخطوا بمشاوره رجل بعثوا إليه بقوة وقوت
 عياله لئلا يتفرغ غلبه • وكان يقال النفس إذا حرزت قوتها اطمانت وإذا شاورت فاصدق
 الخبر تصدقك المشورة ولا تكتم المستشار فتوفى من قبل نفسك • وقال بعض ملوك الجهم
 لا يمنعك شدة بائسك في بائسك ولا علمك مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك
 فإن أجمدت أحببت وإن أخطأت عذرت فإن في ذلك خلاصاً لمنه إن وافق رأيك رأي غيرك
 انذاراً رأيك شدة عنده • وإن خالفه عرضته على نظرك فإن رأيته معتبلاً لما رأيت به قبله وإن
 رأيته متصعباً استغيت عنه ويجذبك النصيحة عن شاورته وإن أخطأ وتمحض لك مودته
 وإن قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة إلا أنك أن أصبته مستبداً سلبت فائدة الاصابة بالسنة
 الحسنة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا كان احسن وإذا شاورت فاصبت أحد الجماعة
 رأيك لانهم لنفوسهم يصمدون وإن أخطأت حل الجماعة خطاك لانهم عن نفوسهم يكافحون
 • واعلم أن القول الغليظ يسقع لفضل عاقبه كما يشكاه شرب الدواء المر لفضل مغبته (وقال
 اعرابي) ما عرفت قط حتى عرقومي قالوا وكيف ذلك قال لا فعل شيا حتى اشاورهم (وقيل)
 لرجل من بني عبس ما أكثر صوابكم يا بني عبس فقال نحن ألف رجل وفنا حازم واحد ونحن
 نطيعه فكأننا ألف حازم • وكان ابن هبيرة أمير البصرة يقول اللهم اني أعوذ بك من محبة من
 غايته خاصة نفسه والاضططاط في هوى مستشهده (وفي حكم الهند) من النفس من الاخوان
 الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطأ الراي
 وأزداد مرضاً وجعل الوزر • وقالت الحكماء لا تشاور معلماً ولا راى غم ولا كثير القعود مع
 النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خاتماً ولا من يرهنه أحد السيليز • وقالوا لا راى
 لحاقن ولا لحاقن ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقيق عنده ولا حاقن هو الذي مضطه الخلف الضيق
 والحاقب هو الذي يجهد في بطنه ثقلاً وقالوا من شكك إلى عاجز أعارجه وعزوه وامد من جرعه
 (ومن لطيف ما جرى في الامتشارة) ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في
 اخيه ابي بكر ان يولي القضاة فاشار به فبعث إلى ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد إلى عبيد الله
 يستعين على ابي بكر فقال ابو بكر لعبيد الله انشدك الله ان ترى إلى القضاء قال اللهم لا قال زياد
 سبحان الله استشرتني فاشرت على به ثم اسمعك فنهاه فقال ايها الامير استشرتني فاجبتك فذلك
 الراي ونعمتك ونصحت للمسلمين واستشارني فاجبتك له رأي ونصحتك (وروي ان الحاج)
 بعث إلى المهلب يستعجه لحرب الازرق فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الراي لمن
 يملكه دون من لا يصبره

(فصل في النصيحة) * اهلوا ان النصيحة للمسلمين وللمثلاث اجمعين من سنن المسلمين قال الله
 تعالى اخبروا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصي ان اردت ان اصبح لكم ان كان الله يريد
 ان يغويكم وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ونصحت
 لكم ولكن لا تحبون النصيحة وقال عليه السلام ان العبد اذا نصح له بدينه واحسن عبادة
 الله فله اجره من ثمن (وروى) ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان
 الدين النصيحة ان الدين النصيحة قبل ان يارسول الله قال الله ولكتابك ولرسوله ولائمة المسلمين
 ولعماهم فانصحت في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح ودفع الملامة ماخوذ من النصيحة وهي
 السلوكة التي يضطربها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قصص منصوص اي مخطط ونصحت
 بعدا اذا خطته ويختلف النصيح في الاشياء لاختلاف الاشياء فانصحت لله هو ومنه بما هو اهل
 وتزنيه عا ليس باهل له عندا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهر او باطنا والرغبة
 في محابه والتباعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة
 الى طاعته قول لا وفعلا وارادة بفتح جميع ما ذكرناه في عباده والنصيحة لكتاب الله اقامته في
 السلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنمن تاويل المجرمين وطعن
 الطاعين وتعليم ما فيه للخلق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته
 ويبتذكروا والالباب والنصيحة للرسول عليه السلام موازنة ونصرتة والحاجة منه دونه حيا
 وميتا واحيا ميتة بالطلب واحيا مطر بفتح في بيت الدعوة وتالف الكلمة والتخلق بالاخلاق
 الطاهرة والنصيحة للأئمة معا ونصحتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم
 عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم عن يديهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرهم
 في الرعية وسد خللتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم
 والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريق مجرمهم ودعوتهم
 الى ما يبعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم وتفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين
 رفع مؤنة نفسه وبدنه وحوائجهم (قال الاصمعي) لفظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوات من
 الطريق فامسكها يده حتى مزبذرقوم قالها في الدار وقال يا كاهدا اجنهم والنصح لجميع
 الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر والسيف
 ان كان ذا سلطان او يكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصلا لقامة امره
 فيهم (وروى معاذ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل عمن قلب مسلم العمل لله
 ومناصحة ولا اله الا الله والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تضيطن من ورائهم وقال جابر
 ابن عبد الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقتني فيما استطعت والنصح
 لكل مسلم (وروى) أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب
 لنفسه وقال ابو الدرداء العلم يبلغه البر والقابض والحكمة ينطق بها البر والقابض والنصيحة
 لله تعالى لا تثبت الا في قلوب المتخفين الذين سمعت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرة
 النصيحة مزنة لا يقبلها الا اولوا العزم * وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يقول رحم الله امرأ
 اهدى الى عيبي * وقال حمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لي في وجهي

ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره • وقال مالك النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها الأنبياء • ومن أمر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم والنشور مستقلة للنصح نافذة عن أهل وماله الى ما وافق هواها (وفي منشو والحكم) وذلك من يصحك وقلان من مشى في هواله وكان يقال أخول من احتل انقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا

عرضت نصيحة مني لزيد • فقال غشيتني والنصح مني
ومالي أن أكون نصيحت زيدا • وزيد طاهر الأتواب بر
ولكن قد اتالي أن زيدا • يقال عليه في مغناه شر
فقلت له تجنب كل شيء • يقال عليك ان الحزحز

وقال آخر

وعلى النصوح لصيقي • وعلى عصيان النصوح

والقطاى شعر

ومعصية الشقي عليك ما • تزيد مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه • وليس بان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم • انا النذير فلا يفرركم أحد
لا تني محارزى تبقي بشاشته • الا الله ويردى المال وانوله
لم تنعن عن هرم من يوما خزانته • وانخلد قد حاولت عادفا خلدا

وقال ابن وهب انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه ولا خير لك فحين لا خير له في نفسه • وقالت العلماء ان يصحك امر ولا ينصح لنفسه (وقال بعضهم) رأيي ورأيك في المعرفة امثل لنفسك من رأيك لانه خلو من هواله • وقال أبو الدرداء ان شئت لنصنع لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يهيمون الله الى عبادته ويعملون في الارض بها وروى ابن جلالهم ابراهيم بن آدم فرفع رأسه الى السماء وقال الهوى ان كنت تبيي وتعاقبه فلا تبيي ولا تعاقبه • ومن الخصال التي تجري مجرى الجبال والكمال الحلم •

• (الباب الثامن والعشرون في الحلم) •

قال الله تعالى ان ابراهيم طليم أواء منيب وقال تعالى فاصنع الصنع الجليل (قال) على ونهى الله عنه الصنع الجليل الرضا بلا عتاب وقيل الصنع الجليل الرضا بلا توخي فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كاد الحليم أن يكون نسيا (ويروى) ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلاما يعيش بهن ولا يكثرن علي فأنسى قال لا تغضب • واعلم ان الحلم أشرف الاخلاق وأحقها بذوى الالباب لمقايمة من واحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لا قامة أو داء للسلطان وممارسة اخلاقهم ولا يطبقون به في حال سلامهم وانما يقشون به حين تنازعهم وخصوماتهم وشروهم وتكدر نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم ولا وقع تحت عبثهم • وكان أنوشروان ذا حلم وناة وكان يقول في خصلتان لولا انهما ظاهرا ن عند الرعية لفتت بهما اذ دعا الحلم والناة (ويروى) ان يحيى بن زكريا قال عيسى

ابن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرني ماذا الاشياء في الدارين قال غضب الله تعالى
 قال يا روح الله وما ينبغي من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو
 الغضب قال التعزير والتهذيب والتكبر والتعزير على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 وجبت محبة الله تعالى على من أغضب لحلمه والذي يجعل أن يضرب في هذا الباب قصة اسحق
 عليه السلام قال له ابراهيم يابى انى رأى في المنام أنى أذبحك فاطر ماذا ترى قال يا أبت افعل
 ما تؤمر سبحانه ان شاء الله من الصابرين ثم انه قله للجبين وأمر على حلقه السكين فلم يقل الا
 خيرا فقال الله تعالى وبشرناه بغلام حليم (وفي الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان الحد يدمن
 الرجال لم يأمن منه وان كان يحيى الموتى بدعائه لانه تأنى عليه ما عصى فيه فاصبر منه الى
 ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد اسخفه الغضب فقال له يا امير
 المؤمنين انك اغنا غضب الله تعالى ولا تغضب لها كثر من غضبه لنفسه واعلم ارشدك الله ان
 هذه الكلمة لا قيمة لها والله أعلم حيث يجعل رسالته فاعلم ان الغضب لا يحد حدودا
 لانك اذا كنت أيها السلطان اغنا تصرف في ملك الله باهر الله فانه تعالى قد حدد حدودا
 وشرع شرائع وأقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خطية عند مخالفتها
 حدا محددا ونهى أن يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحق التطلع والحبس والادب والحد ولا
 يحبس غيره من استوجب الحبس وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من
 ذوى المرات اقبلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الهيات عثراتهم
 ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قائما على مجلس يعده فيه نظراؤه
 فتكون هذه عقوبته وأخر يشق جيبه وأخر تزع عمامته من رأسه وأخر يكلم بالكلام
 الذى فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم
 اذا أخذوا رجل منهم ثم زعت عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بنفقه
 فلما ولى يزيد ضربهم ونزع عمامتهم فلما ولى مصعب بن الزبير خلق مع الضرب رؤسهم فلما
 ولى بشر بن مرwan أقامهم على الكراسى ثم مدت أيديهم وسمرها بجملة ثم نزع الكراسى من
 تحت رءسهم حتى يحرم بدعى ميت ومن حى فلما ولى الرجل المعروف بالجاح قال كل هؤلاء
 باه من أخذ بنفقه ضرب عنقه وقال ارسلوا ليس النفس الذليلة لا تجدد ألم الهوان
 والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام وفيه قيل

من حين يسهل الهوان عليه • ما لم يحجبته ايام

واعلم ان من تجاوز فى العقوبة فوق ما حد الله تعالى فيها شارك المجرم في الذنب واستوجب
 ما استوجبه المجرم من العقوبة ويتبين في الآخرة انه اغنا لعاقب الهوى والتشقي اذا اغضب
 الله تعالى (وفي كتاب سليمان بن داود عليهما السلام) القاهر لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده
 وصديق الله صلى الله عليه وسلم فان السلطان يفتح المدينة ويقر أهلها ويطلب جنودها
 وجناتها ويقتل ابطالها ثم تغلب شهوته ويبقى اسير في ذل هواه قد هزته قينة بطيورها
 أو قدح خريز به بقله وقال اكنتم من صبي الصبر على جرع الحلم اعذب من حتى غر الندم
 (وسأل على بن أبى طالب) رضى الله عنه كثير من كبراء فارس من أحملواكم عندهم فقال

لأردشير نزل السبق غير أن أحدهم سيرة أنوشروان قال فأي أخلاقه **==** إن أغلب عليه قال
الحلم والناة فقال علي رضي الله عنه هما قوام يتبعهما علو الهمة ومن محمود السيرة إن يعرف
الناس من أخلاقك أنك لا تنجبل بالثواب ولا بالعقاب فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ورباه
الراجي وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصنع عن كل مذهب * وإن عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوق فما عرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن * اجابته نفسي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هشا * تنقلت إن الحلم بالفضل حاكم

(وقال الأصمعي) سمعت أعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لي يغضب لا توقد بين جنينك
بحجرة الغضب وأورد أسامة بالحلم فإن شجر النار إذا ألت عليها الرياح تهاكت أغصانها
فتشتعل ناراً وتحترق من أصولها وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثلاث من اجتمعن
فيه فقد سعد من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا أرضى لم يدخله رضاء في باطل
وإذا قدر عرف وكف (ومثل جعفر بن محمد) عن حد الحلم فقال وكيف يعرف فضل شيء لم يركأه
في أحد وقال الأحنف لابنه باقر إن أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه فإن انفصلك والافاضة
(وكان سلم بن نوفل) سيد بني كنانة فضربه رجل من قومه بسيفه فأخذ فاقى به إليه فقال له
ما الذي فعلت أما خشيت استقبالي قال فلم سودنالك إلا أن تكظم الغيظ وتغف عن الجاني
وتظم عن الجاهل وتحمّل المكروه في النفس والمال تخفى سبيله فقال قائلهم شعرا
يسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب للحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله لا عطينك عطية ما يعطيكها العبيد
فأعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسد ويرى ان هشاماً غضب على
رجل من أشرف الناس فشتمه فوجّه الرجل فقال له اما تستحي ان تستغني وأنت خليفة الله
في أرضه فاطرق هشام واستصيا وقال له اقتصر فقال اذ استغني منك فقال خذ من ذلك عوضاً
من المال قال ما كنت لأفعل قال فبه الله قال حتى فقه ثم لك فنكس هشام رأسه وقال والله
لا أعود لثامها وقال الشاعر

لن يبلغ الهدأ أقوام وإن شرفوا * حتى بذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فخرى الألوان مسفرة * لا صفع ذل ولكن صفع أكرام
وقال آخر

وجعل رد ذناه بفضل حلومنا * ولواتشفتنا وردناه بالجمل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * ووعدنا على أهل السقاهاة بالفضل

وقال هشام نخال بن صفوان صفى الأحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ان شئت أخبرتك
عنه ثلاث وإن شئت بآثنتين وإن شئت بواحدة فقال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص
ولا يجهل ولا يذفع الحق إذا نزل به قال فأخبرني عنه بآثنتين قال كان يؤثر الخيرة ويتوقى

النسر قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال اكتم بن
صبي الغلبة والعز السلم وقال الاحنف بن قيس وجدت الحلم انصر لي من الرجال وصديق
الاحنف فان من حلم كان الناس انصاره كما روى ان رجلا أشرف في شتم بعض الادباء وهو
ساكت فغمي له بعض المارين في الطريق وقال له يرحلك الله لا تنصرك قال لا قال ولم قال
لائي وجدت الحلم انصر لي من الرجال وهل حابيت في الاحلى وقال رجل لعمر بن العاص
واقه لا تغرغن لك فقال له الا ن وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان
رجلا من كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كبة فنج فقالت والله لا أنزع خيف أهلي
اليك فغوى بروها في بطنها فاباغ ذلك نبيا لهم أو قبلا من أقبالهم فقال مثل هذا مثل أمة
تكون بعدكم كمن يظهر سفهاؤها على حملائها وقال الاحنف اياكم وراي الاوغاد قالوا وما راى
لاوغاد قال الذين يرون الصنيع والعفوعارا وسئل الاحنف عن الحلم فقال هو الذي تصبر
عليه ولست بجلي ولكن صبور ويرى ان المهلب نازعه رجل من كبار بني عجم فابى على
المهلب والمهلب ساكت فقبل له في ذلك فقال كنت اذا سبني استحييت من صف السباب
وغلبة اللثام والسفلة وكان اذا سبني تململ وجهه وشجعت نفسه بان يفر فضل القصة ويند
المروعة ويخلع ربة الحياء وقلة الاكثارات بسوء الثناء وعمر المسيح عليه السلام على قوم من
اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقبل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينقي
معاذنه وقال اكتم بن صبي من حلم سدا ومن تفهم ازداد وكفر النعمة لوم وصحبة
الجاهل شوم ولقاء الاخوان غم والمباشرين ومن الفساد اضاعه الزاد وسب رجل
الشعبي بقبايح نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا
فغفر الله لك وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سبناك سبناك فقبل له فقال
أبو بكر معك والله يدخل لامعي وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمع عشرا
فقال له الاحنف لكنك لو قلت عشرا لم تسمع مني واحدة ويرى ان رجلا سب الاحنف
وهو عايشه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بيني معك شيء
فقله ههنا فاني أخاف ان سمعك فتيان الحى أن يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له
الحكيم لست أدخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط بن زارة شعر

فقل لبي بعد فالي ومالككم • ترقون مني ما استطعتم واعتق

اغركم اني باحسن شجة • بصبر وانى بالقوا حش اخرج

وانك قد سايقتي فقه رنق • هنيئا هريثا أنت بالفحش احدث

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه أنت الذي نقاك معاوية من الشام لو كان فيك خير ما نقاك
فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤودا ان تجرت منها لم يضربني ما قلت وان لم أجد منها فانا
شر مما قلت وقال اقمنا لابنه يابني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند
الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض
الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك أعني فقال الحكيم وعنك أعرض وفي هذا المعنى قيل
قل ما بدلت من زور ومن كذب • حلى أصم وأذى غير صماء •

وقيل يوالا حنف ما حلك فقل لست بجاهل ولكني اتحالم والله في لا تسمع الكلمة فاجم
لها ثلاثا ما يعني من جوابها الا الخوف من ان اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر
وليس يتم الحلم للمره راضيا • اذا كان عند السخط لا يعلم
كلا يتم الجود للسرور مومرا • اذا كان عند العسر لا يتصمر
وروى ان رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال اما ما قلت مما هو فينا فاناستغفر الله
منه وما قلت مما ليس فينا فاناستغفر الله في الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب
فرب غضب استحق الغضب بان به غضب الله تعالى وقال اكنم من صبي لا يكون الرجل حليما
حتى يقول السفيه انه اضعف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاخفى انه لمفسد ومن
اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخطي • أصبت حليما أو أصابك جاهل

وصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب عدو القتل ولذلك
يحول بين صاحبه وبين العقل واللهم وقال معصية بن موحان الغضب مقدمة العقل
فربما اصدور بما ازدد وقال اعرابي اذا باه الغضب تسلط العطب وكان ابن عوان
اذا غضب على احد من اهله قال سبحان الله بارك الله فيك وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل
كان يقوم على راسه كتابا وقال له اذا رايتني اشتد غضبي فادفعه الى فكان فيه اسكن فلمست
بالي انما أنت بشر يوشك ان يا كل بعضك بعضا وتصبر عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة
أول من سنها ملك سبع امرأ أن يكتب في كتاب اسكن فلمست باله وقال لصاحبه اذا غضبت
فأعرضه علي فكان اذا غضب أعرضه عليه فاذا قرأه اسكن غضبه وقال معاوية أنضل
ما اعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكروا ذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب
كظم واذا قدر عفا واذا أساء استغنى واذا وعد أنجز وفي الحكمة مكتوب من أطاع
الغضب حرم السلامة ومن عصي الحق غمره الدل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم
صبر والتقى ضرب من الجزع وقال آخر أول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض
الحكماء اذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرغبة والشهوة والغضب
(وليل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظن من أمره يغفر الله له وله قيل له ومن
أمره قال الشيطان وقال جل لا خيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويدركك بأشياء
رحمتك منها قال فهل سمعتي اذ كرهتني قال لا قال فايها فارحم وقال الفضل ثلاثة لا يلامون
على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس
ابن عاصم المتقري اني جالس معه في غداء وهو يحدثنا اذ جاء جماعة يحملون قبلا معهم رجل
ماسور فقيل له هذا ابنك قد له أخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من
منطقه ثم أنشد

أقول للنفس تأنيبا وتعزية • احدي يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه • هذا أخى حين أدعوه وذاولدى

ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عك ووارأخك وسق الى امه ما تمين الابل فانها

غريبة ومن أنبل بيت فآله العرب قول بعضهم
فصح بالخير خرم بالخني * ربح الاحلام نبال الازر
وقال غيره

باحلام عاد لا يخاف جليهم • اذا نطق العوراء عرب لسان
اذا حدنوا لم يغش سوء استماعهم • وان حدنوا أو ابصحن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما حل من لم يصبر عند الجول وما قوت من لم ير الغضب وما عبادة
من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصانك وينلبانك فلو عاذتكم
فقال هم بعد العقوبة اعذر في ثلبي وتنقيصي (ويروى) ان جرير بن عبد الله بينما هو راكب
قد أودى ابنه اذا قيهر جل فقال منه وجرير ساكت فلما ولي قال له ابنه يا ابت لم سكنت عنه
قال يا ابتي أنا وسع جرحي وقال بعض الحكماء متى أشنى غيظي أحين أقدر فيقال لو عفوت
أم حين اجعل فيقال لو صبرت وسئل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم
للم يغضب ما بان حله كان يغضه الشيءين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم
ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والافتة والحيمة
والدفاع والاختيار والعبارة لان هذه الخصال نتائج الغضب ومن فقد الغضب فقد قد أس
الفضائل على ما سئذ كفي باب الشجاعة ان شاء الله تعالى وعند فقد الشجاعة تكون
المهانة ومن المهانة يكون سفاه الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موقع
وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي
الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو جبار ومن استرضى
فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لان نفسه بل
عند انتهالك مرمره واعلم ان الله تعالى مامدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ
فقال والسكاطين العيظ وقد انشد السابغة الجعدي بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام
ولاخير في حلم اذ لم تكن له • بواد رحمتي صفوه أن يكدره
ولاخير في جهل اذ لم يكن له • حليم اذا ما أورد الامر أمردا

فلم يشكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا سافرا استبج سفيما ويقول أستدفع به
شر السفهاء معني واعلموا أنشدكم الله أن أحسن خصال الماولة وأجلها قدرا وهي حليمة
الانبياء ولبسة الاصفياء وجمال السوق والرؤساء واعظمها في النفوس موقعا واعماها
على الرعايا نفعا واخذها على من الايام ذكرها واجلها في المحافل والهاسن نشرا وهي
الفضيلة التي تهم سائر الفضائل وتكمل بها سائر الحسنات الحليم وهما أنا أنلو عليكم من ذلك
ما يقتضي فيه العجب (هذه) دولة آل العباس أولهم أبو العباس السفاح وإلى يومنا هذا
لم يكن فيهم أجل من المأمون بلغ من حله انه كان يقول لو علم الناس مالي في ليلة العفوا مقررنا
الى الاباطير اثم فاق حله سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب المثل بحله وبهذه الخصلة
تهيا لملكه وقهر أخاه الامين (ومنها) دولة بني أمية أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم
مر وان الجعدي لم يكن فيهم أحلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملكهم بل رقاب العرب

والجهم وصار حله يضرب به المثل ويقعدى به الخلق ويتخلق به العقلاء حتى حتى عنه
انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خط عنكم كميوت أو شعرة ما انقطعت اذا جردوا
ارسلت واذا ارسلوا جفبت (وهذه) دولة القوس وكانت أعظم دول الارض وأشدّها بأسا
وأكثرها علوما وحكما لم يكن في أكاسرها أحلم من كسرى أو ثروان وصار يضرب به
المثل وتطور زبيرة الكتب والمصنفات فيروى ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان
الله عليه لم يلق كبير من كبراء فارس فقال له ما أحد خصال ملوككم فقال السبق لسيرويه
وأحمدهم سيرة أو ثروان فقال له على وما كان أغلب خصاله عليه قال الحلم والناة قال
على هما أو أم يتجهما علو الهمة وبلغ من حلمه انه كان يضيق صدره بجملة فقال في خصلتان
لولا انهما ظاهرا نان عند الرعية لنفت بهما ذرعا الحلم والناة فأخلق بخصلة تم منفعتها
ويبقى على الدهر جالها وتخلد في العلماء والعقلاء والملوك والسوقة بهجتها وحسن معادها
ومواردها أن يهذه الملوك شعارا ودارا وانما قصدت الحكمة من الملوك خاصة فاما
من سواهم من الرعية كالاحنف ونظرائه فلا يحصون كثرة

(الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغنى)

فأقول ذلك انك اذا نظرت الى تفسيرا أسكالك وتبدل صورتك واحرار وجهك واستباح
أوداجك وذهاب جناتك وسقط كلامك ونفس ما يخرج من فيك لا مسكت عن الغضب
واطالما كنت تستحي أن تتكلم بين يدي الجلالة بالسير الجائز فمحدث تمهد بالكتير
الفاحش ولو أن من غضب استذكر اذا صاح وسكن غربه انقلاب صورته وتغير وجهه
واضطراب شفتيه وارتعاد أطرافه وسقط كلامه وغوى خطابه والتفاف لسانه وخفة
عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كأنه غر وسرعة التفتاة يمينا وشمالا كأنه قرد وعدم فهمه
لما يسمع وقلة التفاته الى من يعقله وينعجه كأنه أحمق ومن شوم الغضب وعظم بليته انه
قد يقتل النفوس ويسلب الروح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك انه وقع بينه وبين
أخيه سليمان كلام فجعل عليه سليمان فقال يا من يلحق أمه ففتح فاه ليحييه واذا بجنته عمر بن
عبد العزيز فاسمك على فيه وردت كفته وقال يا ابن عبد الملك اخوك وامامك وله السر عليك
فقال يا أبا حفص قتلني قال وما صنعت بك قال رددت في جوف احر من الجمر ومال بلخيه فأت
والهمرى انه يز يد على الحق (ومنها) أن يفتقل من الحالة التي كان عليها الى غيرها كانت القوس
تقول اذا غضب التائم فليجلس واذا كان جالسا فليقم وبهذا المذهب كان ياخذ المأمون نفسه
(ويروى) شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالتشور
(وكان) بعض ملوك الطوائف اذا غضب التي بين يديه متفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه
(وكان) عكرمة يقول في قوله تعالى واذكر بطنك اذا نسب يعني اذا غضبت فانه اذا ذكر الله
خاف منه فيزول غضبه (وفي) التوراة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب
ولا تحقك حين احق (ومنها) أن يذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند أبا منسه
روصفهم لقابحه وطيشه ومحتفه فيكون ذلك سببا لزال غيظه (ومنها) أن يذكر انعطاف
القلوب عليه وانطلاق الالسة بالشاء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان

السفهاء ذل وشين (روى) أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل
بعضوا إلا عزا فاعفوا بعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته
في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك القرم كتابا ودفعه إلى وزيره وقال له إذا غضبت فنادني
وفيه مكتوب مالك والغضب انما أنت بشر ارحم من في الارض يرحل من في السماء (وكان)
معاوية كثير ما يشد

انا اذا ما لشد وداعى الهوى * وانصت السامع للقاتل
واحتج الناس بألسانهم * تقضى بحكم عادل فاصل
تخاف أن تسفه احلامنا * فتعمل الدهر مع الخامل
(وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضى الى ذلة العذر وقال الشاعر
واذا ما اعترتك في الغضب العزة فاذا كرت ذل الاعتذار

وقال غيره

زورنا على غير القوا حش فطنا * ولم يستجز الا الذي هو أجور
(وقال) عبد الله بن مسلم بن محارب له روى الرشيد يا أمير المؤمنين أسألك بالذي انت بين يديه
أذل مني بين يديك والذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عرفت عنى فعاذ به لما ذكره
قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث ان الله
قد أعطاك ما تحب من الظرفا عطا الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمه
ابراهيم بن المهدي وكان مع أخيه عليه اني شاورت في أمرك فاستأروا على بقتلك الا اني
وجدت قدرك فوق ذنبك فكفرت القتل للأزم حرمك فقال يا أمير المؤمنين ان المشير اشار
بما جرت به العادة في السياسة الا انك آيت ان تطالب النصر الامن حيث عودته من العفو فان
عاقبت فلن تطير وان عفوت فلا تطيرك وأنا يقول

البري منك وطا العذر عندك * مما فعلت فلم تعذر ولم تلم
وقام عليك في فاحج عندك * مقام شاهد عدل غيرتهم
(وقال) بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم (ومنها) أن يتذكر
ما يؤل اليه الغضب من التدم ومذلة الانتقام وشروع القصاص في بدنه بين يدي من لا يرجه
فان ذلك مما يرد من الغضب

• (الباب الثلاثون في الجود والسعيا وهذه الخصلة الجليل قدرها العظام موقعا
الشرية مودها ومصدرها) •

وهي احدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها تضرلها الوجوه وتذل لها الرقاب
وتضع لها الجبابرة ويسترق بها الاحرار ويستحل بها الاعداء ويستكفر بها الاولياء
ويحسن بها التناء ويملك بها القرباء والبعداء ويسود بها في غير عشرينهم الغرباء (وهذه)
الخلصة بالعزائم الواجبات أشبه منها بالجمال والتمائم وكما قد رأينا من كافر ترك دينه والتزم
دين الاسلام ابتغاه عرض قليل من الدنيا له وكما قد سمعنا من مسلم ارتدى في أرض الشرك
اقتساما يسير من عرض الدنيا واخلى بخصلة يتركها الانسان دينه الذي سذل بدوره نفسه

أن تكون جليلة التقدر عظيمة الخطر وأخرج خلق الله إليها فقرهم إلى عطف القلوب عليه
 وصرف الوجوه إليه وهم الملوكة والولاة (واعلموا) يامعشر من وسع الله عليه دنياه واسسخ
 عليه آلامه ونعماءه أنه ليس في الجنة لا وحيد بكلمة لا تدخل الجنة مقوطا رضة وإنما
 استت الحنة على ما تشبهه الأنفس وتلذذ العين (وهذه) الخصلة أعنى الكرم والجود
 والسخاء والابتنار بمعنى واحد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم
 ولا يوصف بالعقل لعدم التوقف (ومثيقة) الجودهى أن لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء
 هو الرتبة الأولى ثم الجود ثم الابتنار فمن أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء
 ومن بذل الكثير فهو صاحب جود ومن أترغبه بالخائسر وبني هو في مقاسة الضر
 فهو صاحب ابتار (قال) ذواتون بداية السخاء أن تسخو نفسك بما في يدك ونهايتة
 أن تسخو نفسك في أيدي الناس وأن لا تنال من كل الدنيا (وتذكر) قوم من الزهاد
 عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فتقات رابعة من أحب شيئا أكثر
 من ذكره وأصل السخاء هو السحاحة وأن يؤتى ما يؤتية من طيبة نفس (وقديكون) المعطى
 بخيلا إذا صعب عليه البذل والماسك خفيا إذا كان لا يستصعب العطاء وإن منع وأهذ
 قال علماؤنا إن الله تعالى لم يزل جوادا وإن لم يقع منه عطاء في الأزل لأن العطاء فعل والفعل
 في الأزل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تخضع عن فالما كول للبدن والموهوب
 للمعاد والمترول للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
 (قال) أبوه ربه رضى الله عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
 الله انى جاع ناطعنى فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فقلن والذي بعثك بالحق
 ما عندنا الا الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من
 يضيف هذا هذه الليلة رجه الله فقال رجل من الانصار أنا يا رسول الله لحمة إلى منزله وقال
 لاهله هذا ضيف النبي صلى الله عليه وسلم فأكرمه ولا تدخرى عنه شيئا فتقات ما عندنا الا قوت
 الصية فقال قومي فاعلمهم عن قوتهم حتى شاموا ثم أسرجوا وبرزوا فإذا أخذ الشيف يا كل
 قومي كأنك تصلح السراج فأطعمته وفعلى تمضغ السيف فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقهلت وجهه لا يصفان السقم والضيف يظن أنهم مابا كلان وبناطوا بين فلما أصبحوا
 ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ما تبسم ثم قال قد عجب الله من فلان وفلان هذه الليلة
 وزنت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) أنس اهدى ليعضر
 العصابة رأس شاة مشوية وكان مجهودا فوجهه به إلى جارية فوجهه به الجار إلى أهل بيت آخر
 فتداولته سبعة آيات حتى عاد إلى الأزل فتزلت ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حديثه
 العدوى انما لقت يوم اليرموك أطلب ابن عمى ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان به روق
 سبعة فاذا أنا به بين القتلى فقلت أسفلك فاذا رجل يقول آفاشار ابن عمى ان انطلق اليه
 فاذا هو هشام بن العاص فقات أسفلك فسمع آخر يقول آفاشار هشام أن انطلق اليه فبنته
 فاذا هو قدمات ثم رجعت إلى هشام فوجهه به قدمته فرجعت إلى ابن عمى فاذا هو قدمات
 (وزون) عائشة رضى الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله

قريب من الناس بعيد من النار والنجيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والجاهل
 السخي احب الى الله من العابد البذل (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم
 اغسل ما كلت فاقبأه وأبست فأبليت أو أعطيت فامضيت (واعلم) ان السخاء
 على وجوه سخاف في الدين وسخا في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والابشار وسخاحة
 النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار
 وبعض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرورا قلبه بذلك والسخاء في الدين ان تحب نفسك
 أن يتقها الله تعالى وترى دمك في الله سخاحة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا
 وان كنت غير مستغن عن الثواب لان القلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على
 الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تتحدر لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي
 الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الخليم اذا استجمل الكريم الجالس من جالسه
 الحسن الخلق لمن جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من افضل الناس عيشا
 وانعمهم بالاواكرهم طباعا وأجلهم في النفوس قد راى فسكت القوم فقال في اييت المؤمن
 أفضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان أرضا
 بسبع مائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقة لغيره يراقه
 ثم جعل رسوله يختلف حتى قهها وما أصبح عندهم من درهم (وكان) أسماء بن خارجة يقول
 ما أحب ان ارد أحد اعمى حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه وان كان اسيما أصون عنه
 عرضي (وكان) مروان العجلي يتلطف في ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم ألف
 درهم ويقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم أنهم منهل في حل (وقال) العتيبي أعطى
 الحكم بن عبد المطلب جميع ما يملكه فلما قدم عليه ما عنده ركب فرسه وأخذ ربحه يريد الغزو ومات
 بمنجى فاخبرني رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو ملق لاشئ معه فاغنا فاقبل كبف
 أغناكم وهو ملق فقال ما اغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعبد بعضنا على بعض فاستغنينا
 . واكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فسأله برحمة بينه وبينه فقبل هذا
 ما أعطى فكان كذا وكذا وقد أعطيت به سقانة ألف درهم براح بالمال الى العشي فان شئت
 فالمال وان شئت فالحنط (وروى) ان رجلا بعث الى حنطة بجمارية فوافقه بين أصحابه
 فقال قميج ان آخذها انفسى وأنتم حضوروا كره ان اخس بها واحدا منكم وكلتكم له حق
 وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانية رجلا فأمر لكل واحد منهم جمارية أو وصيف
 (وقيل) لقيس بن هذيل رأيت قطا سخي منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فخرز وجهها
 فقالت له انه نزل بك ضيعة فاني انما فخرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاءها أخرى وفخرها
 وقال شأنكم فلما ما كثر ما ان التي فخرت الباحة الا اليسير فقال اني لا اطمأئني في القات
 فاقتنا عنده اياما والسما قطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا ما قد ينار في
 بيته وقلنا للمرأة اعتدري لنا منه ووضعنا فلما صبح فلما صبح فلما صبح فلما صبح فلما صبح
 الركب اللثام اعطيتوني غن القرى ثم انه طعننا وقال لاخذونم والا طعنتمكم برحمتي فاخذناها
 وانصرف (وقال) ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شئ فليصعب أهل العبور

(وقال) ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاثة تجهيله وتصغيره وسره فاذا جهله فقد هناه
واذا صغره فقد عظمه واذا سره فقد تمسه (وقال) الحسن كان احدهم يشق ازاره لآخيه
ينصفين (وقال) المغيرة في كل شيء سرف الا في المعروف (وقيل) للحسن بن سهل لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى وقطعه محمد بن حازم فقال
لا التفقر عار ولا الغنى شرف • ولا انشاء في طاعة سرف
مالك الاثنى تقدمه • وصل شيء آخره تلف

• وما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلمحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان
عظيم البذل في كل وجه وكان يتباع الرقاب فبعثتها وكان كل معتنق يولده ولده ذكر سمى طلحة
فبلغ عددهم ألف رجل كل يسمى طلحة فسمي طلحة الطلمحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر
نصر الله اعظمادقنوها • بسجستان طلحة الطلمحات

فقد بلغه ان معلمه كان في الكتاب بالجاز قد قعده الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة ألف فقال سلها
اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الي ولد وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافقته الرسول
قدمات ولم يعقب فقرقها في قومه (وقال) زيد بن اسلم وكان من الخاشعير يا ابن آدم امرك الله ان
تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون ثيما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حزام
ما اصبحت قط صبا حالم ارياني طالب حاجبة الاعددتها مصيبة ارجو نوابها (ولما) مات
وجد عليه مائتا ألف دينار ووجد مكتوبا على هجرانته الرقص عند امكانها ولا تحمل على
نفسك هم ما لم ياتك • واعلم ان تقيرك على نفسك توفير نلزاة غيرك فكم من جامع لبعيل
حليته (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما جعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه
خازن لغيرك (وروي) مالك في المواطن • سكننا سال عائشة وهي مائة وليس في بيتها الا رغيف
فقات لولادها اعطيه اياه فقات ليس الا ما تقطرين عليه فقال اعطيه اياه ففعلت فلما امت
أهدى لها أهل بيت شاة وكنت ابي يملقون بالبحر ان فقات لي عائشة كل هذا خمر من قرصك
(وقال) عبد الله بن عمر ما كان أحدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل
شيئا (وقال) الحسن كان عبد البصيل من يقرض أخاه الدرهم (ومن جهات) ما روي في الاشارة
ما ذكره أبو محمد الأزدي قال لما استرق المسجد بمصر وكان المسلمون ان النصارى أحرقوه
فأحرقوا نساءهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا النخان وكتب رعاها فيها القتل وبعها
القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقت رقعة فيها القتل يده
رجل فقال ما كنت أبالي لولا ألمي وكان يجانبه بهن النسيان فقال له في رقعة في الجلد وليست لي
أم فادفع الي رقعة لك وخذ رقعة ففعل لاقتل ذلك وتخلص هذا (وحكى) ان أبا العباس
الانطاكي اجتمع عنده سيف وثمانون رجلا بقرية بقرب الري ولهم أروعة لم تسع جميعهم
فكسروا الرعقان واطفأ السراج وجلسوا للطعام الى أن كفوا فلما رفع اذا الطعام بجاه
لم يأكل منه واحد منهم ايتارا صاحبها على نفسه (وروي) انه اجتمع بالمرجة جماعة من ارباب
القلوب فغضرب طبق فيه تين اخضر وقد غسق الليل فكان الواحد يديه فاذا انظر بجهة حصرم
ياكلها وان غفر بطيب دفعه الى صاحبه ولها كلة فلما رجع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم ياكلوا

منه شياً (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد جرى من الثياب
فقات يا ابن نصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وانت تنقص فقال ذكرت الفقراء
وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسمهم به فاردت ان أرافقهم بنفسي في مقاساة البرد (وقال) الأستاذ
أبو علي لماسي غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فأما الخليفة فانه
نسى بالندقة وكان يقف على مذهب أبي نور وأما الشحام والرقام والنوري وجاعة فقضى
عليهم وبسط الطاع لضرب أعناقهم فتقدم النوري أمامهم فقال له السيف اندري لماذا تقدم
وتسابق قال نعم قال وماذا بهك قال أوتراحي بجيعة ساعة فخير السيف واتى الخبير الى
الخليفة فردهم الى القاضي ليعرف حالهم فالتى القاضي على أبي الحسن التوري مسائل فقهية
فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان الله عبادة اذا قاموا قاموا بالله واذا انقروا انقروا بالله وسرد
الفاظا حتى أبكى القاضي فأرسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فعلى وجه الارض
مسلم (ولما) مرض قيس بن سعد بن عباد استبطأ اخواته في العباد فقال عنهم فقال انهم
يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخرى اللهم لا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مري نادى
من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة باب العشي لكثرة العواد (ويروى)
ان عبدا لله بن جعفر وكان أحد الابدان خرج الى ضيعة فقتل على فحل قوم وفيه غلام اسود
يقوم عليه فاقى بقوته ثلاثة أقرص ودخل كلب ودنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم
آثر هذا الكلب قال ما عي بأرض كلاب وانما جامن مسافة بعيدة جئت اعافك فركت رده قال فما
أنت صانع اليوم قال أطوى بوي هذا قال عبده الله بن جعفر ألام على السخا وهذا أصغى منى
فاشتري الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام وهب ذلك (وقال) التوري
رأيت محمد بن سوقة بالعادة صاحب مائة ألف وبالعشي سألته من أصحابه خيرة (وقال) أبو عبد
الرحمن دخل أبو عبد الله الروذباري الى دار بعض أصحابه فوجد غائبا وهناك بيت محفل
فكسر القفل وأمر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانتدوه الى السوق فباعوه وأصلحوه وقتنا
من الثمن فباعوا صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت
يتساورت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا أبضامن بجهل المتاع فيبعوه فقال زوجها لم تكلف
هذا باختيار ولا فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يا سطلنا ويحكم علينا ويرى اناسي تذخر عنه (واما)
عبد الملك بن جعفر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صرروا وقال ما كنت لأسأل
لاخواني الجنة في صلاتي ولا يجزل عليهم بحد لاني (ويروى) ان الاشعث بن قيس ارسل
الى عدي بن حاتم يستعيره فقدمه قدورا كانت لايه حاتم فلا هوا به شيئا اليه وقال انا لا نصيرها
فادعة (وقال) بزرجه رلام زائنت اركاننا ولا أبذخ بنيانا من بث الكرم واكساب الشكر
وذلك أن عز التظيم بالقفل الجميل باقى في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف
فقد ظفر بمن نأوا ويرجى الشكر والثواب (ويروى) ان عبدا لله بن أبي بكر وكان أحد
الاجواد عطش يوما في طريقه فاستقى من منزل امرأه فآخرت كوزا وقامت خلف الباب
وقالت تصوا عن الباب ولياخذ بعض علمائكم فاني امرأته من العرب مات زوجها منذ أيام

فشرب عبد الله وقال يا غلام اجعل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخري فقال يا غلام
اجعل اليها عشرين ألفا فقالت أما ل الله العاقبة فقال يا غلام اجعل اليها ثلاثين ألفا فقالت أف
لأ فعمل اليها ثلاثين ألف درهم فما أمت حتى كثر خطاها (وقال) بعض الرواة قصد رجل
الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال أربعمائة درهم على دين فدخل
الدار وأخرجها إليه ثم دخل الدار باكتافها له امرأته هلاقت حين شقت عليك الاجابة
قال انما أبكى لاني لم أتعقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي (وقال) أ كتم بن صبيح صاحب
المعروف لا يقع فان وقع وجدته كذا (وقال) الفضل ما كانوا يدون القرص معروف (وبروي)
عن امرأته من المتعبدات انهم اتوا حلب بن هلال وهو في جماعة من أصحابه ما السخاء عندهم قال
البذل والابتزاز فالتصافى في الدين قال أن تعبدى الله تعالى بحبة به نفسك غير مكروه قالت
أقتريدون على ذلك جراء قالوا نعم لان الله تعالى وعده على الحسنة بعشر امثالها قالت فاذا اعطيت
واحدة وأخذتم عشر افأى شئ خفيتم به وانما السخاء أن تعبدوا الله تعالى متسعين مثل الذين
بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا ألا تستحيون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منهم انهم اتريد
شياء بشئ (وقالت) بعض المتعبدات لبعض المتعبد بن أظن السخاء في الدنيا والدرهم فقط
انما السخاء في بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) أبو بكر الدقاق وليس السخاء ان يعطى الواحد
المعتمد انما السخاء ان يعطى المعتمد الواحد (وقال) الشيخ ابو عبيد الرحمن كان الاساذ أبو سهل
الصعلوكي من الاجواد لم يكن يتناول احدا شيئا يده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله
الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من ان يرى من اجلها يدي فوق يد أخرى وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ يوما في محن داره
فدخل عليه انسان وسأله شيئا لم يحضره شئ فقال اصبر حتى أفرغ فلما فرغ قال خذ القمعة
واخرج فلما خرج وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان وأخذ القمعة فشوا خلقه فلم يدركوه
وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل (وفي معناه قال الشاعر)

ملا تيدي من الدنيا حراما • فطامع العواذل في اقصادي

ولا وجبت علي زكاة مال • وهل تجب الزكاة على جواد

(وكان) أبو مرند أحد الكرام قدحه بعض الشعراء فقال ما عندي ما أعطيك ولكن قد مني الى
القاضي وادع علي عشرة آلاف درهم حتى أقرك بها ثم احببني فان أهلي لا يتركونني مبهرجا
ففعل ذلك فلم يسوا حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جبر رأيت طلحة بن عبيد
الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخبط أذنيه (ولما) دخل المنكدر على عائشة رضي الله
عنها قال لها يا أم المؤمنين اصابي فاقه فقالت ما عندي شئ فلو كانت عندي عشرة آلاف لبعثت
بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف من عند خالد بن أسيد فارسلت بها في أثره
فاشتري جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة محمد وأبو بصير وعمر بنو
المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جبر بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للعلام
اذهب الى الجوارى فقل لهن من أراد منهن ان تصبغ نياها فلقبت بها فجاءه الفلام نياها
كثيرة فقال للسائل خذها (وقال الاموي) كانت جرت حرب بالبادية ثم انصارت بالبصرة

فتفارق الامر فيها حتى مشى بين الناس بالعلم فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبثت وأنا غلام
الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فاذن لي فأذا هو عليه شمله يخطب نوى لغزوه
حلوب نخبرته بمجتمع القوم فأهل حتى أكلت العنبر ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدا بنا فأتته
بزيت وقر قال فدعاني فقدرته أن أكل معه حتى إذا قضى من أكله حاجته وثب الى طين ملقى
في الدار وفصل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقني ما فأتته بماء فشر به ومسح فذه على وجهه
ثم قال الحمد لله ماء الفرات بقر البصرة بزيت الشام متى نؤذي شكره هذه النعم ثم قال على برداني
فأنت برداء عدي فارتدى به على تلك الشجة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقبأ حاله فدخل
المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم يبق حياء الا حلت اعظامه ثم جلس فتحمل ما كان
بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد القمي لما بين يعطى كل يوم
السجبان ديناراً فاستكفوه أصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم - ففص من عارة سمعت سفيان الثوري
يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر به لول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك
بالله أنت سمعته يقول هذا فخطب باله لقد سمعته يقول (وقال الشاعر)

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن • لي المال ربا فعمدى غبه غدا

أرني جوادا مات هز لا لعني • أرى ما تريني أو يجيلا غملا

(وكان) عبدا لله بن أبي بكر يفتق على أربعين دارا من جيرانه عن عيونه وأربعين عن يساره
وأربعين امامه وأربعين خلفه ويشت الهمم بالاضاحي والكسوة في الاعباد ويعتق في كل عيد
مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة الاف فطلب دابة يصلها عليها فقال رجل هذه دابة فقالت
اجلوا على دابته الى داره (وقال عبدا لله بن زهير) •

وعاذلة تخشى الردى أن يصيني • تروح وتغدو بالملامة والقس

تقول هلكتا ان هلكت وانما • على الله اوراق العباد كازم

واني احب الخلد لو أستطيعه • وكان الخلد عندي أن أموت ولم ألم

(وروى) ان اعرابا قدم على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين في اليك حاجة
الحياة يعني أن اذكرها قال فخطها في الارض فخط في الارض اني فقير فقال اغلامه يا قنبرا كسه
حلق فكساه الحلة فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها • فسوف اكسولن - حسن التناحلا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه • كالغيت يحيي نداء السهل والجبلا

ان قلت حسن ثناءك مكرمة • لا تبغين بما قد نلت - بدلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به • كل امرئ سوف يجزي بالذي فعله

قال علي زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال قنبرا يا امير المؤمنين لو نزلت في المسلمين
لا ملئت بهامن شأنهم فقال له يا قنبرا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن
اثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وقال) مطرف بن النخعي اذا اراد أحدكم مني حاجة
فليرفعها في رقتي فاني اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة (قري) على القاضي أبي الوليد وأنا سمع
وأمره بالبخل قلت لها انصري • فليس اليه ما حيث سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى • بخله في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله • فأكرمت نفسي أن يقال ببخل
ومن خد برحالات الله حتى لو علمته • إذا ذل خدي بأن يكون نبيل
• (ولعمرو بن الوردي) •

واني امرؤ عافى أنا في شركة • واني امرؤ عافى أنا في واحد
انضجك مني أن سمعت وأن ترى • يجسمي شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسيم كثيرة • واحد سوق راح الماء والماء بارد
(وقال) بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام
وسماؤها بما ملكك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروه (وروي) أنه كان عند
الهملول بن راشد طعام فعلا السمر فامر به ببيع له ثم أمر أن يشتري له ربع القدر فبقي له
نيسج ونشترى يقال ففرح إذا فرح الناس ويحزن كما حزنوا (ولهم حاتم طي فقال)
لعمرى لقد ما عضي الجوع عضة • فاليك أن لا أسمع الدهر جانا
فقول لهذا اللائم الآن أعفني • فان أنت لم تستطع فعض الأصابع
فهو لي مازون الآن لا طيبة • فكيف يستركي يا ابن أم الطبايع
• (وقال آخر) •

أصون عرضي بما لي لأدنيه • لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال أن أودى فأجعه • وليست للعرض أن أودى بعتال

(وروي) أن رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه شيئا فاعطاه خسين ألف درهم وخمس مائة
دينار وقال أنت بعمل يبعه لك فأنام بحمال فاعطاه مئيلة وقال يكون كراة الجمل من قبلي
(وروي) أن ألبت بن سعد سأله امرأته كرامة عمل فاهلها برقة عمل فقيل له في ذلك فقال
انها سألت علي قدر حاجته ونحن نعطيهما على قدر نعمتنا (وروي) أن رجلا استضاف لعبد الله بن
عامر بن كزير فله أراد الرجل أن يرتحل لم يبعه غلامه فسئل عن ذلك فقال لعبد الله انهم لا يبيعون
من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

إذا ترحت عن قوم وقد قدروا • أن لا تفارقهم قال أحلوهم

• (الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما) •

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل • كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن أعوذ بك
من شح نفسي واسر افها ووسواسها (وروي) جابر أن النبي عليه السلام قال اتقوا الشح فان
الشح أهلك من كان قبلكم حلهم على أنفسهم كوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم ما شرعوا
فقالوا الشح أشد من البخل فان البخل أكثر ما يقال في النعمة وأما كما قال الله تعالى
سبطون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن يبخل فيبخل فأنما يبخل عن نفسه وقال تعالى في
الشح أشد على الخبير أولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
فالشح يعني على الكرازة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر
ليس الشح أن يمنع الرجل ماله وإنما الشح أن يطعم فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك

النفس عما في ايدي الناس أفضل من قضاء النفس بالبذل (وقال) رجل لابن مسعود اني أخاف ان أكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وانار رجل شمع لا يكاد ان يخرج من يدي شي فقال له ابن مسعود هذا ليس بالشمع الذي ذكره الله تعالى فانه أرنأ كل مال أخيك ظمأ ولكن ذلك البخل وبش الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى (وقال) ابن عباس الشح أن يجمع هواء فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح أن يبخل المرء بما في ايدي الناس والبخل أن يبخل عما في يديه (وروى) أنس أن النبي عليه الصلاة والسلام قال برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الصنف واعطى في الثأب (وقال) ابن زيد من لم يأخذ شيئاً من الله عنه ولم يدعه الشح الى ان يجمع شيئاً من الله عنه فقد وفاه شح نفسه (وقال) أبو اسحاق الاسدي رأيت رجلاً في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد علي ذلك شيئاً فسأته عن ذلك فقال اذا وقبت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيئاً يكرهه الله تعالى واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله أن لا يتخلف ولا ينسب وهذا هو التصديق بما تكفل الله به ويطلق الخلل والامتناع الى جميع الامور بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في ترك معاونةهم والنصح لهم (وقال) كسرى لا صحابه أي شيء أضرب ابن آدم قالوا الفسق فقال كسرى الشح أضرب من الفقر لان الفقر اذا وجد اتسع والشح لا يتسع أبداً ولما قدم الشافعي من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشتري بها ضيعة فضر بضيعة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما ساء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء (ولما) قربت وفاته قال مروافلاً نائلاً فسلني وكان الرجل غائباً لما قدم اخبر بذلك فعاينته فوجده عليه سبعين ألف درهم ديناً فقصاها وقال هذا على اياه (وروى) ان رجلاً اودان يؤذي عبداً لله بن عباس فأتى بوجه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تصدوا اليوم عندي فانوه فخلوا الدار فقال ما هذا فاخبر اخبر فامر ان تشتري القوا كفي الوقت وامر بالخبر والطبيع فاصلى القرى فلما فرغ قال لو كلاته أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فلينفذهوا لكاهم كل يوم عندنا * ومن الخصال الجارية بحري الكمال والجمال ولعلها من الأصول الصبر

(الباب الثاني والثلاثون في الصبر)

الصبر زمام سائر الخصال وزعيم الغنى والفقير وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى وتمت كل ربك الحسنى على جن اسرا تيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فخطم ونافذ الدين ذكر الله ورسوله بما عملوا ما لم يأتهم الا الله برفاهه بغير حساب وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بها الناس صبروا قبل عن الدنيا وقال ابن عسيرة لما أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد علم أنك بصديق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن المظالمين بايات الله يجهلون وقال تعالى ولتسعين من الذين أوفوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ثم ذهبهم الى الصبر مع وجود الأذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الامور والمكاره وعن التواهي والمعاصي الا ترى ان أهل الجنة نودوا وقبل لهم سلام عليكم بما صبرتم فضع عتي الدار فاخبر الله تعالى انه أنابهم جنته به برهم يعني صبرهم على

طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والأشى أي احبس نفسك الآية فمن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في
الملمات والرفق عند التنازل (وفيما يروى) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود
من صبر علينا وصل اليانا (وقال) سفيان بلغنا ان لكل شئ ثمرة وثمرة الصبر الظن قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الإصلاح على
الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا وعدوكم ورابطوا فيه قولان قيل
رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على استظار الصلوات بدليل ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يحبط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى
يا رسول الله قال اسبغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد
الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى وإذا جئ ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال
ابن تيمية بالكو كعبه فصبوا بئلا مذيح ابنه فصبوا وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان
الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولاً عظيماً جعل تقسمه مع الصابرين دون الصابرين
وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يمكن عندي من خير قل أخره عنكم ومن يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغفه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر
(وقال ابن مسعود) قدم النبي صلى الله عليه وسلم قمماً فقال رجل من الانصار والله انهم القسمة
ما أريد بها وجهه الله فخيرت النبي عليه الصلاة والسلام فتقربا به وتغير وجهه وغضب حتى
وددت ان لم أكن أخبرته ثم قال قد أودى موسى بكر من هذا صبر (وروى) ان النبي عليه
الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها اني الله واصبري فقالت اليك عنى فانك لم
تصب بمثل مصيبتى فلما قيل لها هذا رسول الله جاءت اليه فتذراهم لم تعرفه وقالت ما صبر فقال
النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الأولى ويحفل هذا الحديث وجهين اما
الطائفة فقال معناه ان الصبر المأمور عند الصدمة الأولى ونزول المصيبة ردة فانك بالجزع واما القابضة
فقال معناه ان الصدمة الأولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليماً لكل
من فاته الصبر بهول أو نسيان أو غلبة (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان
فقال الصبر والسماحة (وفي منشور الحكم) قالت الحصة بالاحقة بارض المغرب قال الجوع
وأما معك قال الايمان بالاحق بارض المبحاز قال الصبر أنا معك قال الملك أنا للاحق بارض
العراق قال الملك أنا معك (واعلم) ان الجملة خزن ومخزجهما من قلة القتل واخر من ذلك
التقريب في الامر بعد الصدمة ومثل ذلك كالتقريب على النار ان كان ماؤه قليلاً غلت يديه
من السراوان كانت محلوته تنقل حتى تكثر ناره وتطول مدتها وفي كتاب جابريان خرد وليس
للجم كلب مثله قال محرم على السامع تكذيب الثاني الا في ثلاث من غير الحق صبر الجاهل
على مضض المصيبة وعاقلة بغض من أحسن اليه وجماعة أحببت كنه

(فصل) واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب له بد وصبر على ما ليس بكسب
فالصبر على الكسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على
ما ليس بكسب له بعد فكسبه على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيها فيه مشقة وينقسم

من وجه آخر على أربعة أقسام فأول أقسامه وأولها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتهاز عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقصت أوقاته من مصيبة والناسخ الصبر فيما ينظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رغبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل مله وعند كل أمة مؤمنة أو كافرة (وقال أكنم بن صبيح) من صبر ظفر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الصبر مطية لا تمكبو والقناعة سيف لا يغبو (وقال أروشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع القرب (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) أفضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم اسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء الصبر على مواقع المكروه تدرك الخطيئة (وقال) ابن المقفع في كتاب القيمة الصبر صبران فاللثام صبرا وجساما والكرام صبر قساوا وابن الصبر الممدوح صاحبه أن يكون قوي الجسد على الكد والعمل فإن هذا من صفات الخير ولكن أن يكون للنفس غلوا وبلايا ولا أمور محفلة وبلائه عند الحفاظ مر بطلا (وفي مشهور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبرا (وقال) بزرجمهر لم أظهر على تنقل الدول كالصبر ولا مذلا للعدا كالصبر ولا مكسبة لاجلال كقوى المزاج ولا محلبة للمقت كالأعجاب ولا منقلة للمروءة كاستعمال الهزل في موضع الجد (فاما القسم الأول) وهو الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانتهاز عن محاوره فيه بصرح أداء القرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يؤتى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس إلى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعيمس (وكان حبيب بن أبي حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا ثم العبد انه أو اب بكى ثم قال واجبها اعطى وأثني (وقال الخواص) الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليه واقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الأفضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيئا صبر على التواضع وصبر عند الكراهية لما يجد من ضرره ومن رجا شيئا صبر على طلبه ليقف به (واما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقصت أوقاته من مصيبة فانه يتجمل به الراحة مع اكتساب الثوبة فان صبر طاعة استراح وحرز الثواب وان لم يصبر جمل الهم والوزر (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان نصبر في نواب الله تعالى خلف من ابتك ان نصبر يرى عليك القلم وأنت ماجور وان جوعت جري عليك القلم وأنت مأزور ونظامه أبو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك الماتم
أصبغر للباوي عزاء وحسية * فتؤجر أم نسلوا سلوا الماتم
خلفنا رجلا للجلد والعزاة * وتلك الايامي للبكا والماتم

(وقال عمر بن الخطاب) رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضي امر الله وكنت تاجورا وان
جرت مضي امر الله وكنت مأثورا (وقال الحسن) والله لو كفنا الجزع ما كفناه فالحمد لله
الذي أجونا على ما لوئنا ناعنه لصرنا اليه وعن هذا قالت الحكماء الجزع اتعب من الصبر في
الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صبرا الصبر والجزع لكان الصبر احسن
صورتا كرم طبيعة وكان الجزع اقبح صورة واخور طبيعة ولكن الصبر اولاهما بالغلبة
لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع للبعوا الى الصبر (وقال)
شبيب بن شيبه للهمدي ان المرء احق ما صبر عليه ما لم يجد سبيلا الى دفعه وأنشد
• واذا تصبكت مصيبة فاصبر لها • عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر
• (وقال آخر) •

وعوضت أجرام من فتيد فلا تكن • فتبدل لا ياتي واجرك يذهب
(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التاهل على فانت أو أكثر الفرح عند
مستطرق (وقال) الحكماء ان كنت جازعا على ما تشق من يدك فاجزع على ما لم يصل اليك
ومن ايقن ان كل فانت الى نقصان حسن عزاءه عند نزول القضاء (وقال الشاعر)
اذ اطال بالهزون أيام صبره • كساه ضنا طول المقام على الصبر
ولاشك ان الصبر يحمده غبه • ولكن اتفاني عليه من العمر
(وقال بعض القدماء) الصبر على أربع مراتب على الشوق والاشتياق والرهق والقرق
فن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار ورجع عن الهرمات ومن زهد في
الديناما ون بالمصيبات ومن راقب الموت أقصر عن الخطيئات (واما القسم الثالث) وهو
الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رغبة يها فيها فبالصبر والتلف
تدفع عادية ما يخاف ويثأل شفع ما يرجو (قال) النبي عليه السلام استطوا الشرج من الله بالصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)

ان الامور اذا اشتدت صالحتها • فالصبر يقع منها كل ما رجا
لا يتأسن وان طالت مطالبه • اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بني الصبر ان يحظى بها جته • ومد من القرع للابواب ان يلجا
(وقال بعض الرواة) دخلت مدينة يقال لها ذفار فبينما انا اطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا
على قصر خراب

يا من ألح عليه الهم والفكر • وغسرت حاله الايام والغبر
اما سمعت بما قد قيل في مثل • عند الاياس فابن الله والقدر
ثم للخطوب اذا احداثها طرقت • واصبر فقد فاز اقوام عاصروا
فكل ضيق سباني بعده سعة • وكل فوت وشك بعده الظفر

(ونحنه ~~توب~~ بفتح آخر) لو كان كل من صبر اعقب الطفر صبرت ولكنا نجد الصبر في العاجل يغني العمر ويدني من القبر وما كان أصح لذي العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيتك لكتبته تحت في الصبر استهبال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأبر في حساب وفي الجزع استهبال الهم ونهم البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الهم مع العقوبة وما أحسن بذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر فالنقى ومن شكر حسن النعماء (وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير • وكل شر به جهون

اصبر وان طال الليالي • فربما ساعد الحرون

وربما يسيل بالصغار • ما قيل هيأت لا يكون

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أنتم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) ان جارية كانت لابي بن ابي طالب رضى الله عنه تنصرف في حوائجها فكلما خرجت تصدى لها اخياط كان يقرب دابة روى ويقول لها والله اني لأحبك الله فلما أكثر من ذلك شكته الى علي فقال لها علي اذا هال للمرة اخرى فقول له والله اني لأحبك ما الذي تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وانا والله احبك فيه فقال لها اصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فرجحت الجارية واخبرت ولا هافد عا على رضى الله عنه ان ليخاط فوجد أمره على الصحة فوهبها للمعنفقة يستعين بها (وقال) علي رضى الله عنه الصبر كضيل البجاح والتوكل لا يحبطه والعاقل لا يذل باقل نسكة ولا يفرح باقل رفعة وكان يقال الصبر سلامة والعيش ندامة (واما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفخ وجوه الأراء وتنويع مكابدة الأعداء قال الله تعالى ونمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور • وروى ابن عباس ان النبي عليه السلام قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب واليسر مع العسر (وقال علي رضى الله عنه) الصبر مناضل الحداد والجزع من أعوان الزمان • وقال الحكيم مفتاح عزيمة الصبر قلع مغاليق الأمور (وانشدوا)

انما ابرع مما أتق • فاذا حل ليالي والجزع

ولما حبس ابواب في الحبس خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رفعة

صبرا يا ايوب صبرا مبرح • فاذا عجزت عن الخطوب بن لها

ان النوى عقد الذي انعقدت به • عقد المكاره فيك حلها

صبرا فان الصبر يعقب راحة • فلعلها أن تبلى ولعلها •

فلما وقف عليها ابواب كتب اليه

صبرتنى ووعظتنى فانالها • وستبلى بل لا تقول لعلها

ويعلم من كان صاحب عقدها • كرماءه اذ كان يملك حلها
فما لبث بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما (ولقيم بن المغز)
ما سكت صبرا واحتسابا فأنق • اوى الصبر يقال من فيه فلول
عذابي ان اشكو الى الناس أنى • عليل ومن اشكو اليه عليل
وان الذى يشكو الى غير نافع • ويسفرو بما فى نفسه لجهول
دع الدهر يجرى بأقداره • ويقضى بحائب أوطاره
ونومة عن ولادة الامور • وخل الزمان بتدواره
فانك ترحم من قد غبطت • وتحب من قبح آثاره
(وانشدني بعضهم)

ويعنى الشكوى الى الناس أنى • عليل ومن اشكو اليه عليل
ويعنى الشكوى الى الله أنه • عليه ما القاء قبل أقول
ولا آخر اذا ابلت فتق بالله وارض به • ان الذى يكشف البلى هو الله
الباس يقطع أحيانا بصاحبه • لا تياسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرة • مالا مرى حيله فيما قضى الله
وسرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالتصبر من صبر فى الله على المكابر
فتاوه بهجز وتارة يصبر والصابر من لا يشكو ولا يهجز والصابر الذى لودفع عليه جميع البلايا
والحن لم يغير وجهه فى الحسنة وان تغير من وجهه الرسم البشرية والخلافة كما قال القائل
صابر الصبر فاستعانت به الصبر • رفصاح لصبور يا صبر صبرا
وهذا اقوى بيت قيل فى الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل

صبرت على الايام صبرا صانف • الى ان ينادى الحلال لا صبر الصبر
والصبور هو الشابت على هذه المقامات وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق
باخلاقي وان من اخلاقي أنى انا الصبور ويقال الصبر لله غنى والصبر بالله نقي والصبر فى الله
بلاء والصبر مع الله وفاة والصبر عن الله جفاء وأنشدوا

اذا اذهب الرجال بكل شئ • رأيت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عن حل منى • بمنزلة اليمين مع الشمال
وقال المحاسب بن الصبر والتصبر حالة هي التمس وذلك اذا رفع الله علمان اعلام الاخرة فبده
على منازل الصابرين عنده فيتم القلب بسرو النعم وقال أبو محمد الجري الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة والحاجة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع
وجدان اتقال المحبة وأنشدوا

صبرت ولم أطلع هو الذى على صبرى • واخفيت ما بيني منك عن موضع السر
مخافة ان يشكو ضميري صابتي • الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري
وقيل للمحاسب بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان فى صبرك وضامولا كما
سحفت قول الحكيم

رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطى • من الامر ما فيه رضا صاحب الامر
وفي معناه • صابر كى ترضى وأنت حسرة • وحسب ان ترضى وتلقى صبرى
قال شيخنا ومثل كل من يحبه أعظم من شكل لنفسك هذا أيوب لما أصيب بنفسه قال مسنى
الضر ويعقوب لما أصيب بجيبه قال وأسفا على يوسف قال احمد قال لي أبو سليمان الداراني
اتدري بماذا أزال العقلاء اللاقة عن أساء اليهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك
فصبروا وروى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت بعدى بلائى فدعاني فسلطته
بالأهية فشكاني فقلت بعدى أرحك من شئ به أرحك وقبل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
انه الصبر الذى لا شكوى فيه ولا يث قال أنس ماصبر من يث وقال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لا تستغزروا الدعوى بالتذكر وقال الشاعر • ولا يث الا حزن مثل التذكر • وعلمه
على عظم الاسبى وشدة الجزع تذكر المسار المتقضية ونصورا المضار اذا هبته وكثرة الشكوى
والاسف وقال الشاعر

لا تمكث الشكوى الى الصديق • وارجع الى الخالق لا الخلق • لا يخرج الفريق بالفريق
وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر أعظم للمسيئين واعلم انه قل من صبر على شدة الازوال ما يرجوه
من فرج • وبخى ان نزلت بمصيبة أو كان في شدة ان يسهلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر
ما ينقسم وجوب القضاء وتقضى المسار فان الدنيا دار من لا دار له وماله من لا مال له ولها
يجمع من لا عقله وعليها بعدى من لا علمه وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسقى من لا فقه له
من صبح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن اقتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فقر • حللها حساب
وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خير ما يدوم ولا شر ما يئى ولا فيها الخلق بقاء فاذا
نصورت حقيقتها الخيبة تدرى الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر
يمثل ذواللب في نفسه • مصائب من قبل ان تنزلا
فان نزلت بفضة لم ترعه • لما كان في نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر • فصبر آخره أولا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يمدح ومن راقب لم يهلك ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم
يشعر نفسه ما ذكرنا من أحوال الدنيا وتقضى المسار ثم التواء في العود بين أطباق القرب
والجنادل قد فارقته الاحباء وهجره القرباء والبعداء الفتن الحوادث واجتاض قلبه الصبر
وضاقت عليه الاسبى وقال ابن الرومى

ان البلا بيطاق غير مضاعف • فاذا تضاعف فهو غير مطاق
وأشدوا تعودت من الضر حتى النفس • واسلمنى حسن العزاء الى الصبر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى • وان كنت احيا فابضيق به صدري
وحسن لي ما منى من التام كلهم • لعلنى يصنع الله من حيث لا ادري
ولبعض الاعراب

تعبز فان الصبر بالحر أجمل • وليس على رب الزمان معول
فلو كل يفتق ان يرى المرء جازعا • لناسبة أو كان يفنى التبذل

لكان التعزى عند كل معية * ونازلة بالحـرر أولى وأجمل
فكيف وكل ليس بعد وجاهه * وملا مرئى عما قضى الله مرحل
فان تكن الايام قينا نسلت * يئوس ونعمى والحوادث تفعل
فما لبث منا قنأة صليبة * ولا ذلنا للذى ليس يحـمـل
ولكن وجدناها نفوسا كريمة * تحصل ما لا نستطيع فحصل
وقينا بفضل الله منا نفوسنا * ففعلت لنا الاعراض والناس عزل

(الباب الثالث والثلاثون فى كتمان السر)

قال الله تعالى حكايته عن يعقوب عليه السلام يائى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك
كيداً فلما أفتى يوسف رؤياه بعهد امرأته يعقوب أخبر اخوته لعل به ماحل وفى الحديث
استعنوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من
انحمال الحمودة فى جميع الخلق ومن الوازم فى حقوق الملوك ومن الذرائض الواجبة على
الوزراء وجلساء الملوك والاتباع * قال على رضى الله عنه سرى أسيرك فاذا تكلمت به صرت
أسيره واعلم ان امناه الاسرار أشد تضرراً وأقل وجوداً من امناه الاموال وحفظ الاموال
أسير من كتم الاسرار فان أحرار الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحرار الاسرار بارزة
يذرهها لسان فاطق ويشيعها كلام سابق وعب الاسرار أنقل من عب الاموال وان
الرجل يستقل بالجل النقييل يحملوه ويثني به ويثقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون
سره فى قلبه فيلتمه من الذائق والكرب ما لا يطقه بحمل الانتقال فاذا أذاعه استراح قلبه
وسكن جاشه وكأنما أتى عن نفسه جلا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعى والشفاه
اقلها والاسن منقاعها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ومن عجب الامور ان اغلاق الدنيا
كلما كثرت خزائنها كان اوثق لها الا السرفاته كلما كثرت خزائنها كان أضعف له وكمن اظهر امره
أوراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما ربه ولو كفه أمن من سطوانه قال انوشروان من ضمن
سره فله بعضه فحصلت القطر بحاجته والسلامة من السطوان وقال بعض الحكماء
سرك من دمك فلا تجره فى غير أوداجك فاذا تكلمت به فقد أدركته وكان عثمان بن عفان
رضى الله عنه كتب له بشال حمران فاشتكى عثمان فقال كتب العهد بعدى لعبد الرحمن بن
عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى بهذا فاخبره الخبير
فاطلق لعبد الرحمن فاخبر عثمان فقال عثمان اعاهد الله أن لا يسأ كننى حمران أبداً وفاء الى
البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمان رضى الله عنه واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر
الرجال وكأنه لا خير فى آتية لا تمسك ما فيها فلا خير فى انسان لا يحسك سره ويروى ان رجلاً
أودع سره عند رجل فقال له افهمته قال بل جهات قال احفظت قال بل نسيت وقيل
لبعضهم كيف كتم السر قال اجد الخبير واحلف للمستخبر وقال الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما شئت * متى الضلوع على الاسرار والخبير

لكن أول من يفسى سر امره * اذ كنت من نشرها يوماعلى خطر

قال شيخنا ومن احسن شئ سمعته فى كتمان السر ما أئذنيه بعض فقهاء البصرة بالبصرة فقال

ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طبعه
 وفي معناه ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحسن خوفا ان يثمه به الحسن
 وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته في حيث لا تبلغ النفس
 قال العتيبي امر معاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عتبة حديثا فقلت لابي ان امير المؤمنين
 امر الى حديثا فاحدثك به قال لا من كتم حديثا كان الخيال له ومن أظهره كان الخيال عليه
 فلا تفعل نفسك ملوكا بعد ان كنت مالكا قلت ما ابتأقيد دخل هذا بين الرجل وأبيه قال لا يا بني
 ولكن اكره ان تذلل لسالك بافشاء السر قال خذت به معاوية فقال أعتقك أخى من رق الخطا
 وقيل لبعض الملوك ما أصعب الأشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويحكم مره وقال قيس
 ابن الخطيم

اجود بمكنون البلاد واتق * بسر كامن مالى افسنين

اذا جاوز الاثني سرفاته * يث وثق كثير الوشاة قين

وان ضيع الاقوام سرافاتي * كنوم لاسرار العشير أمين

يكون له عندى اذا ما ضجته * مكان سويداء القواد مكين

قال شيخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثني المودع والمودع ولا يبعد ان يريد به الشفيعين
 وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يده اصدقه فيوشك ان يصبر عدوا وقد
 روى في الحديث من النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة
 قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال أبو بكر بن حزم انما
 يقبال التجالس بان امانة الله فلا يجعل لاحدهما ان يفشى على صاحبه ما يكره وقال هشام بن
 عمرو ما من رجل يتقص من امانته الا قص ايمانه وقال جعفر بن عثمان
 يا ذا الذي اودعنى سره * لاترح أن تسجعه منى
 لم أجرح قط على فكرى * مكانه لم يجر فى اذنى

وكان عمرو بن العاص يقول ما انشيت سرى الى رجل فافشاء على قلته اذا كان صدرى اضيق به
 وقال الاحنف بن قيس يضيئ صدور احدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول اكنمه على وفي مشهور
 الحكم ان فرد بسرك ولا تودعه حازم فيزل ولا يهاهلا فيضون وأنشدوا
 اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السرا ضيق

وفي مشهور الحكم من افشى سره كثر عليه المتأمرون وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

ولا تنطق بسر كل سر * اذا ما جاوز الاثني فاني

تبوح بسر ضيقاه * وتبني اسرك من يكنم

وكفاك السر فيها تخاف * وفيما تحاذره أحزم

اذا ذاع سر من مخبر * فانت اذا التسه ألوم

وقال آخر اذا ما ضاق صدرك من حديث * وافشته الرجال فمن تلوم

وان عاجت من افشى حديثي * وسرى عنده فانا المعلوم

وقال الحكيم ما كفته من عدوك فلا تطلعن عليه صديقك فان لم يكن لك بد من اذاعته لقريته
تقتضيه من صديق مساهم أو استشارة ناصح مسالم في صفات أمين الاسرار ان يكون ذاعقل
ودين ونصح ومروءة فان هذه امور يتجمع من الاداعة وتوجب حفظ الامانة ومن مكث فيه فهو
عقلاء مقرب ولا تودع سرك عنده من يستدعيه فان طالب الودعة خائن قال صالح بن عبد
القدوس لا تذع سرا الى طالبه منك والطالب للسر مذيع وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة
لسانك فلا ذاعة من تولى عليه وان اودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان
على قلبك اسهل عليك من القفل بقلبك سرك غرك واعلم ان افشاء سر غيرك اقبح من اظهار سر
نفسك لانه يوجب باحدى وجهين اما الخيانة ان كان مؤثما أو النجاسة ان كان مستغبرا وقال
بعض الحكماء لا ينبغي ~~كن~~ جواد المال في مواضع الحق ضيفا بالامرار عن جميع الخلق
فان احمد جود المرء الاتفاق في وجهه البر والجل بكتوم السر وكان يقال صدور الاحرار
قبور الاسرار وقال الشاعر

الم تر ان وشاة الرجا * لا يتركون اديبها
فلا تفش سرنا الا اليك * فان لكل نصيح نصيها
وقال غيره ما كل مكنوم راح به * احذر لسانك من جوابه
ليس الهوى ما كنت تعرفه * ايام تلعب في جوابه
هذا هوى لو قد فصحت به * فخذك الحسام الى مضارب

• (الباب الرابع والثلاثون في بيان النجاسة التي هي رهن بسائر
النجاسات وزيغ بالزبد من النعماء والالام من ذي الجلال) •

وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آناه الله ملك الدنيا والجن
والانس والطير والوحش والرياح تجري بأمره كيف اراد فلما استمكن ملكه قال صلى الله
عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلوني اأشكر أم أ كفر فاعده هانمة كما عدها ملوك الارض
ولاحدهما كرامة من الله تعالى عليه كما ظن ملوك الارض بل خاف ان تكون استدراجا من
حيث لا يعلم كما قال تعالى في آية أراد هلاكهم فسندرجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم
ان كيدى ممين جه في التفسير اصب عليهم النعم وانهم الاستغفار وانما القرع بما وفق من
الدنيا والقبضة بزهرتها والاعتزاز بزخرفها من شعار الكفار الاترى الى قول فاروق العبد
انما اوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى خضفناه وبداره الارض ولما خاف
سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاؤنا فاقم
أو امسك بغير حساب واعلم ارشدك الله ان الشكر ليس هو حافظ النعم فقط بل هو مع حفظه
لها زعيم بزيادة النعم وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر باقاب وشكر
باللسان وشكر بالحوارج فاما الشكر الواجب على جميع المخلوقين فذكر القلب وهو ان يعلم
ان النعمة من الله وحده ولانعمة على المخلوق من اهل السموات والارض الا وبها يتامن الله
تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى من نعمه وعن غيرك بمعرفته نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد ان يشكر الله على نعمه امدت الى غيره

والدليل على ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمتي ان ايقنوا
انها من الله والى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه ايضا قوله
تعالى ولقد نصرتكم الله يدركوا ثم اذلة فاتقوا الله اهلکم تشكرون أي اتقوا في فانه شكر نعمتي
وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعضناكم من بعد موتكم لعلکم
تشكرون والعبارة عنه أن يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع
ويقال فيه الشكر اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر
معرفة العجز عن الشكر وروى ان دارد عليه السلام قال الهی کیف اشکرك وشکری لک
نعمه من عندک فاجب الله تعالى الیه الا ان قد شکرته فی وقال وهب بن منبه قال دارد عليه
السلام الهی ابن آدم ایسر منه شعرة الاوتیته نعمة وفوقها منك نعمة فمن ابن یكافوا فاجب
الله تعالى الیه یادادانی أعطی الكثير وارضى باليسير وان شکر ذلك ان تعلم ان ما بک من نعمة
فخی وفي هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر وذلك بان ترى شکرک برفیقة ویکون
ذلك التوفیق من أجل النعمة فتشكره على الشکر ثم تشكره على شکر الشکر الى ما لا یتناهی
وهذا الشکر أيضا واجب ولحمود الوراق

اذا كان شکرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشکر
فكيف بلوغ الشکر الا بفضله * وان طالت الايام وانصل العمر
اذا من السراء عسرورها * وان من بالضراء أعقها الاجر
فما بينهما الا نفسه نعمة * تضيق الاوهام والسروال جهر
ومن أقرب نعم الله واحسانه فقد أقرب بدما كلف لان أحدا لا یکنه ان یوازی شکر نعم الله
تعالى وفي مناجاة موسى علیه السلام الهی خافت آدم يدک وفعلت وفعلت فکیف
شکرتک فقال ان تعلم ان ذلک منی فکان معرفته بذلك شکره لى

• (فصل) • وما شکر الله ان فقال الله تعالى فيه وما بنة نعمة ربك فحدث قبل يعنى التوبة وقيل
يعنى القرآن وحكم الآية عام في جميع النعم وروى النعمان بن بشير ان النبي عليه الصلاة
والسلام قال من لم يشکر القليل لم يشکر الكثير ومن لم يشکر الناس لم يشکر الله والتحدث
بالنعم شکر وقال تعالى حکاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذى قد قنا وعده قال عامل
عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حفر نهر البصرة الذى يقال له نهر عمرانى حفرته لاهل البصرة
نهر ماء لهم شربه وجادت عينه ولم أره ثم على ذلك شکره فان اذنت لي فسمعت عليهم
ما أنفق عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز اني لأحسب أهل البصرة خلوا من رجل قال
الحمد لله حين حفرک هذا النهر وان الله قد رضىها شکر من جنته فارضىهم الله بكم ثمرك
والسلام وحقيقة الشکر في هذا القسم التناهي المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول
يوصف الرب تعالى بأنه شكور حقيقة فشکر العبد لله شأؤه عليه بذكر احسانه وشکر الله العبد
شأؤه عليه باحسانه واحسان الرب العبد انعامه عليه وهذه اللفظة مأخوذة من قولهم دابة
شكره واذا اظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويقال وجه شكور واذا كان ينام
الحاسن ظاهرها وفي الحديث يقول الله تعالى انا والجن والانس في تبايع عظيم الخلق ويعبد

غبرى وارزق ويشكر غبرى وقال بعضهم انما ائى الناس لانهم سمى في موضع صبرهم بحبون
انهم في موضع شكر

• (فصل) • واما الشكر الذى على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل دؤد شكرا وقابل من
عبادى الشكور فجعل العمل شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة ونسب الله عنها مع عبد بن
عمر فقال لها عبيد يا أم المؤمنين حدثينا بأجوب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت
وقالت وأى شأنه لم يكن عجباً انه أثنى في ليلة فدخل معى في فراشى حتى من جلدى جلده ثم
قال يا ابنة أبى بكر ذربى اتبعى دللى قالت قلت انى أحب قريك ناذنت له فقام الى قربة من ماء
فوضأوا كثر صب الماء ثم قام بصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى
ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقالت يا رسول الله ما يبكيك وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبداً شكورا فلم لا أفعل وقد أنزل
على أن فى خلق السموات والارض فجعل النبي عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبينه
مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا
أى كل واحد منهم ما يخلف الاخر فى فاته الله لى فى أحدهما على الاخر فجعل الاوراد
والاعمال بالجوارح شكرا وروى ان النبي عليه السلام قام حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول
الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبداً شكورا وقال
أبو هرون دخلت على أبى حازم فقالت له رجلك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا
أذنته وان رأيت بهما شر استرته قلت له فما شكر الاذنين فقال اذا سمعت بهما خيرا حافظته
واذا سمعت بهما شر استرته قلت فما شكر اليدين قال أن لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق
الله تعالى فيهما قلت فما شكر البطن قال ان يذكرن أسفله صبرا وأعلاهما قلت فما شكر الفرج
قال كما قال الله تعالى والذين هم لافروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم
غير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقا وفى حكمة ادريس عليه السلام لى يستطيع
أحد ان يشكر الله تعالى على نعمة على الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع به
الخالق تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها هو أشد لازمة من غيره فالنعماء فى
مواساة الفقراء أشكل بالشكر على الغنى من غيرها لانهم من جنس النعمة فاذا أردت أن تحرس
دوام نعم الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء والطاعة فى رفع ذوى الضعة والخلول والمسكنة
بغير معصية أشبه بالشكر على رفع قدرك والتسوية بأهلك والطاعة فى ترضى الفقراء وتلطيف
أغذيتهم أشبه بالشكر على العافية من سائر الطاعات والطاعة فى الشفاعات عند السلطان
وقضاء حوائج الغريب والاخوان أشبه بذوى الجاه من سائر الطاعات وعلى هذا المثال يفتى
ان يقال سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر أن يقال معرفة بالحنان
وذكر بالسان وعمل بالجوارح

• (فصل) • فى الكلام على الزيادة قال الله تعالى ان شكرتم لا تزيدكم فقال قوم انما
خاطب الله تعالى بهم ذابوقه ادعوني استجب لكم قومادون قوم والدليل عليه ان ترى
من يشكر على الغنى ثم يتلى بالتقوى ومن يشكر على العافية ثم يتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف

وعده وقال قوم معناه لازيدنكم نعمة الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد
عليه فاجابوا ان النعم الدينية والآخرى وان تفاوتت واختلفت فكلمها بمجانسة من حيث
انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير واللاح قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع
والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى ان يعطيه مالا أو يهيج جسمه وهو يعلم انه ان وهبه
المال تنقذ في المعاصي أو وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الاقام فالمنع ههنا مرهبة
من الله تعالى جزيلة وعز هذا قال العلامة صنع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء
فيه أي لئن شكرتم لازيدنكم ان الا ان نعصوا فاعاقبكم بالحرمات فاجعل ذلك كفارة لكم وهو
أصلح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسلون من الذنوب ولوتهميا ان يسلوا من الذنوب
لدرت الزيادات قال الله تعالى ولولاهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم
لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا ويعدكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لالهة اذ لو كانت على عمومها
لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق
وقد جعل الله العبادات علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا
رأينا الفتي يشكر الله تعالى بلسانه وما له في نقصان علمنا انه قد أدخل بالشكر الذي أخذ عليه
امان لا يركبه أو يركبه لغير الله أو بغيره عن وقته أو يجمع حقا واجبا عليه فيه من
كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل
ما أفلح من ربه قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب
أو اخلاق بحق أو الما يذنب كما قال بعضهم ادنى الشكر ان لاتعصى الله بنعمه فان جوارحك
كلها من نعم الله تعالى عليك فلا تنعم بها ويحتمل ان يكون معنى الآية لئن شكرتم لازيدنكم
ان شئنا ألا ترى انه قال ومن كان يريد سرث الدنيا نوتمنها وكثير من الخلق يريدون سرث
الدنيا ولا يؤتونه فيكون التقدير تؤتمنها لمن نشأ بدليل قوله في الآية الاخرى بعلمنا انها
مانشأ لمن يريد وهكذا قوله تعالى ادعوني استجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا
يستجيب لهم ولكن معنى الآية استجب لكم ان شئت وان شئت بدليل قوله تعالى فيكشف
ماتدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيد كنت بين يدي الرب
وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
ان لا يعصى الله تعالى بنعمه قال بوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه
الكلمة فان قيل ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما تحصل من الاذال في
الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاؤه ودفع البلياء
نعم لا يمكن احصاؤها وما يدفع الله عنهم عما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى
(فصل) ثم عدنا الى أقوال العلماء والحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر
من النعمة موضع القرى من الضيفان وجدته لم يرم وان عدته لم يسم واجهت حكما العرب
والجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المقنود
وقالوا مصيبة رجب أجزها خير من نعمة لا يؤتى شكرها وقال بعض الحكماء من أعطى

أربعاً لم يمنع أربعاً من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستعارة لم يمنع الظيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب • وكان يقال إذا رعبت النعم بالشكر فهي أطواق وإذا رعبت بالكفر فهي أغلال (قال حبيب)
نعم إذا رعبت بشكر لم تزل • نعم ما قال لم ترع فهي مصائب

(وبعث) الجراح إلى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يحجز عن شكر ما أوتي ويتنقى الزيادة فيما بقي ينهي ويأمر الناس بما لا يأتي فحب الصالحين ولا تعمل بأعمالهم وتغضب المسيئين وأنت منهم تكرم الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك • وقال المفسر بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا يقاوم النعمة إذا كفرت ولا يزال لها إذا شكرت وإن الشكر زيادة من النعم وأمان من النقم (وكان) الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وأنت مرتب بها كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تشك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها • وقال صفوان الملقب بالبشير إلى يعقوب عليه السلام قال على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة (وروي) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعى إلى قوم ليأخذهم على رية فافترقوا قبل أن يلغهم فأعق عثمان رقبة شكر الله تعالى أن لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (وروي) أن الحسن بن علي الترمي الركن وقال الهى نعمتى فلم تجدى شاكرًا وابتليتني فلم تجدى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أنت أدمت النعمة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم إلا الكرم ولأن الجاني إلا الجفاء • وقال عون بن عبد الله الخليل الذي لا ترفيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة (وروي) أن غلة قالت سليمان بن داود عليه السلام يا الهى أعلى قدرى أشكره منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا أشكر الله ثم قال لولا أنى أجبك لساأتك أن تنزع منى ما أعطينى (وقال) صدقة بن يسار ينادى داود عليه السلام فى محرابه أذمرت به دودة فتشكرنى خلقها وقال ما بعبد الله يخلق هذه أنطقها الله تعالى فقالت لها داود تهجيك نفسك لا ما على قدر ما آتاني الله أذكره وأشكره منك فيما آتاك (ولوجود الوفاق)

الهى للخالق الحمد الذى أتت أمله • على نعمة ما كنت منك لها أهلا

متى ازددت تقصير ازديت فضلا • كفى بالتقصير أستوجب فضلا

(وكان) لبعضهم صديق خبىء السلطان فارس إلى صاحب الشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب إليه أشكر الله تعالى خي المحبوس مجوسى مبطون وقيد فجعل حلقة فى رجله وحلقة فى رجل المحبوس يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب إلى صاحبه فقال أشكر الله تعالى فقال إلى متى تقول وأى بلا فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ماذا كنت تصنع وبعضهم ومن الرزية أن شكرى صامت • مما فعلت وأن برك ناطق
أأرى الصنيعة منك ثم أسرها • انى إذا التدى الكريم بأسرق
(وقال) رجل لسل بن عبد الله إن الص دخل دارى وأخذ مناعى فقال أشكر الله تعالى لو دخل

الص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ماذا كنت تصنع (ولما) بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سال المغفرة فقيل له فيه فقال لا شكره فاني كنت اعمل قبله لا مغفرة فبط الملائك جناحه فرفعه الى السماء وروى أن نبياً من الانبياء عليهم السلام مر بجعر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فانا أبكي من خوفه فدعا النبي عليه السلام به أن يحيره من النار فاحس الله تعالى اليه أني أجرت من النار فز النبي عليه السلام ثم عاد فوجد الحجر يتعبر منه مثل ما كان فتعجب فأنطق الله تعالى الحجر فقال له لم تبتك فقال ذلك بكاء الحزن والظوف وهذا بكاء الشكر والسرورة وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتي والمعا في فقال الهى ما بال المعاني فقال اقله شكرهم على عافيتي اياهم وبلا رجل اعرا يا بلا محسناً فقل لأبلاك الله بلاه بهجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة بهجز عنها شكرك (وأنشد بعضهم)

سأشكر لاني اجازيك منعماً * بشكري ولكن كي يرى ذلك الشكر
وأذكر ايا ما لذي اصطفتها * وآخر ما يقي على الشاكر الذكر
(وانشدوا) *

أوليتني نعماً أبوح بشكرها * وكفيتني كل الامور بأسرها
فلا شكر لك ما حيت وان أمت * فلتشكر لك أعظمي في قبرها
(ولبعض الاعراب) *

الهى قد أحسنت عوداً وبدأة * الى قلب منض باحسانك الشكر
فمن كان ذاعذرك ودينك وجهة * فعذري اقر اري بأن ليس لي عذر
(وكان) مطرف يقول الهى منك تكون النعمة وعلبك تعلمها وأنت تعين على شكرها وعلبك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد وقد أثنى الله على بعض عباده فقال انه كان عبداً شكوراً (وقال) تعالى شاكر الانعمه اجنباه وكذلك سائر ما أثنى الله تعالى به على عباده ثم قال فمن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن تركي فأنما يترك لنفسه ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ليس الرب تعالى فيها الا قليل ولا كثير فانه أجل من ان ينال الخطوط وأجل من ان يلحقه شئ من أو شكر شاكر فأخبر ان العلو والجلال لدونهم وانه يقدس عن الناس بشئ من أو كفر كافر قال الله تعالى بدعواكم ليغفر لكم فواجباً اعطى ثم أثنى وقال على رضى الله عنه كفر النعمة داعية الخفت ومن جاز النسا الشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك وحسب من أسديت اليه نعمة أو قضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد أدى حقها (قال الشاعر)

فلو كان يستغنى عن الشكر ما جد * لرفعة حال أو علو مكان
لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروني أهب النفلان
(وقال البستي) *

اتن بهجت عن شكر برك قوتي * وأقوى الوري عن شكر برك عاجز
فان ثنائي واعتقادي وطاعتي * لا فلاح ما أوليتنيه من الكسز
وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي وقتت علينا امرأة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر

وفارقنا الفنى وحالفنا، فنقر فرحم الله امرأتهم بعقل واعطى من فضل وواسع من كفاف
واعان على عفاف (وأشددوا)

فلو كان للشكر شخصين * اذا ما ناله الناظر

لثقلته لك - حتى تراه * فاعلم انى امرى شار

ولكنه ساكن فى الضمير * يحركه الكلام السائر

(وقيل) اكسرى ما الشكر فقال المكافاة على قدر الطاعة قبل فم الكفر قال ترك الجزء ولو
بالثناء قبل وهل يكون أحد الجمل عن يجعل بالثناء قال نعم من عادى على الصنعة

• (الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يطلع عليها الامير والمأمور
ويستريح اليها الرئيس والمردس مستخرجه من القرآن العظيم) •

قال الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امثالكم فاقب الله تعالى
الممالة يفتنا ويثيب سائر البهائم ومعلوم انهم لا يعاينوا فى خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه العين
منهم ومنافق الممالة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا رقيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا
تجدد اخلاق الخلق محتلفة فاذا رأيت من الانسان خلقا ساربا عن الاعتدال قابض ما عاين
ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم
ويستريحون منك وتدوم العصبية فاذا رأيت الرجل الجاهل فى خلافة العليق فى طباعه القوى
فى بدنه لا يؤمن طباعه واقراطه فالحقه به بعالم النور والعرب تقول اجهل من غرأنت اذا رأيت
النمر بعدت عنه ولم تخصمه ولا تدايمه فاسلك بالرجل كذلك واذا رأيت الرجل الغالب على
اخلاقه السمة خفية والنقب للعلن وجه الاستمرار قلنا هذا ينال عالم الجرد فذرع ملاحته
ومخاصمته كما تدع سباب الجرذ اذا أنسد رحلك ثم أحرى رحلك بما يصلح له واذا رأيت هجاما على
امراض الناس وثلهم فقد مائل عالم الكلاب فان داب الكلب ان يجفون ولا يحفون ويبتدئ
بالاذية من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبتك الست تذهب فى شائك ولا تتجسس به
ولا تنسبه فافعل بمن يهضم عرضك مثل ذلك واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت لا
قال نعم وان قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الجرد فان داب الجار ان اذنته بعدوان ابعده نه قرب وانت
تسقم بالجوار ولا تنسبه ولا تفارقه فاسقم ايضا بهذا الانسان ولا تنسبه ولا تفارقه واذا رأيت
رجلا يظلم عثرات الناس وسقطاتهم فقله فى الا دميم كمثل الذباب فى عالم الطير فان الذباب
يقع على الجسد فيتجاسى به ويطلب المواضع النحلة منه وذرات المادة والدم والتجاسة
واذا بلب سلطان يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذر لك منه كما نأخذ
حذر لك من الامد وليس الا الورب منه كما قال النابغة ولا قرار على زامن الاسد واذا بليت
بأنسان خبيث شير الودعان والمفاخرة فالحقه بعالم الثعالب وذا بليت بمن عشى بالتمائم
وفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا
ينهم ظربان فتمرقوا وخاصة هذه الدوية اذ حصصت وسط جماعة ان يفرقوا وكان الجماعة
اذا أقبات نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوا الدخول بينهم كذلك ينبغي اخراج التمام من بين
الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض واذا رأيت انسانا

لا يسمع العلم والحكمة ويتقرن بمجالس العلماء والحكماء وبالف سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر انظرافات وما يجري في مجالس العوام فالحق به عالم الخنافس فانه يجبه أكل العذرات
وبالف روائح التجاسات ولا تراه الاملاب الا خلية والمرحاض ويتقرن روائح المسك
والورد واذا طرح عليه المسك والورد مات واذا رأيت انسانا اتعده أنه حفظ الدنيا لا يستحي في
الوقوف عليها فالحق به عالم الاحدية بان تحيى رجلا عنه واذا بليت بالرجل تظهر عليه الديانة
والسكينة وقد نصب اشراكه لاقتناس الدنيا وكل أهوال الودائع والامانات والارامل
واليتامى فالحق به عالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع

يدعوه ورجل دعائه * مالا تقربه لا تنفع

يحمل بها باذ العلا * ان القواد قد انصدع

احترز منه كما تحترز من الذئب واذا بليت بحسبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كلمات
في الحكم لانه لا يقبل له خبر كالاخبار للميت وكالا نصيب الموق لا تعجب الكذاب (وقيل) في
المثل كل شئ شئ وصحبه الكذاب لاشئ ويجوز ان يلحق به عالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت
الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل وأخرى تحت طائفة من الرمل وسائر بيضه في قعر الحفرة
فاذا رآه الغراب اخذ تلك البيضة وينصرف أو يكشف عن وجهه الرمل فيجده الاخرى فيظن انه
ليس بشئ آخر والخبر بحالة النعام اذا رأى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر
بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمع منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية في الكشف عنه
واذا رأيت الرجل اتعده أنه ان يصنع نفسه كاتصنع العروس لبعها يبيض ثيابه ويعدل عامته
ويبقى ان يحسه شئ غيره وينظر في عطفه ويطرح القذا عن نوبه ليس له همة بين الخساء الا
نظروا الى نفسه واصلاح ما تأتي من ثيابه فالحق به عالم الطواويس الذي هذه صفته فانه يتجترق
مستبته وينظر الى نفسه ويقرش ذنبه فيخذله الملوكة استمسانا له واذا بليت انسان حقود لا ينسى
الهشوات ويجازى بعد المدة على السقطات فالحق به عالم الجمل والعرب يقول فلان أ- قد من
جمل ويحب قرب الجمل الحقود فاجتنب حسبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق يطن
خلاف ما يظهر فالحق به عالم البربوع فان البربوع وهو فار يكون في البرية يتخذ بجرائح الارض
يقال له النافقاء وله فوهتان يدخل من احدهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق
فاذا هم أحد بأخذه دخل بجره وخرج من الباب الاخر فيصير الصياد خلفه فلا ينظر بشئ
كذلك ل- المنافق لا يصح منه شئ وعلى ه- هذا النمط كن في حسبة الناس تستريح منهم وترى بهم
مثك فلعمر الله ما استقامت لي حسبة الناس وسكنت نفسي واستراحت من مكيدة اخلاقهم الا
من حيث سرتهم هم هذه السيرة (وهل) الرياح ياتي رباح لا تحقر واصغرا تاخذون عنه قاني
أخذت من الثعلب روغانه ومن القرد مكابده ومن السنور صرعه ومن الكلب نصرته ومن
ابن آوى حذره وقد نعلت من القمرمشي الليل ومن الشمس القه ور في الحين بعد الحين

(الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي في غاية كمال السلطان

وشقاء الدود ورواية القلوب وطبيعة الندوس) *

اعلم أيها الملك انه متى كتبت إليك الخصال المحودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة
وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضت حثك
وجعلت قدرك ولم تؤذك - حفظك فبلغك منهم ما يسو طورت رأيت منهم ما لا يفهمك فاعلم انك لست
بأله فلا تطمع ان يصفوا لك منهم ما لا يصفو منهم للاله - وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان
الله تعالى خلق الخلائق أجمعين وأنعم عليهم بأنواع النعم فأكمل حواسهم وخلق فيهم السموات
ثم أقاض عليهم نعمه وكنيت لهم المذاق وبعد هذا انما قدروا الله حق قدره ولا عظمه وحق
عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضاءوا اليه ما يتقدس عنه
وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى ففهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال
له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم قال له البنات ومنهم من يجعده ومنهم من يشبهه ومنهم من
انكره وأساو قال بالخلق صانع كما حكمه الخلاق عنه فقال غرت ونفخا وما يملك الا الدهر وهو
مع ذلك يجيهم بهو يبتغيهم ويصنع أجسامهم وحواشيهم وبرزقهم وشرقتهم ويقضي ما ربه لهم
وأوطارهم وعتقهم مناعا حسنا ويلقهم آمالهم في مقام ما يحتاجون اليه فعاصيهم اليه صاعدة
وبركاته عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته ويتفق بما عنده وكل ذي حال أولي بها (وفي مناجاة)
موسى عليه السلام انه قال الهى أسألك ان لا يقال في مالى في فارحى الله تعالى اليه ذلك شئ
ما فعلته لتفسي فكيف أفعل بك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكري لمن اذكر مع انك ان
التمت رضا جميع الناس التمت ما لا يدرك وكيف يدرك رضا الخلقين فأيها الملك الذي قد
كتب الله عليه الفناء والعمر القصير والزمان اليسير والايام المعدودة والانفاس المصورة
كيف أردت ان يصفوا لك من الرعية ما لم يصف منهم ثلثتهم ورازقهم وتحببهم ومحببتهم هيات
هيأت بعد ما أملت ومستحيل ما طلبت فكيف في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بمارضى منهم
خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربه فيهم ألم تر كيف أحسن اليك فرضي منك باليسر من العمل
وأكثر لك من النعم من الاموال والظول فانظر كيف يسترزلاتك ويتقدم ساكنك ولا
يفضحك في خلواتك ففي هذا ما يهد النفوس ويؤد ذوى العقول ويهتدى الى الصواب
ويوضح طرق الرشاد وقد درع عن الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما لوته عليك فانه
روى عنه انه كتب الى عروبن العاص كن لرعيته ما نخب ان يكون لك أميرك

*(الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها الجأ للملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال)*

أيها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرتجت في قلبك وجوه
الرأى وتسكرت عليك المعارف واكتهرك وجه الزمان فلا يقلبك خلقتان اترك للناس
دينهم وديناهم ولاك الامان من طواغيت الحداث وما بأني به الملوان وقد روى ان الامور
قال في آخره وادفة مع أخيه الامين وقد نفدت بيوت الاموال والحت الاجناد في طلب
أرزاق الامون بقيت لاني خصله لو فعلها ملك موضع قدمي هاتير قيل له وما هي فقال والله اني
لاضن بها على نفسي فكيف على غيري فلما خصل له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان
الامين نادى في جميع بلاد ما قد سط الخراجات والوظائف السلطانية وصرا الجبايات عشر

سنتين ملك الامر على ولكن اقله غالب على امره واما خشي المأمون انتفاض بيعته مع أهل خراسان في امر فنته مع أخيه الأمين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع القهقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة وبسط العدل والقعود على اللبود وتواصل النظر في المطام وتكرم السواد والملوك وابناء الملوك وتعهد المواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وحط عن أهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلام وانتقاد اليه وافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة امر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهوان نصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتحسن الى حملة القرآن والعلم وحفاظ الشريعة وتدنى بمجالسهم وتقرب الصالحين والمترهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والروساء المتبوعين من كل غمط فهو لا همهم أزمة الخلق وبهم عيالك من سواهم قن كمال السياسة والرياسة ان تبقى على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عززة وعلى كل ذي منزل منزلته تخفيته يكون الروساء لك اعوانا ومن دانت له القضاة من كل قبيلة فاخلق به أن يدوم سلطانه والعامة والاتباع دون مقدمهم وساداتهم واتباعهم اجساد بلا رؤس واشباح بلا ارواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صنعتهم فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال شق الكبرياي بي فذهبت مثالا

• (الباب الثامن والثلاثون في بيان انحصار الموحيبة لزم الرعية للسلطان) •

قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كريم قصريه عن قدره فاورثه ذلك ضعفنا واما التيم بلغيه فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى التميم الخسيس يبعثه على معاودة المستله (وقيل) لالاكسندر ان فلانا يتقصص ويسبى الشناء عليك فقال أنا أعلم انه ليس بشيرير فنبغي أن نعلم هل ناله من ناحيتنا أم ردعاه الى ذلك فصحت عن حاله فوجد هاربة فامر له بصله سنة فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالشناء عليه فقال أما ترون ان الامر النان يقال فينا خير أو شر ويفني للسلطان ان لا يقض الرعية مالا وقنية فيكونوا عليه بلا وقتة ولكن يقضهم أهلا واخوانا فيكونون له جندا واعوانا وقد سق الخلل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

• (الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجار) •

مثل السلطان العادل مثل الباقوتة النفيسة الرقيقة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة وأول ما يبصر المقلبون وينقد الناقدون الواسطة وانما يثني المتنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كما قال ابن سعد لتبث بالجار بين مكة والمدية سكنية بنت الحسين رضي الله عنهم ما فسرت لي عن وجه ابنتها واذا وجهه كأنه قطعة قمر وقد أثقلتها بالظواهر والبواقيت وأنواع الدرر فالتفت الى وقالت والله ما علمته عليها الا تفصحته وكان جمال السلك ان يلى الواسطة الافضل فالافضل

من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان في النظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون الاقرب
 فالاقرب اليه أهل العلم والعقل والادب والراي والاصالة والشرف والحصافة وذوى الكمال
 من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكان جال العقدة واسطه كذلك
 جال الرعية بكمال سلطانهم وفضله وبراعته وعدله ومثل السلطان الجار من مثل الشوكة في
 الرحل فصاحبها تحت أم وقلى ويتداعى لها سائر الجدد ولا يزال صاحبها يروم قلعها وبسبب
 بما في ميسوره من الآلات والمناقب والابر على احوالهم لانهم في غير موضعها الطبيعي ويوشك
 ان تنزع بالاجر فحين غر الباقون من شوك القناد

• الباب الموفى أربعين فيما يجب على الرعية اذا جارا السلطان •

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء أطيب من أخله كما كان رأس الجرّة أقره
 واحسن من أخله فافطن قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية أيضا ليسوا
 كمن مضى من للرعية والسببان تدم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يذل أميرك
 اذا نظرت آثار من مضى من الرعية فاذا جاور عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزن (وروى)
 البخارى عن عباد بن الصامت قال يا بعنا النبي عليه السلام فكان فيما أخذ علينا ان يايعينا
 على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وأن لا تنازع الامر أهله
 الا ان تروا كفرناوا حشدكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أموره شيئا
 فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان شبر مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لئن
 النبي عليه السلام انكم سترون بهدى أثره وأمورا تشكرونها قالوا في تأمرنا يا رسول الله قال
 أدوا لهم حقوقهم واسألوا الله حجتكم (وروى) أبو داود في سننه ان النبي عليه السلام قال
 سأ أنيكم ربكم بغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فادأوا ذلك فأعطوهم ولا تبسروهم
 ولتدعوا لهم وهذا حديث عظيم الموضع في هذا الباب فذرع اليهم ما يطلبون من اظلم ولا
 تنازعهم فيه ونكت الاستغناء عن سهم يا عباد الله لا تجعل للاحك على من ظلمك الدعاء عليه
 ولكن الثقة بالله ولا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام ما جعلوا في كفة المصنوع ليقذف به
 في النار قال اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكنى كيدهم (وقال)
 مالك ابن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدى
 من أطاعني جعلتهم عليه رجة ومن عصاني جعلتهم عليه نعمة فلا تغفلوا انفسكم بسبب الملوك
 ولكن توبوا الى الله أعظمهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك
 من ظلمه فان شئت أجبتك وأجبتك عليك وان شئت أخرت الامر الى يوم القيامة فيسبهم الله
 (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لا تجعل ملأك في الاعداء الا كفاة ولكن الثقة بالله
 وروى أبو داود في السنن قال سرق مخلفه لعائشة فزنى عنها فجعلت تدعو على من أخذها
 فسمعها الذي عليه السلام فقال لا تنسني عنه يعني لا تتخنى عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما
 ترى فاذا حال للمظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فتدعاه على نفسه وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه
 ظلم ولو كان موقفا ما ظلمك فان استعيب دعاءك فيه زاد ظلمك ومن الاقفاط المروية من سلف
 هذه الامم يقولون لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) الفضل

لو ظفرت بيت المال لاخذت من حلاله وصنعت منه أطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الأخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل اليه أمرنا ولما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وأبنتاه فقال معاوية يا بنت أخي ان الناس أعطوا ناطقة واعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلمات غضبوا وطهروا لئلا طاعة تحتك واحقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكسنا بهم نكثوا وانا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولان نكوفي ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن نكوفي امرأة من عرض المسلمين (وروي) ان رجلا من المعتلة غضبه بعض الولاة فضعفه فاستعدى عليه الى المنصور فقال له أصلحك الله أذكر حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل أضرب لي قبلها مثلا قال أصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يفر الى أمه اذا لا يعرف غيرها وظننا منه انه لا يصرف فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان فراره وشكواه الى أبيه لعل يابن أباه أقوى من أمه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وحر به أمر شكالى الوالى لعل يابنه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله واشتدت شكيفه شكالى السلطان لعل يابنه أقوى من سواء فان لم يرضه السلطان شكالى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك أحد أقوى منك فان انصفتني والارفعت أمرها الى الله فى الموسم فالى متوجهة الى بيته وحرمة اذ ليس فوقك أحد الا الله تعالى قال بل تفضلك وأمر بان يكتب الى واليه برضى عته اليه

(الباب الحادى والاربعون فى كائىكونوا يولى عليكم)

لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالككم كائىكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بيد المعنى فى القرآن قال الله تعالى وكفلك نولى بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما أنكرت من زمانك فانما أفسده عليك وقلت عهدة المثلث بن مروان انصفونا بانه عشر الرعية تريدون مناسرة أى بكر وعمر ولا تسير وافينا ولا فى انفسكم يسيرتم ما نسأل الله أن يعين كالا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا أنت فى السماء ونحن فى الارض فكيف نعرف رضائك من محطك فاوحى الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خباركم فقه بخدميت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد صنعت عليكم وقال عبيدة السلماني لعل رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أبى بكر وعمر افطاع الناس لهم والحبس عليهم ما أضيق من شرفاتهم عليهم ما وابت أنت وعثمان الخليفة ولم يسطعوا السكا وقد اتعت فصارت عليكم أضيق من شرف قال لان رعية أبى بكر وعمر كانوا مثلى ومثل عثمان ورعيتى انا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) أخ محمد بن يوسف يشكو اليه جور اعمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغنى كالك نذكركم ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان يشكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه الا من شوم الذنوب والسلام

(الباب الثانى والاربعون فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية)

اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية وأقواها اثر فى عسكهم بايديهم وحفظهم روايتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفاسف الاخلاق وبعده عن مواضع الرب وتزقيعه نفسه عن استعجاب البطالة والجون واللبس والهوى والاعلان بالنسوة وقد كانت هبة محمد الامين لملك الرجل الخليع والماجن الرقيق أبى نواس الشاعر وصمة

عظيمة عليه أو هن بها سلطانه ووضع عندنا الخاص والعام قدره وأطلق السنة الخلق بالشتم
والثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك أخوه المأمون عن الولاية ووجه طاهر بن الحسين
لحاربه ينفذ ادوار به حتى قتله وانفذ برأسه الى المأمون وكان يعمل ككتاب قرأ على المنابر
من خراسان ويقف الرجل فذم أهل العراق فيقول أهل فسوف وخور وما خور ويعيب
الأمين بذلك فيقول استعصب أنا بنو اس شاعر اما جانا ~~كافرا~~ استخلصه معه شرب الخمر
وارتكاب الماسم ونيل الهارم وهو القائل

الافاسقى خرا وقللى هي الخمر • ولا تسقى سرّا اذا أمكن الجمهور

ومع باهم من تموى ودعى من الكنى • فلا خير في اللذات من دونها سر
حتى تعرفت عليه نفوس الخلق وتنسكرت له وجوه الورى فلما بلغ الامين حبسه ثم أطلقه
بعد ان أخذ عليه أن لا يشرب خرا ولا يقول فيه شعرا فغنى أو اراد السلطان اصلاح رعيته وهو
متناد على سبى أخلاقه كان كمن أراد بقاء الجسم دمع فقد رأسه أو اراد استقامة الجسم
مع عدم حياته • ولكن اراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء
واقتراب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعالك وقديما قبل من أصلح
نفسه أرغم أنف أعدائه ومن عمل جده بلغ كنه أمانيه (وسئل) بعض الحكاهم ينتقم
الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولا يلقى القبح البسقى

اذا غدا ملك باللهو مشتهلا • فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة • لما غدا وهو ربح اللهو والطرب

ومحبة الاشرا تورث الشر كالريح اذا مرّت على السنب حلت نتنا واذا مرّت على الطيب
حلت طيبا فعمل استصلاح رعيته وأنت فاسد وارشادهم وأنت غاو وهدايتهم وأنت
ضال وقد سبق لمثل ومن المجازب آعش كمال وتقول العرب يا طيب طب نفسك وكيف
تسدر الاعمى على أن يهدي والفقير على أن يغنى والدليل على أن يعز فبعدل عن تطهير
غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبعد الطيب عن ابرام غيره من دامه مثله (وقال)
بعض حكماء الهند ان يبلغ الف رجل في اصلاح رجل واحد يصح القول دون حسن الفعل
كما يبلغ رجل واحد في اصلاح ألف رجل يحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل

يا أيها الرجل المعلم غيره • هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدوام من السقام لذى الضنى • كما يصح به وأنت سقيم

ما زلت تلتج بالرشاد عقولنا • عظة وأنت من الرشاد عديم

أبدًا بنفسك فأنه اعن غيها • فلذا أنت عنه فانت حكيم

خهناك يقبل ما تقول ويقتدى • بالرأى منك ويقنع التعليم

لاتنه عن خلقى ونافى مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن أقوى الاسباب في صلاحهم عند قوت صلاحه استعجاله عليهم الخاصة منهم وذوى
الاحلام والمروآت القائمة والاذبال الطاهرة فغنى رأس العامة مراتهم فهو الطريق الى حفظ
أديانهم ومرواتهم وغاسكهم عن الانهماك في المخطورات وملابسة الهرمات وقال الشاعر

لا تطلع الناس فونى لاسرا لهم • ولا سرا لاذاجها لهم سادوا
(وقال) مردك الفارسي خلتان في السلطان أن يسلط بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون معه
فحينئذ يكون رئيس الرؤساء وأمير على السادة والفضلاء وان أهلهم وركوب شهواتهم
ونوسط لذاتهم ذهب أديانهم وسقطت مرواآتهم وبهروا كاجاء المثل في الجامعة المذمومة
تقول العرب في القوم لارؤساء فيهم ولا مرواآ فيهم هم سواسية كاستنان الحمار وتقول
سواسية كاستنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاستنان الحمار فلا ترى • لذي شبيهة منهم على ناشئ فضلا

ولان يكون أميرا على الفضلاء والرؤساء خير من ان يكون أميرا على الاخساء والرمادية
والفوغا والاذنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من بعد رقي من
عبد الله بن عمر فانه أي ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه تستخيره وتضربه عنقه
وتستريح منه فقال عبد الملك ويلك اذا قلت ابن عمر على من أكون أميرا ولما صار داود الى
الحجاز في الدولة العباسية ليقتل من هناك من بني أمية قال له عبد الله بن الحارث بن ابي ربيعة
اسرعت في قتل الكفائيك فمن تباهي بسلطانك اعف الله عنك فعمما (وقال) ارسل طاطا ليس
للاسكندر استصلح الرعية وأذهب شرهم تكون رئيسا لاختيار محمد وحسين ولا تكون رئيسا
لأشرارهم ذمومين فتكون كراعي البقر

• (الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية) •

كتب ارسل طاطا ليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تطفر عنهم بالمحبة فان طلب ذلك
منهم بالاحسان هو أودوم بقام منهم بالاعتساف واعلم انك انما تملك الابدان فقطهاها الى القلوب
بالمعروف (واعلم) انه اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الالياء
والتصنع وفي المراد من قلوب الرعية خزانة ماوكلها انما ودعوها من شيء فليعلموا انه فيها
(واعلم) ان الرعية اذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد ان تقول تسلم من
ان تفعل وليس هذا خلاف ما روى عن معاوية ان رجلا أغلظ له فلم عليه فقبل له التحمل على مثل
هذا فقال اني لا أحول بين الناس وألنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطانتنا وذلك ان تفسير قولنا
فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشيء وهذه المسيرة أحسن من سيرة اردشير لما رفع
اليه ان جماعة من بطائنه قد فسدت نياباتهم فوقع فيهم معاشر الملوك انما تملك الاجساد لا النيات
وتحكم بالعدل لا بالرضا وتفحص عن الاعمال لا عن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرتين
بجزع عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين
هذا من قوله وقد دفع اليه انك ركبت أمس في عدة قليلة وتلك حاله لا يؤمن اغتيال الاعداء
فيها فوقع من عم احسانه أمن أعداءه وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان يا أهل الشام
انما انا لكم كالطليم الرائح على فراخه يثق عنهم القدر ويساعد عنهم الجبر ويكنهم من المطر
ويحميهم من الضلج ويحرسهم من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجبة والرداء وأنتم العدة
والجداة وقالت العجم أسوس الملوك من قادر عيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغي للوالي أن يرغب

في الكرامة التي نالها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر و صواب التدبير
وقال عمر بن عبد العزيز اني لاجع ان اخرج للمسلمين امر من العدل فأتأف ان لا تحمله قلوبهم
فأخرج معه طمعان طمع الغنيان فذرت القلوب من هذا سكنت الى هذا وقال معاوية
لزيد بن أسوس الناس أنا وأنت فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله رجلا يحفظ الناس بسيفه كمن
اسمع الناس وأطاعوا له بالين و يروى ان سليما مولى زيد بن خنيزاد عنده معاوية فقال معاوية
اسكت فما أدرك صاحبك بسيفه أدركت أكثر منه بلساني

• (الباب الرابع والاربعون في التحذير من محبة السلطان) •

اتفقت حكماء العرب والعجم وصاياهم على النهي عن محبة السلطان قال في كتاب كاليه وضمنه
ثلاثة لا يسلم عليها الا اقبل محبة السلطان واتقان النساء على الاسرار وشرب السم على
التجربة وكان يقار قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا محبة السلطان وقال
مردك أحق الامور بالتفت فيها أمر السلطان فانه من محب السلطان بغير عقل فقد ليس
شعار الغرور وفي حكم الهند أيضا محبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر
وانما تشبه بالجبل الوعر فيها الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء
ليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتمكن أخير السلطان وشرو لان خير السلطان لا يعدو
من زيد الحال وشرا السلطان قد يزل الحال وينتف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في
الشيء الذي في سلامته مال وجاء وفي نكته الجائحة والتلف ولهذا الما قيل العنابي لم انتصب
السلطان على ما فيك من الادب قال اني رأيت يعطى عشرة آلاف في غير شي ويردى من الصور
في غير شي ولا أدري أي الرجلين أكون (وأخبرني) أبو العباس الجازي وكان عن دوح أرض
الهند والصين وانتهى الى صيد الصين الى جبل الياقوت بالهند وان فيه ثعابين ليس في معمر
الأرض أعظم منها فان الواحد منها يباع الثور صبيح فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار حدرت السيول منه الحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على
مسير أيام من الجبل فيجث الناس ذلك الحصى فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار
الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويرضى
رضا الصبي ويبطش بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما محبت السلطان
وقال الاحنف بن قيس ثلاثة لا أقولهن الا ليعسبرهن لا أخلف جليسي الابعأ أحضر به ولا
أدخل في أمر لا أدخل فيه ولا أتى السلطان الا ان يرسل الي وقال ابن المقفع لاتبه ان
وجدت من السلطان ومحبته غنى فاعن عن نفسك واتر له جهده فانه من يأخذ السلطان
بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا ومن لا يأخذ بحقه يكسبه القضيعة في الدنيا والوزر في الآخرة
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعاً لا تعجب سلطاناً
وان أمرته بالمعروف ونهيه عن المنكر ولا تخلو بامرء وان قرأتها القرآن ولا تصل من
قطع رحمة فانه لك أقطع ولاتكلم بكلام اليوم تعتذره نه غدا (وفي حثنا للحكم) كثرة
الاشغال مذه له عن وجود اللذات بكنهمها وكما قد رأينا بلغنا من محبة السلطان من أهل
الفضل والعقل والعلم والدين ليصله نفسه هوى فكان كما قال الأول

عدوى البليد الى الجليد سريعة • والجور يوضع في الرماد فيضمد

ومثل من يصب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطاً ما تلا فاعتمد عليه ليعينه فخر
الحائط عليه فأهلكه وفي كتاب كليله ودهنه لا يسعد من ابتلى بصحبة المولك فانه لا عهد له
ولا وفاء ولا قريب ولا جيم ولا يكرم عليهم احد الا أن يطعموا فحينما عنده فقر يوروه عند ذلك
فاذا قضوا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخاء الا البلا يجزى والذنب لا يغفره وقال بزرجه ولا تصلح
صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولاه واخاه الا اخوان الا باللين والمواساة (وقال) بعض
حكاه القرم المال والسلطان مفسدان لكل أحد الارجل له عقل كامل وقالت الحكاه
صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لم يركبه أخوف وقالوا من لزم باب
السلطان يصبر جيل وكظم الغيظ وامرأح الاذي وصل الى حاجته كالكرم لا يتعلق بآكره
الشجر لكن بادناها وكانت العرب تقول ان لم تكن من قرياء الملك فكنت من بعدهائه (وفي) حكم
الهند انما مثل السلطان في قلة وفاته مع أصحابه وصفا نفسه عن نفسه بهم كمثل الصبي
والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر والعرب تقول السلطان ذو دوات وذوبوات وذودترا
وتريدانه سريع الانصراف كثير البدوات هجام على الامور وأصله من الدر وهو الدفع

• (الباب الخامس والاربعون في صحبة السلطان) •

قال ابن عباس قال لي أبي يابني اني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر
من أصحاب محمد عليه السلام واني أوصيك بخلاف ثلاث لا تنفبر لهن سرا ولا يجبرن عليك
كذبا ولا تغتابن عنده أحدا (قال) الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف
قال اي والله ومن عشرة آلاف وقالوا صحبة السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو
بالجهر والعامه بالبشر ولا تتكلم لاحد بحسن رأي الملك الا بحسن أثره (قال) بعض الحكماء
لا تستطلع السلطان ما كنتك ولا تنفس ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استنطقه ومن
اعتن عليه عداؤه ومن أظهر انه يهينه يرميه بعده (وقال) بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيبا
فزده اجلا لا واذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا وان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده
وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاخذوا في التناء عليه فملك بالدعاه وان نزلت
منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تتكبر في الدعاه عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة
والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تألوا بعلظمتيه وذكرته وقال ابن المقفع انك
حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضائك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان
تلهو عن المال والذخرفسأيتك منهما ما يكتفي وبطيب (وقال) مسلم بن عمرو بن خديم السلطان
لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تغتر اذا أقصاك وروى ان بعض الملوك استعجب حكما فقال له
أصبحتك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لى ستر ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل في قول
قاتل حتى تستشيري قال هذا لك في عندك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة
ولا أوتر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستعجب انت وقيل لعبد الله بن جعفر ما انشروق
قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أوى الناس بالملك الفاحشة
المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالحبة

الملك كفة وقال بزرجمهر اذا خدمت ملوكا من الملوك فلا تنفع في معصية خالفت فان احببه
اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من ايقاعه احبب الملوك بالهبة لهم والوفاء لاتهم
انما احتجبوا عن الناس لقبام الهبة فلا تترك الهبة وان طال انك تبهم فهو حبيبهم منك
لا تعط السلطان مجهودك في أول محبتك له فلا تجذب بعدا لمزيد موضعك ولكن دع للمزيد
موضعك علم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشير اذ أحلك السلطان من
نفسه بحيث يسمع منك وينقبك فأياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير
لك فيكون عون عليك أياك ان تعادى من اذا شاء يطرح نيايه ويدخل مع الملك في نية به فعل
وفي الامثال القديمة أحد رومة المخذة وفيه قيل

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزا • مثل الشفيح الذي يأتيك عربا

وفي الامثال لا تمل فتمل ولا توجف فتجف وقال الرشيد لا يجعل ابن صديق ايك والدالة فانها
تفسد الحرمة وقال سليمان بن داود عليهما السلام لا تغش السلطان ولا تعده عنه وقال
الحكيم شدة الانتباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تفتح باب المالة واعلم ان
من طلب العز بلاذل كانت غرقة سبعة الذل أسر زمرك عند السلطان بمثل ما كتبتهما من
الجد والمناجحة واحذر ان يحطك المتأبون عمارك اليه التحفظ ان أثق الناس بالسلطان
صاحبه كان أقرب الاشياء الى التارأسر عا احتراقا من (م باب السلطان بصبر جميل
وصظم الغبط واطراح الاذى وصل الى حاجته) وقال الاخنف بن قيس لا تقبضوا عن
السلطان ولا تملأوا عليه فانه من أثرف على السلطان أرواه ومن نضر عه خطاه • وقال ابن
عباس رضي الله عنه ثلاثة من عاداهم عادت عزته ذلة السلطان والولد والعريم واعلم انه ان
يتطيع هبة السلطان أحد رجليه اما فاجر ماضع مثال حاجته بنجوره ويدلم بصانعة
وامام غفل مهين لا يجده أحد فاما من أراد ان يحبب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف
فقبل ان يستقيم له محبته لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما السديق
فمنافسه في منزلته فيطمع عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرض
للهلكة وقال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة لا يوحك
من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك لصورة اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط قضاء
ويخرج دمه (وفي الامثال) لا حلم لي لاسف فيه • وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استحب معه
رجلا فيه ما فيه يستدفع به شر السفهاء وأهل الوغاة والدعارة وقال المعتصم ارسل السلطان
اسكرات فخما الرضا عن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول
الحكيم خاطر من يلج في البحر أعظم منه خطر امسحب السلطان وقال ابن المقفع لا ينس
لا تعدن شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ربح المزة تبسطه في غير باس ولا نصه
(وقال ساميد) أحد حكماء الفرس أربعة أشياء ينبغي ان تضر للفهم كأنفسر للبلد ولا يسكر
فيها على ذ • أحد تأويل الدين واخلاط الادوية وصفة الطريق المخوف والراى
في السلطان واعلم ان السلطان اذا انتطع منك في الآخرة نسي الاقل فارطهم مقطوعة
وجبالهم مصرومة الامن رضوا عنه في وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالي خلا لا تنبني

فلان تكابده على ردها فافهم ارياسة صعبة لكن أحسن مساعدة على أحسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطا بالطمعة أكثر من تبصرك وأجعل العدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكنت اقتلع الخطأ ولا تطالب ما قبل الوالي بالمسئلة ولا تستبطنه وان أبطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيناء فانك اذا استحققت أنالك من غير طلب واذا لم تستبطنه كان أعجل له وقال يحيى بن خالد اذا مضت السلطان فدارم داراة المرأة العاقلة التبيحة للزوج الاحق المفيض وقال يحيى بن خالد بعض اخوانه تنكر لي هرون الرشيد فقال له ارض بقليل من كثيره ويا لك ان تضطه تكون احتفظت بك

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند)

اعلم ان الجند عند الملك وحسونه ومواقفه وأوتانه وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمه والدافعون عن العورة وهم جن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والجند الذي باقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في شحره فهم يذب عن الحرم ونؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والمذاذ عن الحرم والشوكة على العدو وعلى الجند الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم القلية فليعنعوا في الطلب وان تكن عليهم فليكسر والاعتنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا أخبار غدي وينبغي للملك ان يتفقد جنده كتنفق صاحب البستان يستانه فيقطع العشب الذي لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضرب بالنبات النافع فهو بالقطع اجدر ولا ينصلح الجند الا بالدارار وراقهم وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة ونحوها وقال أبو رزينا بنه شيرويه لا توسع على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم متعاجلا لا توسع عليهم في الرضا ولا توسع عليهم في العطاء * وليأقضى الامر الى أبي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال لقواده سيروا بمثل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجمع كلبك يتبعك فقام أبو العباس الطوسي فقال يا أمير المؤمنين أثنى أن يلوح له غيرك برغيف فينبهه ويدعك (وروي) ان كسرى منع طعاما في سباط فلما فرغوا ورفع السبات لاقت وقعت عينه على رجل من أصحابه قد أخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون السبات فلم يجدوا الخدام فصرخ بهم كسرى يتكلمون فقال ما لكم فقالوا فقد ناجا من الخدامات فقال لا عابكم أخذ من لا يرده ورأه من لا يفخحه فلما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذلك قال نعم ولم يقل له شيئا (ورسل عمر بن معاذ) وكان على المواقف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو في كل سنة ويحتر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانه الظهر والتقدير وكثرة الكمك (وروي) ان بعض أمراء العرب كان ظالما لرعيته شديد لاهم في أموالهم فغوتب في ذلك فقال اجمع كلبك يتبعك فوشوا عليه فقتلوا مفرقا بعض الحكما فقال ربما أكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه

(الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استحياء الخراج)

أعلم الملك من طلال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه

الامن وتناجه العدل وهو حسن السلطان ومادة الملك والمال أقوى العدو على العدو
وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع في حقه
ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصلحتها ثم يتفق ذو نفى
الوجوه التي يعود عليها نفعها فيأبى الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام
أبى الملك مرجبة الاموال بالزرق وبجانبه الخرق فان العلقه تنال من الدم بعير اذى ولا
سماع صوت ما لتنااله البعوضة بلسعته واهول صوتها (ولما نزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر
استعمل عليا ابن أبي السرح فجعل من المال أكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو
أشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم آجستهم أرلادها وقال زياد احسنوا الى
المزارعين فانهم لم تزلوا اسما ناسنوا وفي منشور الحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم
(وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص امه رفسته وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك
وما استغزى بعجل العدل ولا استغزى بعجل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين
وهلاك الرعية وانكسار الخراج بالجهور والتكامل ومثل السلطان اذا حمل على أهل الخراج
حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يشطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية
فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم محادف عن نفسه من ألم
الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطعن سطحه بتراب أساس بيته
ومن يلعن حرالعمود يوشك ان يصفق قنقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة
الارضين فيتركونها فتنخرب الارض ويمر ب الزراع فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج
ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجنس دطمع الاعداء في السلطان أبى الملك ~~كن~~ بما يلقى
في يد رعيته أفرح منك بما تأخذ منها لا قبل مع الصلاح شيء ولا يبقى مع التسادني وصيانة
القبل أولى من تربية الجليل فلا مال لا خرق ولا عيلة للسلع (وروي) ان المأمون أرق لبس له
فاستدعى سهرا لخذته بجديت فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت
بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقال بومة البصرة لا أتكلم ابنتي الا ان تجعل في
صدأها مائة ضبعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها الا ان وكن ان دام واليناسله الله
علينا سنة واحدة فمات لك ذلك قال فاستنقذ المأمون وجلس للعظام وانصف الناس بعضهم
من بعض وقفت امر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون
ما زال أهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتفاض لما كانت الارض
مقطعة في أيدي الاجناد فكانوا يستعملونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته
وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكرع والسلاح فوق
ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجنس دماهرة بقبض
الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجيئونها فاكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم
واستضعفهم فتهارب الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلبت الجبايات المرتفعة الى السلطان
وضعت الاجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منهم ولم يزل أمر المسلمين في نهص
وأمر العدو في ظهور الى ان دخلها التلثون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ولا

أدري ما يكون وراء ذلك

• (الباب الثامن والأربعون في سيرة السلطان في بيت المال) •

وهذا باب سلكت فيه ملوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحتفيها دون الرعية وتعدّها ليوم كريمة على ما ينفى في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها وتطعن الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان جوعه كان أكثر من شعبه وانه مات ودرعه مراهونة في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وان النبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجي له الاموال فيقرعها ليومها وقد توضع في المسجد وتقرش الانطاع ويرفعها من الغد ولم يكن له بيت مال (وروي) أبو داود في السنن أن النبي عليه السلام صلى العشاء الاثيرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعاً في يديه خريقة فيها ذهب فقصه ثم قال ما ظن ال محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدون بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جيت من حلفاء بين المسلمين وربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت فن حضر من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا ايضاً يا جراحاً يا يضي واحمرى وغرى غبرى ثم أمر فقسم ما فيه على المسلمين وأمر قبرا أن يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثير من الملوك ساروا في الاموال على نحو هذا السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما هلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم ان الروم التي كانت تقاومنا لم تكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنييسة فيقسمها لسلطانهم على رجاله بالاطاس ويأخذون ما يأخذون وقد لا يأخذ شيئاً منها وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطيننا تتجيب الاموال وتضيق الرجال فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال فهذه الخلة فهورنا وظهرنا علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو الملك بيت المال وصديقه جندة فاذا ضعف أحد هما قوي الآخر واذا ضعف بيت المال سيذه لقمة قوي الناصر واشتد بأس الجند وقوى الملك واذا قوي بيت المال وامتلأ بالاموال قل الناصر وضعفت الحماة فضعف الملك فوثبت عليه الاعداء وقد شاهدنا ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لافي الاموال وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من بيت مال وقد قال بعض الملوك لابن أبي النجم الاموال لتتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقوية الاعداء يعني اذا جمعت الاموال أضعفت الرجال فبطع فيك الصديق ويثب عليك العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيها عين معينة فان هو قام على البستان فاحسن تدبيرها فهندس أرضها وغرس أشجارها وظهر على جوانبها ثم أرسل عليها الماء اخضر عودها فقويت أشجارها

وأبنت غمارها وزكت بركاتها فكأوا جميعاً في أمان من الضيقة ولا يخافون فقراً ولا
 شتاتاً وإن هو رغب في غلظها وجناها ولم يتق فيها ما ينقصها ولا ساق إليها من الماء ما يرويهما
 رغبة في الغلة وضنة بالمال خفت عمارتها ودقت اشجارها وقلت غمارها وذهبت غلظها
 وبحق الدهر ما جنى من غلظها فاقتقر القوم وهلكوا وقتلتوا ومثال الملك في جمع المال
 ليتقوى به على عدوه مثل طائر يتفريشه ويمصر أصولها وبأكل ما تنم منها فلذلك طيها
 وأجبعه خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يرل كذلك حتى خف ريشه فسقط إلى
 الأرض فاكلته الهوام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك أن وزيره أشاء عليه
 بجمع الأموال واقتناء الكنوز وقال إن الرجال وإن تفرقوا عنك اليوم فتي احتضتهم عرضت
 عليهم الأموال فها قوتوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضرتنا الساعة
 ذباب قال لا قال فامر بأحضار جفنة فيها عسل فحضرت تساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار
 السلطان بعض أصحابه في ذلك فها من ذلك وقال لا تغرب غلوب الرجال فليس في كل وقت
 أودتهم حضروا فدأل هل لذلك من دليل قال نعم إذا أمسينا أخبرك فلما أظلم الليل قال للملك
 هات الجفنة فحضرت ولم تحضر ذبابة واحدة (وقد روي) عن سيرة بعض السلاطين في أرض
 مصر وكان قتل ملكها وكان اسمه ياد قور أنه كان يجمع الأموال ولا يحصل بالرجال فقال له
 أصحابه إن أمير الجيوش بالشام وهو يتواعدك وكأنه قد قدم عليك فاستعد للرجال وافق
 فيهم الأموال فأوّه إلى صناديق موضوعه عنده وقال الرجال في الصناديق فجزأ أمير
 الجيوش ذلك الملك في مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك فكان رأيها رأياً فاسداً لأن رجالاً
 يفهم لوقته ويصطنعهم لحاجته أنما يكونون أجناداً مجتهدين وشرذمة مانقين ليس
 فيهم عناء ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للعروب (ومن السير) الروية في هذا الباب أنه لما
 فكت العراق بجى بالمال إلى عمر فقال صاحب بيت المال أدخل بيت المال فقال لا ورب
 الكعبة لا يورى تحت سقف بيت حتى تقسمه ففقط في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من
 المهاجرين والأنصار فلما أصبح نظر إلى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدرية لا
 فبكي فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين واقمها هذا اليوم بكاء ولكنه يوم
 شكر ومروء فقال إني والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه واقمها كثر هذا في قوم الأوقع
 بأسمهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً فاني
 أسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقه بن جعشم فاني به أشعر
 الذراعين دقيهما فاعطاهما سوارى كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله أكبر قال الله أكبر
 قال قل الحمد لله الذي سلهما كسرى وألبسهما سراقه بن جعشم اعرايا من بني مدلج ثم قبلهما
 وقال إن الذي أتى هذا الأمين فقال له رجل أنا أخبرك أنت أمين الله تعالى وهم يؤذون إليك
 ما أدبت الله تعالى فإذا وقعت رتعا قال صدقت وانما ألبسهما سراقه لأن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لسراقه ونظر إلى ذراعيه كأنه بك قد لبست سوارى كسرى ولم يجعل له إلا الله وأوين
 (ولما ولي أبو بكر الصديق) رضي الله عنه جاءه مال من العمال فصب في المسجد وأمر فنادى
 من كان له عند ومول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عده فليحضر قال أبو أيوب الأنصاري فغث

فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاني مال أعطيتك هكذا وهكذا وأشار بكفه فسكت أبو بكر فأنصرف ثم عادته فسكت عني ثم أنصرف وعادته فقلت اما ان تعطيني واما ان تجعل عني فقال ما يجعل عنك اذهب فخذ خفت حفنة قال عذها فعددتها فوجدت فيها خمسمائة دينار وأبو أيوب من أغنياء الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث على ان بيت المال للفقير والفقير دل ايضا انه لا يجب ان يساوى فيه جميع المسلمين بل ذلك موكل الى اجتهاد الامام

(فصل) قال الحسن بن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبضي باللغة الصديقية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر بحق الخراج مما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا منافسة وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظر للمعاملين وتقوية لحالهم من العيين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد لحفر الخليج والاتفاق على الجسور وسد الترع واصلاح المنشآت ثم تقوية من يحتاج الى تقويته من غير رجوع عليه بها لافاقة العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك من آلات وأجرة من يستعان به لحمل البذار وسائر النفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشاذية والعلمان وأشبايعهم وعدة جميعهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى أتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة ألف واحد عشر ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم ولما ينصرف للارامل والايتام يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يتحلوا أمثالهم من يرفعون اربعمائة ألف دينار ولما ينصرف في كهنة برايتهم وسائر يوت صلواتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصعب سببا وينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يراد أحد والامناء جلوس فاذا رأوا انسا فام يجروهم بان يأخذوا فردوه بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز والسلام وأنهى اليه حال تلك الطائفة فبأمر يتغير يرشعها بالهيام واللباس ثم عذ السهاط فبأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان ودفعه مثل ما كان له وان كان سوء رأى وتدبيره مستقيم ضمه الى من يشرف عليه وبأخذ بالادب والمعرفة التي لا يصلح الابهاماتنا ألف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتب لست مائتا ألف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لتوابع الزمان أربعة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف دينار (وقال أبو وهب) كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء يجري تحت منازلها وأقنعتها فيجسده كيف شاؤا ويرسلوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وكان ملك مصر عظيم لم يكن في الارض أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بجاني النسل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها

تروى من ستة عشر ذراعا لمدبر وافي بسورها وحافاتهما والزروع ما بين الجبلين من أولها
 الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعميون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها
 فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها ألف منبر (وقال عبد الله بن عمرو) استعمل فرعون
 هامان على حفر خليج مصر دوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل أهل القري يسألونه ان يجرى
 الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا وكان يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب ومن
 الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد فليس في مصر خليج أكثر عطوفا منه فاجتمع له من
 ذلك أموال عظيمة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد أن يعطف
 على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم ردة على أهل القري
 ما أخذت منهم فرد عليهم أموالهم فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف
 عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب أن تكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن
 بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس) رضى الله عنه ما في قوله تعالى اجعلنى على
 خزانة الارض اى حفيظ عليم قال هي خزانة مصر وكانت أربعين فرصا في مثلها ولم يطع
 يوسف فرعون ويحلفه وينوب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعلنى على
 خزانة الارض (ولما استوثق) أمر يوسف الصديق عليه السلام وكل وصارت الاشياء اليه
 وأراد بذلك أن يعرضه على صبره لما لم يركب محارمه وجلت سنوا الغلاء والجوع مات العزيز
 وذهبت الذخائر واقتربت زليخا وعى بصرها وجعلت تنكف الناس فقبل لها لوت عرضت
 للملك اهله يرحمك ويغنيك فطالما حفظته وأكرمه ثم قبل لها لا تفعل لانه يرجع اليك
 ما كان منك اليه من المراودة والخبر فيسى اليك ويكافئك فيما سبق منك اليه فقالت أنا
 أعلم بحلمه وكرمه وجلت له على راية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مائة ألف
 من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحسبته قامت وقالت سبحان من جعل الملوك عبيدا
 بعبادتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ومن أنت قالت أنا التي كنت اخدمك
 على صدور قدي وأرجل جنك يدي وأكرم منواله يجهدى وكان منى ما كان وذقت
 وبال أمرى وذهبت قوتي وتلف مالى وعى بصرى وصرت أسأل الناس منهم من يرحمنى
 ومنهم من لا يرحمنى بعدما كنت مغبولة أهل مصر كلها صرت مرحومة منهم بل محرومة منهم
 هذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك
 اى شئ فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليا لا تنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهباً
 وفضة فغضى يوسف وأرسل اليها ان كنت ايماء تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيانا
 فقالت للرسول الملك أعرف بالله من أن يستمزي بى هو لم يردنى في أيام شبابي وجملي فكيف
 يقبلنى وأنا عجوز عماء فقيرة فأمر به يوسف عليه السلام فجهزت فزوجها وأدخلت عليه
 نصف قدميه وجعل يصلى ودعا الله باسمه الاعظم فرداه تعالى عليها شابها وجمالها
 وبصرها كهنتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افسرا ثم بن يوسف وميشا بن
 يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فمحب للفقوى أن لا ينسى الضعيف
 وللغنى أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير راغبا ومسؤول يصير

سائلا وراح بصبر مر حوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في يد اخوته
 يوم الجلب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه ايضا) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت
 تنكشف الناس في الطرقات قال الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
 الارض ومغاربها التي باركنا فيها فكان يوسف عليه السلام بعد هذا يجوع ويبا كل خبز الشعير
 ولا يشبع فقبل له أن يجوع ويسد خزان الارض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين
 (وقد رأيت) أن الحقبة بمنقبة في مثلها يتنافس العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء وذلك اني
 لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك والغالب على القاه خواجه برك رحمة الله تعالى
 قد ووزر لابي الفتح ملك الترك ابن الب ارسلان وكان قد ووزر لايه من قبله فقام بدولتهما
 أحسن قيام فشد أركانها وشيد بنيانها واستقال الاعداء واولى الاولياء واستعمل
 الكفاة وهم احسانه العدو والصديق والبيض والحبيب والبعد والقريب حتى اني
 الملك بجوانه وذلك ان خلق له لسانه وكان الذي مهد له ذلك باذن الله تعالى وبوقفة انه أقبل
 بكنيته على مراعاة جمال الدين فبني دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلم وأسس
 الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والنقراء ثم أجرى لهم الجرايات والكساوى
 والنفقات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم
 بذلك سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى
 وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها الى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة
 يوم حامل علم وأطال به أومع بد أو زاهد في زاوية الاكرامته شاملة له وبإغفة عليه
 وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الابواب ستائة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة
 الى أبي الفتح الملك وأغروا صدره عليه وقالوا ان هذا المال المخرج من بيوت الاموال يقيم
 به جيشا يركز رايته في سور طنطينية فحاصر ذلك قلب أبي الفتح الملك فلما دخل عليه قال
 يا أبت بلغني انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستائة ألف دينار الى من لا يفتننا ولا يفتي
 عنا فبكي نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أجهى لو نودى على فمين يزيد لم أسقط خمسة دنانير
 وأنت غلام ترك لو نودى عليك عسك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشتغل بلذاتك منهمك
 في شہواتك واكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم
 للتوابع اذا احتشدوا كالغواصين بسيف طولهم ذراعان وقوس لا يفتسي مدى مرما
 تلثمها تذرعا وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والجهور والملاهي والمزمار والظنهور
 وأنا أنت للجيوش اسمي جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على
 أقدامهم صفوف بين يديهم فارسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا الى الله
 أسكتهم بالدعاء ولجيوشك قامت وجيوشك في خفاوتهم تعيشون ويدعائهم ينبتون
 ويبركاتهم تحطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والنضرع فبكي ابو
 الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش يا أبت شاباش أكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب)
 هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له أبو سعيد الصوفي فقال له يا خواجه أنا في تلك مدرسة
 ينفذ امدني في السلام لا يكون في معصرا الارض مثلها يخلد بها ذكرك الى أن تقوم الساعة

قال افعل وكتب الى وكلائه فيغدأ أن يكتنوا من الاموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وسط
 المدرسة النظامية وبناها أحسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبني حولها أسواقا تكون
 محبسة عليها وابتاع ضياعا ومنازل وحمامات وأوقفت عليها فكمثل نظام الملك بذلك
 رياسة وسودد وذكرجيل طبق الارض خبره وعم المشارق والمغارب أثره وكان ذلك في سني
 عشر الخمسين وأربعه مائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ ما يقارب
 ستين ألف دينار ثم غنى الخبر الى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها
 نحو من تسعة عشر ألف دينار وان سائر الاموال احتجها لنفسه وخازن فيها ذرعا نظام
 الملك الى اصحاب الحساب فلما أحس أبو سعيد بذلك أرسل الى الخليفة أبي العباس يقول هل
 لك في أن أطبق الارض بذكرك وأنشرك نفرا لاجمعه الايام قال وما هو قال بمواسم نظام
 الملك عن هذه المدرسة وكتب عليها اسمك وتزن لستين ألف دينار فأرسل اليه الخليفة
 يقول له أنت ذم من يقبض المال فلما استوفى منه مضى الى اصحابه فقال له نظام الملك انك قد
 رفعت البناء نحو من ستين ألف دينار نفقة وأحب اخراج الحساب فقال له أبو سعيد لا تغفل
 الخطاب أن رضيت والامحوت اسمك المكتوب عليها وكتب عليه اسم غيرك وأرسله
 من يقبض المال فلما أحس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قدموا غنائك جميع ذلك كله ولا تخ
 اسمنا ثم ان أباسع يد بني تلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والمنازل
 والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباط أبي
 سعيد الصوفي وأوقافه يتقلبون بغير عدد ففي هذه المناقب قليلة من المتنافسون ومثل هذا
 فلم يعمل العاملون فانهم اعز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جيل المذكر
 فانهم يجدون شيئا يقي على الدهر الا الذي كرسنا كالأوقافها وقال الشاعر
 ولا شيء يدوم فكس حديثنا • جيل المذكر قاله يا حديث

فانه تفرصة العمر ومساعدة الدنيا وتقوذا الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر
 بالصالحات كما ذكرنا واذخر نفسك في الآخرة كما اذخروا واعلم ان المالك كقول للبدن
 والموهوب للمعاد والمتروكة العدة فاختر أي الثلاث شئت واللام (وكا) ابن أبي دواد
 الوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يردسوا ولا يتدنى
 بالتواضع فقال له الواثق أمير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت
 الاموال فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا أمير المؤمنين ذخر بأجره راصل اليك ومقاتج
 شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك نعت في ابصال الثناء اليك فقال الواثق لله أنت جد
 بالاعطاء وأكثرت الشكر والثناء

• (الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال) •

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع وبأكل الشعير فقبل له
 أن يجوع ويملك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجوع فعين (وروى) البهقي
 بإسناده قال لما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه أين تريد قال السوق قال قد جالته مايت فلك عن السوق قال سبحان الله بثلثي

عن عبالى قال تفرض لك بالمعروف قال فأتفق في سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم
ووسى أن ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصرى قال لما حضرت
أبا بكر الوفاة قال انظروا كم أنفقت من مال الله فوجدوا قد أتفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف
درهم قال اقضوها عني ففضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين إنه قد حضر من قضاء الله ما ترون
ولا بد لكم من رجل يلى أمركم ويصلى بكم ويقا تل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وانقرت لكم
وان شئتم اجتمعتم لكم فوالذى لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خيرا فبكروا وقالوا أنت خيرنا
وأعلمنا فاخترنا فقال قد اخترت لكم عمر (وروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال
بلغني ان أبا بكر لما لم يلى من مال الله شيئا وغدا يوم ما بنى عمر بن عوف وكانت له هناك
امرأة من الانصار في جال له يريد أن يديهها فلقية به بعض المسلمين فقالوا له ما صنعت هذا بشكك عن
الناس وعن النظر في أمرهم قال فكيف أصنع قالوا تفرغ للنظر في أمورهم وتستفق من
هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال فكان يتفق من
المال على نفسه وعلى عباله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز فلم يتفق منه
فقبله قد صنع أبو بكر وعمر ما قد علمت قال أجل وليكني أخذت من هذا المال فان يكنى
فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت (قال) ابن القاسم قلت لمالك فإني قولهم عن
عمر انه رد ثمانين ألفا قال كذبوا انما يقول هذا أعداء الله هو لم يجوز له سلف أبي موسى اياه
حين أخذ منه نصفه فكيف يأخذ من مال الله ثمانين ألفا فلما توفي أبو بكر استرجع على رضى
الله عنه وجاء مسرعابا كما وقال رجل الله أبا بكر لقد كنت والله أول القوم اسلاما وأكملهم
إيمانا وأشد هم يقينا وأخوفهم لله تعالى وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأشبههم به هديا وخلقا وجمعا وفضلا وكرمهم عليه وأرفعهم عنده فجزاك الله عن
الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذب الناس فسمك الله في كتابه صدقا فقال تعالى
والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وأنسته حين تخلقوا وقت معه حين قدموا
وصحبته في الشدة حين تفرقوا أحكمهم الصبغة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه
في الهجرة والنزل عليه السكينة وخلفته في أمته أحسن الخلافة أقوى حين ضعف
أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالامر حين فشلوا ومضت بقوة أذوقوا كنت
أطولهم صمتا وأبلغهم قولا وأشجعهم قلبا وأشد هم يقينا وأحسنهم عملا كنت كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيعت في يدك قويا في أمر دينك متواضعا في نفسك عظيما
محبوا إلى أهل السموات والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله
أبا بكر لقد أنعب من بعده تعباً شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضي الله عنه انه قال انى أنزات
نفسى من مال الله تعالى بمنزلة ولى القيم ان استغيت استغيت وان افقرت أكت بالمعروف
(وفى رواية أخرى) ان احببت أخذت منه فاذا أبسرت رددته (وفى رواية أخرى) أخبركم
بما أستحل من مال الله تعالى وما قال يقول لى أستحل منه حلتين حلة الشتاء وحلة الصيف وما
أج عليه وأعمر وقوتى وقوت عبالى كقوت رجل من قريش لامن أغنيائهم ولامن فقراهم
ثم أتبع ذلك رجل من المسلمين يصيبى ما أصابهم (وقال) أنس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر

رضى الله عنه فاكل خبث الشعير وكان قبل ذلك لا يأكله فاستسكبه بطنه فصوت فضربه بيده
 وقال هو والله ماترى حتى يوسع الله على المسلمين (وقال) أبو عثمان التمدى رأيت عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة موف فيها اثنا عشر رقعة احداها بادم أحمر
 (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الأفرع على المدائن فدخل
 ابوانا من ابوان كسرى فاذا صم بشير بام معه الى الارض فعد عذارين فقال والله ما يشرب
 هذا الى الارض الا ثم شئ فاحتقروا فاستخرجوا منه سقاطا فيه جوهر فكتب الى عمر بن
 الخطاب أما بعد فاني دخلت ابوانا من ابوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتقرت فأخرجت
 سقاطا فيه جوهر فلم أجد أحق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقسم بينهم انما
 أصبنا شأنا تحت الارض فلما قدم السبط على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيمليرى النائم
 كأن نارا أجمت وهو رايد يلقى فيها فكتب الى السائب أن أقدم على قال فقد مدت عليه وهو
 بطوف في ابل المسدقة فطقت معه الى نصف النهار ثم دعا جماعة فاعتدل ودعا الى عشاء فاختلعت
 ثم ذهب الى منزله فاني بطمس غليظ وخبر مقتضش فقال انظر من على الباب فاذا سواد من
 الصوفية فاذن لهم بفعل يا كل معهم فاذا لحم غليظ لا أستطيع أن أسيغه وقد كنت تعودت
 درمك أصهنا اذا وضعت في في دخل بطي ثم دعا بالسبط وقال أنعرف خاتمك قلت نعم فقال
 كتبت ترفق لي تزعم اني أحق به من أين أصبته فأخبرته قال اذهب فاجه له في بيت مال المسلمين
 حتى أقسمه بينهم (وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فصنع له طعام لم يرق له
 مثله فقال هذا لنا في القراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن
 الوليد لهم الجنة فاغروا وقت عيناهم وقال لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة
 لقد يا بنو ابنا بعيدا (وقال) عبد الله بن عمر العمري ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين
 قدم الشام قال لاني عبدة اذهب بنا الى منزلك قال ما تريد الى ان تقصر عنك على قال فدخل
 منزله فمر بشبا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا لبا أوشنا وحمصة وأنت أميراً عنك طعام
 فقام أبو عبدة الى جوفه فأخرج منها كسرات فبكي عمر فقال أبو عبدة قد قلت لك انك تقصر
 عنك على يا أمير المؤمنين بكفيلك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بذلك يا أبا عبدة
 (وقال) الضعي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فابطوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا
 بالصدقات فقام فيها متزايبا فيختلف في أولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان
 حتى اتصف النهار وجاع ودخل يته حتى اذا أمكن أكله أكله ثم قال من أدخله بطنه أبعده
 الله (وقال) طائوس اجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما أكل شيئا ولا
 شرب شيئا حتى أكل الناس (وقال) سعيد بن جبيران عا رضى الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة
 وعليه ازاران قطر يان قدر تم ازاره بخرقه ليست بطرية من ورانه فجاءه اعرابي فنظر الى تلك
 الخرقه فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والنس واوكب فانك ميت أو مشلول قال ان
 هذا خير لي في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبه بشبه الصالحين قبلي وأجدون يشتدي من أفي
 من بعدى (وقال) الحسن ان عمر بن الخطاب يذاهو بعض في المدينة بالليل أفي على امرأته من
 الانصار تحمل قربة فبالها فاذكرت ان لها ماء بالوان ليس لها خادم وأنها تخرج في الليل فستقيم

الماء وشكره أن يخرج بالتمار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغد على عمر غدوة
يخدمك خادما قالت لا أصل اليه قال انك ستجديه ان شاء الله تعالى ففدت عليه فاذا هي به
عرفت أنه الذي حمل قريتها فذهبت وتلى فأرسل في أثرها وأمر لها بخادم ونفقة والمال وعمر
رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتي يا رفا قال ثمانية عشر ديناراً يا أمير المؤمنين قال ويحك
أبغضنا بيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل
حصى فقال اكسبو الى فقراهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سبعين عامراً فقال من بعد بن
عامر قالوا أميرنا فحبب عمر وقال كيف يكون أميركم فقيرا فقالوا انه لا يملك شيئا فبكي
عمر وبعث اليه بألف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته مالك
أصابك أمير المؤمنين بشئ قال أعظم من ذلك أتتني الدنيا دخلت على الدنيا واني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم يا ربيع عامر
فوالله ما يسرني أني جئت من الرعي الا ول وان لي به ما طلعت عليه الشمس قالت فاصنع
فيه ما شئت قال هل عندك معة ونة قالت نعم فأتته بخمارها فصر الذنان فيها اسرا ثم جعلها
في محلاة وبات يصلي ويكفي حتى أصبح فأعرض جيشا من جيوش المسلمين فأماها كلها
فقالت امرأته رحل الله لو حبست منها شاة استعني به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت الارض من ربح المسك واني
والله ما اخذت عشرين فسكت (وروي) ان عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا
يقال له عمر بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلبى به عمر الا ان قدم ما شيا
حافيا معه عكازة وادواته ومزودته وقصصه على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمر أختننا
أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أمان الله الله أن يجهر بالسوء وعن سوء الظن وما تزي
من سوء الحال وقد جئت بالدنيا أجرة هاتقراها فقال وماء لمن الدنيا قال عكازة أو كرا
عليها وأدفع بها عذرا ان اقضه ومزودتي اجل فيه طعامي وادواتي هذه اجل فيها ما لشر بي
وصلاتي وقصصتي هذه أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وأككل فيها طعامي فوالله
يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبعالماعي قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبى بكر فبكي ثم قال اللهم الخفي بصاحبي غير مقتضع ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه
ثم قال ما صنعت في عملك يا عمر قال أخذت الرقعة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت
الجزير من أهل الذمة عن يدهم صاغرون ثم قهتها بين الفقراء والمساكين وأبناه السبل
فوالله يا أمير المؤمنين لو بي منها شيء عندي أتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمر انشدك
الله ان لا تردني الى عمل ذي لم أسلم منه حتى قلت لذي اخذك الله ولقد خشيت أن يخلصني
له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول أنا جميع الخالوم فما حاجته حجة ولكن ائذن لي الى
أهل فاذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يشال له خبيب بما قد بناه وقال انت عمر فائزل عليه
ثلاثا فان بك خاتما يهتف عليك في عيشه وحال أهل يتيه وان لم يكن خاتما يهتف عليك فادفع
اليه المائة فاما خبيب فنزل به ثلاثا لم يره عيشا الا الشربة والزيت فلما مضت ثلاث قال
يا خبيب ان رأيت أن تحول الى جبرائيل فقل ان يكونوا أوسع عيشا منا أمان نحن فوالله لو كان

قوله فما حاجته هكذا
في النسخة التي باليد
ولهذه في أواسط
ما بين يعقل اه

عندنا غير هذا الاثرنا له (قال) فذفع اليه المائة وقال بعث بها اليك أمير المؤمنين فدعا عمرو
خلقاً لامرأته فصرها الخمسة والستة والسبعة فقصها فقدم خبيب على عمر فقال
يا أمير المؤمنين جئت من عند أزد الناس وماء من الدنيا لا قليل ولا كثير فبعث اليه
عمر وقال ما صنعت في المائة يا عمر قال لا تسألني عنها قال لتخبرني (قال) فسمتها يني وبين اخواني
المهاجرين والانصار قال فامر له بوسق طعام وفويين قال يا أمير المؤمنين (أما الثوبان)
فأقبل (وأما الوسقان) فلا حاجة لي بهما عند أهل صاع من بر هو كافهم حتى أرجع اليهم
(وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرا ربعا ثيابا وقال للفلام اذهب بها الى
عميدة بن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت حتى ترى ما يسع فذهب بها الفلام اليه وقال يقول
للك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورجعه (ثم قال) تعالى يا بارية
اذهي بهذه السبعة الى غلمان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفسها ورجع الفلام الى عمر فاخبره
(ووجدته) قد أعد مثلها المعاذين جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذين جبل وتلكا في البيت
ساعة حتى تنظر ما يسع فيها فذهب بها اليه وقال ان أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض
حاجتك فقال رحمه الله وأوصله (ثم قال) يا بارية اذهبي الى فلان بكذا والى فلان بكذا فانتقلت
امرأته هاذن وخن والله مما كين فأعطنا ولم يبق في الخرق الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع
الفلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

• (الباب المو في حسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال) •

(اعلم) أرسله الله تعالى ان اول من اتخذ الدواوين وأجرى الاعطية على ما روى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان يفضل أهل السابضة ثم الذين يلونهم حتى أجرى على العامة شيئا
واحدا ثلثمائة واربعمائة وفرض للعمال مائة درهم في كل سنة (وكان) أبو بكر رضي الله
عنه يساوي بين الناس في العطاء ولا يفضل أهل السابضة ويقول انما علوا الله فاجورهم على
الله وانما هذا المال عرض حاشى يا كاهل البر والفاجر وليس غدا لاعمالهم (وكان) عمر
يقول لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ولم يشد عمر الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى
على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكأبه ومؤذنيه ومن كان يلي معه في كل شهر لمابعنه
وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف
شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ونصف جريب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربيع
شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاءه خمسة آلاف درهم وأجرى على عبد الله
ابن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة
درهم في كل شهر وعشرة جارية (وانما) فضل عمار اعلم لانه كان على الصلاة (قال) مالك
وكان عمر لا يفرض لصغير وضع فاذا فطم فرض له فرض من الليل وصبي يبي الرضاع وامه
لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض
عمر بعد ذلك للمولود مائة درهم في كل سنة (قال ابن) جبهلة وفرض عمر للعمال لسل عيل من
ذكر وأنتى جريين من بر في كل شهر وقسطن من زيت وقسطا من خل ومائة درهم في كل

سنة (قال) والجرب فقيز القرطبي والقسطا قد ربح الزيت بالقرطبي (قال) الحسن
 وكان عطايا صلبان خمسة آلاف وكان على زهاء ثمانين ألف من الناس (وكان) يحضب الناس
 في عبادة يلبس نصفها وبقية تشر نصفها فإذا خرج عطاؤه امضاه وكان يسف الخوص ويا كل
 من سقيفه يده (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وقد من البصرة مع أبي موسى
 الأشعري قال فكأن دخل عليه وله كل يوم خير ثلاث (فربما) وافقناها ما دومة بسمن واحيانا
 بزيت واحيانا بالبن وزبما وافقنا القديد اليابس قد دق ثم أغلى عليه بما وزبما وافقنا اللحم
 الفريض وهو قليل فقال لهم يوما اني أرى والله تقذيركم وكراحتكم لطعامي فاني لو شئت
 ان كنت أطيبكم طعاما وارقتكم عيشا اما واقمها جهل كراكروا سنة وأعرف صلاحا موصنا يا
 وصالتي (قال) والصلاة والشوا والصاب الخردل والصلاتي الخبز الرقاق ولكي سمعت الله
 تعالى عبر أقواما امر فعلاه فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستخفتم بها فكلما أبو
 موسى فقال لو كلمت أميرا المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاما فألقوه بكمائه فقال
 يا معشر الامراء هل ترضون ان تنسبكم ما أرضاه لنفسي فقلنا يا أمير المؤمنين ان المدينة ارض
 العيس بها شديد ولا ترى طعامك يقيننا ولا يؤكل طعامك وأنا باارض ذات ريف وان أميرنا
 يقيننا وان طعامه يؤكل قال فتنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من بيت المال
 شاتين وبريين فاذا كان بالغداة فضع احدي الشاتين على احدي الجريين وكل أنت
 وأصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن عيذك ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم لحاجتك واذا
 كان العشاء فضع الشاة الغائرة على الجرب الاخر فكل أنت وأصحابك الا وأوسعوا الناس
 في بيوتهم وأطعموا عيالهم واقم ما تظن رستاها يؤخذ منه كل يوم شاتان وجر يان الا يسرعان
 في خرابه (وكان عمر) قد أطعم جر يين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم فأجروا على كل
 رجل في كل شهر من كان في الديوان مكان ما كانت فارس بحريه على خيولهم وأساورهم
 (وقال) سعيد بن المسيب وأبو سلة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا الاعمال يسلم على
 أبو ايمن ويقول ألكن حاجة وأيتكن تريد ان تشتري شيئا فيرسلن معهما بجواجنهن ومن ليس
 عندها شيئا اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في مشايرهن
 يكتب أزواجهن ويقول أزواجكن في سبيل الله واثقن في بلاد رسول الله ان كان عندكن من
 يضر أو الا فاقربن من الابواب حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن
 حتى يبعث بكن كن ثم يدور عليهن بالقرطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فاذن من
 الابواب حتى أكتب لكن ويمر الى الغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال)
 الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الأشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن
 الخطاب يا امرء الله قوم عليه هو وعملها وان يخلقوا اجعاعا لما قدمت المدينة أتيت برافقتك
 يا رب فاستترشد وابن سبيل أي الهيات احب الي أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الي
 الخشوفة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا على
 عمر فصفنا بين يديه فصلفنا وصوب فلم تأخذ عني غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع
 ابن زياد الحارثي (قال) وما تولى من أعمالنا قلت البحرين قال وكم تزق قلت القافال كثيرا

تصنع بها قلت اتقوت منها شأ أو أعود على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا
بأس أرجع الى موضعك فرجعت الى موضعى من الصف فعد فينا وصب فلم نفع عينه اذ على
فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استكملته (ثم دعا) بالطعام
وأصحابي حديدو عهد بلين العيش وقد تجو عناه فاني بنجزوا أعضاء بهيئة لـ لأصحابي يعافون
ذلك وجعلت آكل وجعلت أنظر اليه بلخطي من بينهم ثم سسقت حتى كلة غنيت انى صحت
فى الارض ولم أقاها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاحون الى سلامتك فلو عدت الى طهامة
الين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت قلت يا أمير المؤمنين لو ظرالى قوتك من الطعين
ان يجزئك قبل ارادتك اياه يوم يطبخ لك اللحم كذا فتزنى بالخبر ليه وباللهم غر يذا فسكن
غيطه ثم قال ما هنارعت قلت نعم (قال) يا ربيع انا لو شئنا الا باهذه الرحاب من صلاتى رسنا بكن
يعنى خبر الحواري ولكنى رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طبيعةكم
فى حياتكم الذي اواسيتهم بها ثم امر ابا موسى باقر ارى على على وان يستبدل باصحابي (وقال)
فبعضه بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبيد الله بن سعد وكان على أهل حرس فقال علام يحبك
أهل الشام قال انى أحبهم فأحبونى قال مالك قلت عبيدى وفرسى وبعلى وخادى (قال) فماذا
تلبس فى الشتاء قلت عبادة اسديهم اراشى وجبة وكساء قاله ان تلبس فى الصيف قلت قيصا
وربلة فاعطاني عمر الف دينار (وقال) خذوها واستنق منها أعط منها اقل لا اربى فيها
رسجد من هو أوج اليها منى قال خذها فان النبي عليه السلام دفع الى مالا وهو دون الذي
عطيتك فقلت له كما قال لي فقال يا عمر ما آتاك الله من هذا المال عظام من غير ان تعرض له
أو تشرف له فلك فاقبله فاخذه فانطلق به الى امرأته فقال أترين رجلا له هذا من فقراء
المهاجرين هو امس الاغنياء فقالت لى من الاغنياء ففسمها حتى بقيت منه حصرة أقل فيها
ثلاثين أو نحو ذلك فقالت له امرأته اليس لى أما حق فاعطاها اياه (وقال) زياد بن حيوية ما نحن
بمخاضرة اذا بنا امرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فارشدناها الى الدار فرأت
دارا مشهورة فقالت لخطاط هناك استأذن لى على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قال فادخلى
وصوفى بها فانما تأذن لك فدخلت فلما أبصرت ما هناك قالت جئت ارقم فقرى من بيت الفقراء
واذا رجل يعمل فى الطين فسالتهم عن أمير المؤمنين فقالت هرداك يعمل فى الطين فقالت له يا أمير
المؤمنين ما ترو جى وتزعمان بيات فبكى هو بكاء شديدا ثم قال اها ما تريدى قالت تنقرس لهن
قال تنقرس للكبرى ما اسمها قالت فلانة فمكتبها فتاات الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة
فمكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من
يده وقال لها امانك لو ليت الحمد لأهل هذه الامم لك مرى السبع فذوا سبن هذه الثامنة

• (الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة) •

(روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لـ عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل
الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لـ عبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا
انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا
لكم على أنفسنا ان لا نتحدث فى مدائننا ولا فيما حولها دبرا ولا كنيسة ولا قلعة ولا صومعة

راهب ولا يجسد ما تحرب منها ولما كان عتظما منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان
 نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان تنزل من مربيان من المسلمين ثلاث ليل نل قطعهم ولا
 تؤوي في كائنا سنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا تنكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا
 تظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قربتنا الدخول في الاسلام ان
 اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا تشبههم في شيء من
 لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا تسكلم بكلامهم ولا تسكني
 بكاهم ولا تركب بالسروج ولا تقلب السيوف ولا تتخذ شيئا من السلاح ولا نعمله معنا
 ولا نقش على خواتمنا العربية ولا نبيع الخمر وان نجوز مقام دروسنا ونلزم زينا حينا
 كما وان نشد الزناير على أوساطنا ولا تظهر صلباتنا وكنتنا في شيء من طرق المسلمين ولا
 أسواقهم ولا نضرب أوقسنا في كائنا سنا الا نضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في
 كائنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعائنا ولا باعوثا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا
 ولا تظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق
 ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما أتيت) عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد
 فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان
 فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلازمة لنا وقد حل منا ما حل من
 أهل المعاهدة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان أمض ما سأله وألحق فيه حرفين
 اشتراطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتروا شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب
 مسلما عدا فقد خلع عهده (وروي) نافع عن سالم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل
 الشام في النصارى ان يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا
 خلاف زى المسلمين ليعرفوا (وروي) ان بنى تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير
 المؤمنين اناقوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاجا ففعلوا
 فجزوا صيهم وشق من أردبتهم حزاميتمونها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا
 الاكف من شق واحد (وروي) ان أمير المؤمنين المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم
 واذلهم وأقصاهم وخالف بين زهم وزي المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لانهم
 أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فأحياه الله به الحق
 وأمات به الباطل فهو يذكرك بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه يقول لانتعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا
 ولما استقدم عمر بن الخطاب بأمر مني الأشعرى من البصرة وكان عاملا عليها الحساب دخل
 على عمرو وهو في المسجد فاستأذن لكتابة وكان نصرانيا فقال له عرفناك الله وضرب يده على
 فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالي يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا اليهود والنصارى
 والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ألا اتخذت حذينا
 فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته ولدينه فقال لا أكرمهم اذا هانهم الله ولا أعزهم اذا ذلهم
 الله ولا أدنيهم اذا قصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العرد قد كثر

وان الجزية قد كثرت فنفسعير بالا عجم وكتب اليه عمر انهم اعداء لله وامهم لنا غشنة
فانزلوهم حيث ازلهم الله ولا تردوا اليهم شيئا وقال عمران بن اسد انا انا كتاب عرب
عبد العزيز الى محمد بن المختار اما بعد فانه بلغني ان في ذلك رجلا يقال له حسان بن رفزي
على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
وامهبا من الذين اتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واقفوا الله ان كنتم مؤمنين واذا
أفالك كتابي هذا فاقد حسان الى الاسلام فان أسلم فهو منا ونحن منه وان أبى فلا تستعين
به ولا تأخذ من غير أهل الاسلام على شيء من أعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فاسلم (ولما) خرج
النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني أريد أن أتبعك
وأصيب بهك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أسعين بمشرك ثم لحقه عند
الشجرة فخرج به أصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئتك لتبعك وأصيب
مهلك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أسعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء
فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله فان نعم فخرج به وهذا أصل عظيم في ان لا يستعان
بكافر هذا وقد خرج ليقا تل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعملهم
على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على اعدائنا الا أهل القرآن
فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيافة فكتب اليهم ان لم يكن في أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون
في غيرهم خير

• (فصل) • ومتى نقض الذي العهد بمخالفته لشي من الشروط الماخوذة عليه لم يرد الى
مامنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعي ويلزهم ان يميزوا
عن المسلمين في لباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزناير
في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو حرس يدخل معهم الحمام
وليس لهم ان يلبسوا العمامة والطيلسان واما المرافقة فتشد الزناير تحت الاثار وقيل فوق
الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون أحد خفيها أسود
والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف مرضا ولا يركبون
بالسروج ولا ينصذرون في المجالس ولا يبدون بالسلام ويلطون الى أضيق الطريق
ويعنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة وقيل لا يجوز بل يعنعون وان
تخلكوا دارا عالية أقرواعلها ويعنعون من اظهار المنكر كالنمر والخنزير والنقوس
والجهر بالتوراة والانجيل ويعنعون من المقام في الجحاز وهي مكة والمدينة واليمامة
ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم وحلالم ويستوفي جميع ما يؤخذون
به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتمسوا أحكام الله انتقض عهدهم
وان زنى أحدهم بحسنة أو أصحابه بالشكاح أو أوى عننا الكفار أو دل على عورة للمسلمين أو فتن
مسلمين دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق أو ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قبل ينة نقض
وان فعل ما يمنع منه مما لا ضرر فيه كترك العيار واظهار الخمر وما أشبههما عز عليه ومتى
فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في أحد القولين وقتل في الحرب في القول الآخر •

• (فصل) • في تقدير الجزية اختلاف بين العلماء يقبل انهم مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الفتي ثمانية وأربعون درهما وعلى من دونه أربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب أبي حنيفة وابن حنبل واحده قولي الشافعي وجعلوه كآفة حكم امام فلا يقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقرب وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من المومنين اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويقض على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منهم هل هو تقدير شرعي لا يجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبدالعزيز الى عبد المجيد بن عبد الرحمن سلام عليك أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بالاموشة وجرح من العمال وبسبب شدة سهرهم عمال السوء فأحرز عليهم أرضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الامايطعون ولا من انعام الاوطية الخراج الا وزن سبعة لیس لها أس ولا أجور الضرايين ولا أداة القضة ولا هدية التبرؤز والمهورجان ولا تمن المحصف ولا أجور البيوت ولا دراهم الشكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض والواجب أن يؤخذ ما شرب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير دراهم • (فصل) • وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر ان تظهر عليه خراجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عمرو بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وتقدم في ذلك عمر بن عبدالعزيز وأمر ان لا يترك في دار الاسلام بيعه ولا كنيسة بمحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل النعمة من بناء ما خرب قال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحائط منعوا وان طينوا داخله الذي يلهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعملوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز

ينال كذا بالاصل

• (باب الثاني والخمسون في بيان الصفات المستبعدة في الولاية) •

اعلم أرشدك الله تعالى ان منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهدا في ابتغاء صالح العمال واذا فقد الوالي عمال الصديق كان كفقده المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرع للدرك والاستبصار والسيف للمناجزة والرمح للمطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للصن ولكل منها موضع ليس للآخر والرجال للملك كالاداة للصانع لا يدب بعضها مدي بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأى المشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للعمال والقصر ومنهم للمباهاة والذكر

ومنهم للدعامو الوفار ومنهم للصيلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل للملأ ملك ما لم يجمع
هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال من استخفوا قالوا ابنته بوران قال لن يغفل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأ
وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قبيل من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على
قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الأنصار قال أميران هلاك والله القوم وليس يشترط إلا
في الإمامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استعصر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين
وكان من الخطباء قال له هشام بلغني أنك تختطب الخلفاء ولا تصلح لها إلا ابن أمة قال زيد
فتد كان اسمي بن إبراهيم بن أمة واسم بن حرة ومحمد عليه السلام من ولد اسمعيل ثم اتهمه
في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر
بتقوى الله ولا أحد دون ان يؤمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل أسأله
على أمر قد أمعيت قالوا وكيف تريد قال اذا كان في القوم وائس أميرهم كان كائنه أميرهم
واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كائنه رجل منهم قالوا والله الا لا ريب في زياد الخلفاء
قال صدقتم هولاء ويرى ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يسئعونهم فقال له بعض
أصحابه عليك باهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهم ومارجوت وان قصروا قال
الناس اجتمعوا عمر (ولما) قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأل عن
بشر قال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف الا في غير ضعف فقال عبد الملك ذلك الاعسر
الاجود الذي كان يامن عنده البرى ويضاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف
موضع العفو الشديد في غير عنف الا في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال
الحكيم اعسر الرجال بأذهالهم لا بعظم اجسادهم فان التمر مع عظمه لا يأكل كل الامتنا
وطير الماء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحى منها (وفى) حكم الهند السلطان الحازم
رجما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه مخافة شره كالسوسع يتلعصع أصبعه ثلاثا بتشر السهم في
جسمه وربما يفض الرجل فأكراه نفسه على توليته وتثريبه لغناه بجده عنده كسكاه المر
على الدواء البشع لنفقه الا ان الاسلام شر وطا فلا تقم هذه البيرة عليها الا ترى ان على
ابن أبي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان هاوية واليا على الشام من قبل عمر
عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على أمره وأرسل اليه بعده فاذا دخل
في بيتك فاعزله فقال له وحك الله أنأمرني أن أطلب العدل بالبور ثم عزله فكان سبب
عصيانته وهكذا أشاروا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تقفون منهم
وانما الناس أصحاب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدت الى التسوية فقال أنأمرني أن أطلب
العدل بالبور فمين وليت عليه والله لولا كان على لسويت بينهم ولم أفضل بعضهم على بعض
فكيف والمال لهم واعطاه المال في غير حقه تبذروا سرف وهو يفرغ ذكر صاحب في الدنيا
ويضعه عند الله في الآخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله الا حرمة الله تعالى
شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم مظهره الود والشكر فذلك ملق وخدبة
لبنال منه فان زلت به الذل يوما فاحتاج الى معونته وكافأته ما سلف من مبرته فنشر خايل

والام خدين وابال آيها الوالى وحسب المادح فار من احب المادح عتد كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس ملما للقضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لالههم وقال النبي عليه السلام احشوا في وجوه المداحين التراب ومعهم المقداد رجل ايدح عثمان ابن عفان فاخذ كفامن تراب فالقاه في وجهه ومعهم النبي عليه السلام رجل ايدح رجلا فقال طاعت ظهرا خيلا لوسعها ما اطلع به هار وصف اعرابي اميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالحسن راج والمسي مخاطب وقال عبد الله بن الزبير وما لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه لخارج ما تنجدها في احد يبعده أبدا والله ان كنا نعرفه وما الليث الحرب على برائه باجرأ منه فيتقارق لنا وان كنا نخدعه وما ابن ليل من الارض بأدهى منه والله لو ددت انامت عنابه مادام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يئضون له عتل ولا ينقص له قوة وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن القارة أما بهد فانه لا يقيم امر الله في الناس الا حصف العدة بعد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يمتحن في الحق على الجرة ولا يخاف في الله لومه لائم (وقال مالك حارجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسأله ان يكتب له كتابا في أمر فقال اذهب الى منزلنا فانتني بدوة وفرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا فذهب فلم يجد عندهم الا اذن عز ودفكتب له في تلك الاذن (ولما) ولي المأمون يحيى بن أكنم قضاء البصرة بعد ان استمع عقله وعلمه وامتنحه بمائل فوجدته فوق ما يريد فتلقاه وجوه البصرة فرأوا شابا صيما بقلت لحية فتعجبوا ونظروا بعضهم الى بعض يقولون الا كفت ويعجزون الحواجب فقال بعضهم كم سن القاضي أصله الله قال مثل سن عتاب ابن أسيد لما ولاه النبي عليه السلام مكة فها هو لمدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلى أمور الناس الا حصف العقل واقر العلم قليل الغرة بعد الهمة شديد غير عتب لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومه لائم وقال ايضا ينبغي ان يكون في الوالى من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق قتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجوز عمن قتل عصفور بغير حق (وبروي) ان الرشيد أحضر رجلا ليولى القضاء فقال له اني لأحسن القضاء ولا انا فقهه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال للشرف والشرف يمنع صاحبه من الغداة ولك حلم يمنعك من الجلبة ومن لم يجعل قل خطوه وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فنضم اليك من تنقحه فولى فجاوبه واقبه مطعنا وقال اياس بن معاوية استحضري عمر بن هبيرة فحضرت فساكتي فسكت فلأطلت قال ايه قلت سل حميد الك قال اقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض القرائن قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العرب شيئا قلت انا بما أعلم قال فهل تعرف من أيام الهم شيئا قلت انا بما أعلم قال اني أريد أن أستعين بك قلت ان في ثلاثنا لأصلح معهن للعمل قال ما هن قلت أنا دميم كاتري وأنا حديد وأما عي قال أما الهدامة فاني لا أريد ان أحسن بك وأما العي فاني أريد ان أعرب عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط فولاني وأعطاني ألف درهم فهو اول ما عولته وقال سليمان بن داود

عليه السلام ما دلفا بؤة سلمت أشبالها باصعب من لقما جاهل راض عن نفسه

• (الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهد التي تؤخذ على العمال) •

اعلم أرشدك الله ان يجب أن يولى على الاعمال اهل الحزم والكفاية والصدق والامانة
وتسكون التوبة للعناء للهوى وملاك الولايات وأساسها أن لا يولى الاعمال طالب لها ولا
راغب فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعى رجل فلما سلمنا عليه قال صا - بي يا رسول الله استعملني فقال عليه السلام ان لا نستعمل على
علمنا من أراد فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى) عن
بزرجه ووقد قبل له ما بال ملك آل ساسان امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال
صغار الرجال ولله درعرو بن العاصي حيث قال موت ألقمن العيلة أقل ضررا من ارتفاع
واحد من السلسلة • وقال العلامة أبو ب غصب المأمون على بعض أصحابه غضبا شديدا ثم قال
له لا أمانك الله اريد بك دولة السفلى وقال رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل
قد آذاه ادر كنتك امره الصبيان وقال المستوغر الاكبر وكان قد عمر في الجاهلية ثلثمائة سنة

وما سقطت يوما من الدهر أمة • الى الذل الا أن يسود زميها

إذا ساد فمتا بعد ذل لثمتنا • تصدى لتاذل وقت أدبها

وما قادها للخير الا مجزب • عليم باقبال الامور كريها

وما كل ذي اب يعاش بفضل • ولكن لتدبير الامور حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال أهل الحرص عليها لانه
لا يخطبها الا لصر في ثوب ناسك وذئب في سلاح مجاهد حريص على جمع الدنيا ناذل لبيته
ومروءته دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اهتمت حقوق
المسلمين واكاث أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى
الممالك وقد ذكرنا في أول الكتاب الآثار كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتى على قضا
فتى في عاكتي الا وجدت مبيه جور العمال (فان قيل) فقام على قول يوسف عليه السلام للملك
اجعلني على خزائن الارض انى - نيطا عليم (قلنا) يوسف كان نبيا من أنبياء الله تعالى وثقنا من
نفسه بالكساية والامانة يزيدي من لا يتحقق بواطن أسرار ولا يعلم خصائصه ونفائله ويرى
الامور والاعمال والولايات في أيدي من ليسوا أهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين
يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل أن يذ كر بعض ما يهمل من نفسه ليهمل
قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قول بعض أصحاب الشافعي اذا كان القضاء في يدين لا يصلح
له وجب أن يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقها الامصار على خلاف هذا الرأي
ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوصى اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل وشر كفة
الاسلام فلما انه على نفسه ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا
أسود حبشا غليظ الشفتين مصنع القدمين لامرأة من بني الحماص وكان جليسا لدارد عليه
السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي بعثني لتبوء من يشاء فقال لقمان

يا جبريل ان امرئى ربى فسمع وطاعة وان خيرى اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه
 الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان
 أوتيت الحكمة وأوتى داود البلية • وروى أن جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع
 فأقام حولاً بصرة صفة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يباله عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع
 وقال درع حمينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت - حكمة وقليل فاعله • وكان عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه اذا بعث عاملاً اشتراط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل
 النسق ولا يتخذ حجاباً ولا يغلق بئاع حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له انى لا تستعملك
 على أيشارهم ولا أعراضهم ولا أعمالهم وانما استعملك لتعلم بهم وتقتضى بينهم بالعدل
 (وروى) عباية بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن أبي وقاص اتخذ قصرًا وجعل عليه
 باباً وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عازماً أن يوتى بالامر كما هو
 عليه بعنه فقال له انت سعد فأحرق عليه بابيه فقدم الكوفة فلما أتى الباب انخرج زنده واستورى
 ناراً ثم أحرق الباب فأتى سعد الخبر ووصفه بصفته فخرج اليه سعد فقال له محمد انه
 قد بلغ أمير المؤمنين انك قلت انقطع الصوت فخاف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد تفعل
 الذى أمرنا به ونؤدى عنك ما تقول ثم ركب رحلته فلما كان يطن البرية أصابه من الجوع
 والجوع ما الله به أعلم فابصر غمة فأرسل غلامه بعمامة فقال اذهب فابزع منهم شاة فجاء الغلام
 بالشاة وهو يصلى فارد ذبحها فاشار اليه أن كف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت بلوكة
 فسميت فأردد الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هي • بلوكة فرد
 الشاة وأخذ العمامة فاحذ خطام ناقه فجعل لا يبريقه الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم
 فأتوا بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا ثى غير هذا أتينالك به فقال بسم الله كل - لال أذهب
 السغب خير من ما كل السوم حتى قدم المدينة فقتل باهله فبقر من الماء ثم راح فلما أبصره عمر
 رضى الله عنه قال له لولا حسن الظن بك ما رأيت أنك أدبت وذكروا أنه أسرع السير فقال
 قد فعلت وهو يعترض ويحلف بالله ما قال فقال عمر هل أمر لك بشئ قال ما رأيت مكاناً أن
 تاهرى فقال عران أرض العراذ أرض رقيقة وان أهل المدينة يتوئون حولي من الجوع
 فخبثت أن أمر لك بشئ يكون لك بارده ولى الحمار • وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه استعمل مولاه يدعى هنيأ على الحى فقال الهنيأ ضم جناحك عن المسلمين واتق دعوة
 المظلمة فان دعوة المظالم مستجابة وأدخل رب الصرعة وانخمة وأياك ونم ابن عموف ونم بن
 عفان فأنم - ما ان تم لك ما يتهما برجعان الى زرع وتقل وان رب الصرعة والغنية ان تم لك
 ما يستهم ما ياتين يديه فيقول يا • بر المؤمنين اقتاركم انالاً بالآل فإلما والكلا يسرع على من
 الذهب والورق وإيم الله انهم ليرون انى قد ظلمتم اسم التلادهم فأتوا عليها فى الجاهلية وأسفلوا
 عليها فى الاسلام والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحجل عليه فى سبيل الله ما حبت عليهم من
 بلادهم شبرا (ومر) يوماً بينا بينى ببجارة وجهى فقال لمن هذا أفذكروا له أنه لعامل من عماله
 على البصرين فقتل أبت الدراهم أن لا تخرج اعناقها وقاسمها له (وكان) يقول لى على كل
 خائن أمينان الماء والطين • وكان أنوشروان يكتب على عهد الامال سس خيارد الناس بالهبة

وامرئح للعامة الرغبة بالرهبة وسم سغلة الناس بالاخافة (وقال) سليمان برداود عليه السلام كما يصلح المومز للفرس والرس للعمار كذلك يصلح القضيبة لظهور الجهال وفي الامثال من لم يصلح بالين اصلح بالتلين وقال هلال بن سباف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة اياه فغيره قال خرجت يا رسول الله وما ارى انى لي فضلا على احد من القوم فارجعت الا وكأنيهم عبيد لي قال وكذلك الامارة اياه فغيره الامن وقاه الله شرها قال والذي بعثك بالحق لا اعمل على عمل ابدأ (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يمنعك ان تفشى العمل في الافاضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم اجل من أن أدنسهم بالعمل وقال ابراهيم النخعي كان عمر اذا قدم عليه الوفدا لمهم عن حاجهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم جدا فقه تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان اقبل ومثل السلطان اذا ولي العمال الظالمين مثل من يستريح غفمة الذناب ومثل من يربط الكلب العقور يسيبه وان العامة تشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبيد الملك بن مر وان لانه الذي استرعاه الرعية وقد قيل

ومن يربط الكلب العقور يسيبه * ففقر جميع الناس من رابط الكلب
وكان العلامة ابن ابي بلال في فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول انهم جوفى عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه فعلى انصافه ونفقته جاتيا وراجعا ويأمر العمال ان يقرؤا عهده على أهل عملهم كل جمعة ويقول لهم هل استوفيتم

(الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات)

روى أبو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع ل أخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسرفه أنك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم أو اليد القاهرة صا بذلك واجبا عليك وروى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن التنية فلما باء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا لي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعاننا فيقول هذا لكم وهذا لي أفلا تعد في بيت ابيه ونامه فينظر هل يمدى له قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم وشاطر ابا هريرة وقال لمن ابنك هذا المال فقال ابو هريرة واب تناجحت وتجاروات تداولت فقال اذا شاطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله أخوه ابلا نبعثناهما الى الحي فرعت فقال عمر رعيتهما في الحي فشاطرهما وشاطر سعد بن ابى وقاص حين قدم من الكوفة كله رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا ياله غيره فجعله كالضارب للمسلمين ولما دفع ابو موسى الاشعري ما لامن بيت المال اميد الله وعبيد الله ابن عمر بن الخطاب بالبصرة

اشترى بانه بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمران بأ - فجميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم
بنصف الربح فأخذوا جميعا نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن
عبد العزيز إلى عماله أما بعد فانه لا من كان قبلكم يمنعهم الحق حتى يشتري ويطعمهم
الباطل حتى يقتدى الملك بالدين بقوى والدين بالملك بيني (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بأمر إذا قدم عليه العمال أن يدينوا له أرا ولا يدينوا له إلا كي لا يحبوا واشتد أمن الأموال
وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في علي الذي ولاي النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء
معتدين كسوتهم ما مولاي كيان وروى أن عليا رضي الله عنه استعمل أباه مودا لأنصارى
على السواد فوجع الإدارة وقد امتلأ فقال ما هؤلاء قالوا ذلك يصنعون بالرجل إذا
استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا في أمانتي وروى في أمانتي فرجع إلى علي وقال
لا حاجة لي في المال وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع عبد الرحمن بن مبرة يستعمله
فقال يارسول الله اختري قال افتدي ببيتك وفي الامثال ان الهدية تعمي وتعم وقال بعض
الحكماء الرشوة رشا الحاجة وأنشد بعضهم

إذا أتت الهدية دار قوم • تطايرت الأمانة من كواها

(ولبعضهم)

ان الهدية حلوة • كالسهر تجلب القلوبا
تدني البعيدين الهوى • حتى تصيره قريبا
وترد مضاعف العدا • وقبلة دجفونه حبيبا

(ومما قلته في الرشوة)

وأكرم من يدق الباب شخص • ثقب الجمل مشغول البدين
بنوء اذا مشى نفسا ونحفا • وينطح بابه بالركبتين
وأكرم شافع يمشي عليها • ابوالمنقوش فوق الصفحتين

(وقلت ايضا)

اذا كنت في حاجة مرصلا • وأنت بالبخارزها مغرم
فأرسل باكمه خلافة • بهصم أعطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى • رسول يقال له الدرهم
(وكتب) عبد الملك بن مروان إلى قاضيه الحرث بن عامر وقد ارتضى بكرمه
اذا رشوق من باب بيت تقممت • اتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كأنها • حليم تولى عن جواب رقبته

• (الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق)

اعلوا ارشدكم الله تعالى الى هذا الباب بما غلط الخلق فيه وقلبوا القوس ركوة فعدوا الى
اخلاق العامة وخلاتق الغوغاء والاديان وما يجري بينهم اذا تلاقوا وتعاشروا من
الافراط في مدح بعضهم بعضا وتعاظمهم الكذب والتضعف والملتق والمراة والمعايير

عن الامور المكشوفة التي بسوء اظهارها والاغتراف في ذلك المزاج والمهارة فهو دأوما
اشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقص مائض الله عليه ووردهم من حسن الخلق
فأول ذلك ان تعلم انه لم تحتوا الارض على بشر احسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من
تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قاربها أو بعضها كان احسن الناس خلقا
وكل خلق ليس بعد من اخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا فضل الخطاب
في هذا الباب بل عقل وانما أوفى الناس في هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العاصية
واستحسنوا الاخلاق النبوية بل جعلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهما انما نزل عليك
من اخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء والاصفياء والعلماء والصالحين ما ترجوا ان يتقنوا
الله وبالله قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك اعلى خلق عظيم
الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصنع وحسن العهد بعالم
يؤنه غيره ثم ما اتى الله تعالى عليه شيء من فضائله بمنزل ما اتى عليه بحسن الخلق فقال وانك
اعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن الخلق ودعانيه
عليه السلام من حسن الخلق قال عبيد الله بن عمر قلت لعائشة أم المؤمنين صفي لي خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي امان قرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك بهذا
القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعرف بذلك بحسن الخلق فاذا كان خلق النبي صلى الله
عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحت عليها وينهي عن كل نقیصة وريضة
ويوضحها ويبينها ولذلك لما أنزل الله تعالى خذ العنق وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلین
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله تعالى بأمرنا ان نصل من قطعك
ونعطي من حرمك ونعفو من ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فالقرآن اخلاق
العامة من هذا اللفظ وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويقطع من سألهم
ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها اصول الفضائل وينبوع
المناسبات لان في اخذ العنق صلة الناطع والصنع عن الظالم اعطاء المانع وفي الامر بالمعروف
تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل
جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلین الصنع والحلم وقوة
النفس عن عماراة السفیه ومجادة اللجوج فبذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع
نصا وتنبها وضحا واعتبارا (وروي) أنس قبل يا رسول الله اي المؤمنين افضل قال احسنهم
خلقا (وروي) ابوداود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتيكم مكارم الاخلاق
اقضي الحديثان كل نبي مبعوث الى امة انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم بعث لاتيكم مكارم الاخلاق فاذن حسن الخلق امتثال الشرائع بأسرها
(وروي) البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قاحشا ولا متعشا قال وان من
أحبكم الي احسنكم أخلاقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء
فجراني غليظ الحامية فبذره اعرابي جبينة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد
مر لي من مال الله الذي آتاك قلت تأمرني بذلك ولا يعمل أهلك قالت انت البسه النبي صلى الله

عليه وسلم وقال مر والله لم يكلمه بشيء (وروي) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل * واعلموا ان الخلق الحسن افضل مناقب العبد وبه يظهر
 جواهر الرجال والامعان مستور بخلقه مشهور بخلقه * ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى
 الله عليه وسلم بما خص به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمنزل ما نثي عليه بخلقه
 * وقال بعض المتسربين في قوله تعالى والذليل على خلق عظيم قال لا تخصص ولا تخصص من شدة
 معرفتك بالله تعالى وقيل لم يوترقك جفاء الخلق بعد معرفتك بالخلق وقال الهامسي كظم
 الغيظ واطهار الطلافة والبشر الالمبتدع أو قبحه إلا أن يكون قاسراً اذا انبسطت احضيا
 والعفو عن الزاين الابواب أو اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعهاد الالتفات
 منكراً أو أخذ مظلمة لمظلم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق ان لا تتغير عن يقف في
 الصف بجبنك (وقيل) للاحتف من تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المقرئ قال
 بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادماً به فود عليه شواحف سقط من يده فوقع على ابن
 له فبات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت سرور لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر اذا رأى
 واحدا من عبده يحسن الصلاة يعقبه فعر فوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مر آله
 فكان يعقهم فقل له في ذلك فقال من خدعنا في الله اخذ عناه * وقال الفضل لو ان امرأ
 أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة واساء اليها لم يكن من المهشين (وكان الهامسي) يقول
 فقد نالنا ثلثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخامع الوفاء
 وقال الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق * وكان عبد الله بن محمد
 الرازي يقول حسن الخلق استغفار ما منك واستعظم ما اليك (وقال سهل) حسن الخلق ان
 لا تطمع فيما ليس لك وليس به الصفة أحد الا الله تعالى * وقيل حسن الخلق تحمل افعال
 الخلق * وقال شه الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن وقيل حسن
 الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من
 جفاء الخلق وقضاء الحق بلا شح * ولا تقف وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداواة
 (وقالت امرأة) لمالك بن دينار يا امرأتى فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله اهل البصرة
 * وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوه من
 يبسط الوجه وحسن الخلق (وروي) ان ابا عثمان اجاز بسكة وقت الهجرة فالتقى عليه من
 فوق سطح طست رماد فقبر أصحابه وبسطوا السنتهم في الملقى فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من
 استحق ان يصب عليه النار فوصلح على الرماد لم يجز ان يغضب * وقيل لابراهيم بن ادهم هل
 فرحت في الدنيا قط قائم مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم جفأ انسان فبال على والثانية
 كنت جالسا جفأ انسان فصغيتي (وكان أويس القرني) اذا راه الصبيان رموه بالججارة وكان
 يقول ان كان لا يدقار موني بالججارة الصغار كي لا تدعوا علي ساقى فقه وفي الصلاة (وروي) ان
 عليا رضي الله عنه دعا غلاما فله يحميه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يحبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال
 اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما جعلك على ذلك جوابي قال امنت عقوبتك فتكسكت قال امض
 فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الهية يفرغها الله على المصطفين من عباده واهل الصفوة

من أوليائه ألا ترى الى قوله تعالى فجارحه من الله ثلث لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانتقصوا من حولك فجرده عن حقائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على
صحبته وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسبه من أخلاقهم مع كونه مستغفرا
بأسبلاء الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن الف
ما لوف ولا خرفين لا يالف ولا يولف وانما سمى بالآدمي لانه تألف من الجواهر والالوان (وقال
عليه السلام) رجلين متباغضين آدم اقه بينكما أي ألف بينكما ومنه سمى بالادم المأ كول لانه
يولف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أراد أن يتزوج امرأة
انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أي يولف بينكما وروى أن معروفا الكرخي نزل الهذيلة
يتوضأ ووضع مصحفه ومطبقه فجاءت امرأة فاخذته ما فتية بها معروف وقال بأختي أنا
معروف لا بأس عليك تلك ابن يقرأ آيات لا قال فزوج قالت لا قال فهات المصحف وخذ الثوب
(وروى) أن أبا ذر كان على حوض يسقي ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس
ثم اضطلع فقبل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل أن يجلس
فان ذهب عنه والا فليتنطع (وقال علي بن ابي طالب) رضي الله عنه انا لتصفح الكنازى
قطعهما وقال ابو ذر انك تسكر في وجوه قوم وان قلوبنا لتطعمهم وقال الحرث بن قيس يعجبني
من القراء كل طليق مضطج فأما الذي تلقاه بشير ويلتاذ بعوس عن عبدك بعمله فلا أكثر
الله في المسلمين مثله وقال عروة ابن الزبير مكتوب في الحكمة في تمكن كفتك طيبة وليكن
وجهك طلقا وليكن احب الى الناس من يعطيهم العطاء ومن يعجب صاحب السوء لا يلم
ومن يعجب صاحب الصالحية (وروى) ان ابراهيم بن ادهم خرج الى بعض البراري فاستقبله
جندي فقال له اين العسمران فاشارة الى المقبرة ففرض برأسه فوضع فلما باوروه قيل له هذا
ابراهيم بن ادهم فاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال ائتك لما نضر بقي ما ألت الله لك الجنة فقال
لم فقال قد علمت اني اؤجر على ذلك فلم ارد ان يكون نصيبي منك الخير ونصيبي مني الشر (وحكى)
ان ابا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافي باب الدار قال بالاستاذ ليس لي وجه في
دخولك وقد ندمت فانصرف رجلك الله فراجع ابو عثمان فلما وافي منزله عاد اليه الرجل وقال
يا استاذ ندمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة فتنام ابو عثمان ومضى معه فلما وافي دارة قال
مثل ما قال في الاولى واخذ يعتذر ثم كذلك في الثالثة والرابعة وابو عثمان ينصرف ويحضر
ثم قال يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويعدده فقال
ابو عثمان لا تمدحني على خلق تجده مثله مع الكلاب فالكلب اذا دعى حضر واذا لم يترجى
(وروى) ان بعض الفقراء نزل على جعفر بن حنظلة وكان جعفر يحضه هو الله فقير يقول نعم
الرجل انت لو لم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيدتي لا تقدر فيما تحتاج اليه من الخدمة فقبل
لنفسك الشفاء وفي الهداية (وروى) ان ابا جعفر التميمي المتعبد لنفسه بعض الاجناد ومعه
كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب وقد خلقني فاني فضر برأسه بالسوط حتى أوجعه
فقال له بعض المارين ويحك هذا أبو جعفر القمودي العابد فتزل عن فرسه وجعل يقبل يديه
يعتذر اليه فقال أنت في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودي ليالى عبدة

فقال انما ادعوكم عبادي قد علم اني ذلك من نبي اما قولى ابقاك الله وتولاك فاريد ان يقببه الله لغرم الجزية وتولا بالعذاب اما قولى اقر الله عينك فاريد ان تفر حركا بتر يعرض اها فلا تحرك بغيره واما قولى يسرنى والله ما يسرك فان العافية تسرنى كما تسره واما قولى جعل الله يومى قبل يومك فاريد ان يجعل الله تعالى اليوم الذى ادخل فيه الجنة برحمة قبل اليوم الذى يدخل فيه النار بكفرة

(الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته)

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الناصقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه الاوصاف الثلاثة الكفر والظلم والفسق وقال سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (وقال) أحمد بن حنبل روى به لواذن لى فى الشفا عقم بادأت الا بالظالمين لاني ثبت لعزى الله تعالى فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا أعظم سفر الا يكون فيه من لا يؤذيني ويظلمني شوقا منى لعزى الله تعالى للظالمين وقال ميون ابن مهران كفى بهذه الآية وعيد الظالم وعزى له المظلوم وقال كعب لابي هريرة فى التوراة من يظلم يخر بيه فقال أبو هريرة ذلك فى كتاب الله تعالى فذلك يوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى شئ الى سلب النعم وحلول النقم (وروى) مسلم فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدنى اهدكم يا عبادى كلكم ضال الا من أطمعته فاستطعمنى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسبنى أكسكم يا عبادى انكم تحطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى قصصى وولى تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانكم وبنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئا يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانكم وبنكم كانوا على أجفر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانكم وبنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسئلة ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص الخيط اذا دخل فى البحر يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه روى أبو اودريس الخولاني عن أبي ذر ومسند الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو اودريس اذا حدثه جنى على ركبته وروى عبد الله بن عمران التميمي صلى الله عليه وسلم قال الظالم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بيننا وبين الله حجاب وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاهية عنده مظلمة من عرض أو شئ فليتحلله منه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا ظومة من سبع أرضين قال أبو جعفر الطحاوى معناه انه يظلم شعبا عاقرع نبطوقه قال النبي

صلى الله عليه وسلم لم يمنع الزكافيجي ماله يوم القيامة شجاعاً قرع بجمه ويقول أنا مالك أنا
 كذلك فكان هذا دخلاً في قوله تعالى سيطوفون ما جعلوا به يوم القيامة وروى أبو هريرة أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال عطل الغني ظلم وروى أبو موسى الأشعري قال قال النبي صلى الله
 عليه وسلم إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وقرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي
 ظالمة إن أخذه اليه شديد وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالماً أو
 مظلوماً قالوا يا رسول الله كيف هذا انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً قال تأخذ فوق يده
 وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أهل النار لم أرهما نام معهم سباط
 كأذناب البقر يضربونهم الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات عيلات على رؤسهن مثل
 اسفحة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها وقال الله تعالى وإذا اردنا أن نهلك قرية امرئاً
 مترفعاً فففسقنا فيها خلقنا عليها القول فدمرناها تدميراً وفي الآية تأويلان أحدهما امرئاً هم
 بالطاعة ففسقوا أي خرجوا عن الطاعة والثاني على قراءة المدنى أي كثرت أعدادهم واسبقنا
 النعم عليهم ففسقوا وتباغروا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خسر المال سكة ما بورة ومهرة
 ما مورة أي كثيرة التناج (واعلموا) أن حشرات الأرض وهو اسمها تلحق العصاة وقال مجاهد إذا
 أشعثت الأرض فتقول البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم الله
 ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحسل لقوت بذنب ابن
 آدم يعني أن بذنوب الخلق يمتنع القطر فلا تنبت الأرض فتتساقط الدواب والحشرات وسع أبو
 هريرة وجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله إن الجباري لقوت هزلاني وكربا يظلم
 الظالم وقال ابن مسعود خطيبته بنى آدم قتلت الحسل (وروى) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة
 فقال الرجل وإن كان شيأ يسيراً يا رسول الله قال وإن كان قضيباً من أراك وقال ابن عباس
 ما ظهر الغلول في قوم قط إلا انقاسهم الموت ولا نقص قوم الميكال والميزان إلا انقطع عنهم
 الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا انقاسهم الدم ولا خرق قوم بالعهد إلا سلب عليهم العدو وقال
 بعض الحكماء إذا كر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يجيبك ربح
 الذراعين بسفك الدماء فإن له قاتلاً لا يموت (وروى) أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظن إذا ما كنت مقتدراً • فالظلم مصدره بفضي إلى التدم

تنام عينك والمظلوم منتصب • يدع عليك وعين الله لم تسنم

انشدنا قاضي القضاء أبو عبد الله الدامغانى رحمه الله يفتد

إذا ما هممت بظلم العباد • فكن ذا كراهول يوم المعاد

فإن المظالم يوم القصاص • لمن قد تزودها شر زاد

وقال مصنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شيئاً قط هبت قر جلاظته وأنا أعلم
 أن لا ناصر له إلا الله فيقول لي حبيبك الله يبنى وينيك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فيمن
 لا ناصر له إلا الله وقال أبو سليمان الدراقي لما دخل أخوه يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه
 وكان على وجهه برقع فخلا بكبيرهم وكان ابن خالته فقال لهم أوصلك أبوك قال بأربع قال

قال وما هن قال يا بني لا تتبع هو الفتنة ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر منطقك بما لا يعينك فتسقط من عينه ولا تنس ببرك الطن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على ابن الفضل يوم اقبل له ما يبكيك فقال ابني على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولهم ود الوراق

اني وهبت لظالمني ظلي • وتركت ذلك له على رايته اسدى الى يدا • لما ابان بجهله حلي رجعت اساءته عليه واحسناني فاب مضاعف الجرم وغدت ذا الجبر ومحمدة • وغدا بكسب الذم والاثم مازال يظلمني وارحمه • حتى رثيت له من الظلم وكأنا الاحسان كان له • وانا المسمى اليه في الحكم

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجرد ناصره غيري (وقال) ابن مسعود لما كشف الله العذاب عن قوم يؤنس ترادوا المظالم حتى ان كان الرجل يقطع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال ثور بن زيد الجعفي البنيان من غير حله عربون على خرايه وقال غيره لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لا وشك أن تحترق وقال الحكيم العدل حزمة والظلم ظلمات فالعدل يجري اليك الخواص والجور يهجم عليك الجوارح فاحذروا لجنة الا الثقة بنزول القبر ولا سلاح له الا البتال الى مقاب الدول قال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يا معشر الطلبة لا تجالسوا اهل الذكرفانهم اذا ذكروني ذكركم برحمتي واذا ذكروني ذكركم بلعني وقال أبو امامة يحيى الظالم يوم القيمة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه بغاييرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما يديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على افاص وقد اقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال اما اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وأخبرني رجل عن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عينا للمكاسين يدور حولهم فقرأته في النوم بعد وفاته فقلت له من أين نجي فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فسالته فقال من العظيم فقلت له في أين تذهب قال لي مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف لقيت قال وماذا لقيت كان لي قد جعل في هاوون ودق حتى صار مثل الخ (وأخبرني) رجل من أهل العلم والدين قال راب فلانا البياض في النوم بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة قلت فبماذا قال كتب أسع في الذك كان في ردم الناس على فأخذوا همهم فاضها في نبي وكلما تفرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فاختلطت في نبي الفضلات فجاء اثنا فدفعت لاحدهما بضعة الاخر وكانت انقص من فضته بحصة ثم حوسبت فبقي على حبة فقلت فادفع له الحبة ويخلص بفعل بقلب حقه ويقول من أين ادفع لمن أين ادفع له فكثرت رها من ان

(وروى) أن يونس عليه السلام لما نبأ العراء وأنتب الله عليه شجرة من يقطين كان بأوى الى
ظلمها قيدت فبكى عليها فأوحى الله تعالى اليه تبكى على شجرة فقدتها ولا تبكى على مائة ألف
أو يزيدون أردت أن اهلكهم • وقيل لابن السماكة الاسدي أيام معاوية كفى تركت الناس
قال بين مظلوم لا يتصف وظالم لا ينهى • وقال بعض الحكماء أنقر الناس أكثرهم كسباً من
سرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده • وقال رجل كنت جالساً عند عرب بن عبد العزيز
فذكر الخراج فسلم بيته ووقعت فيه فقال عمران الرجل العظيم بالظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم
ويسبه حتى يستوفى حقه فيكون للظالم حق عليه • وقال عرو بن دينار ادى رجل في بني
اسرائيل من رآني فلا يظلم أحداً واذا رجل قد ذهب ذراعاً من عضده وهو يسكي ويقول من
رآني فلا يظلم أحداً فاستل عن حله فقال بينما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام
اذ مررت بنبطي قدام طراد تسعة أنوان فاخذت منه نونا وهو كاره بعد أن ضربت رأسه فعض
النون ايماءى عنوة بسيرة ثم أكلناه فوقت الاكلة في ايماءى فانتفت الاطباء على قطعه فقطعه
فوقعت في كفي ثم ساعدى ثم عضدى فن رآني فلا يظلم أحداً فخرجت أسبح في البلاد وأريد
قطع عضدى اذ وقعت لي شجرة قاوت الى ظلمها فعضت فقتل لي في المنام لاى شئ تقطع
أعضاء رداً الحق الى أهله فحقت الصدا فقلت يا عبد الله أنا لم أكن فاعنة في فقال ما أعرفك
فاخبرته فبكى وتضرع وقال أنت في حل فلما قالها تنازل الدود من عضدى وسكن الوجع
فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسي وأخذت السمكة انظرت الى السماء وبكمت
فقلت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقته
وخلقته وجعلته قويا وجعلته ضيعاً فاسألت يا من خلقتني وخلقته أن تجعله عبرة لخلقك
(وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدروهم على الانتقام وان أنقص الناس عنلاً من ظلم
من دونه • وقال بعض الحكماء الظالم على ثلاثة أوجه ظلم لا يفتره الله وظلم لا يتركه الله وظلم
لا يعبأ الله به شيئاً فاما الظلم الذى لا يفتره الله فهو الشرك بالله وأما الظلم الذى لا يتركه الله
فظالم العباد بعضهم بعضاً وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد بما بينه وبين الله تعالى • وقال
ميمون بن مهران من ظلم رجلاً مظلمة ففاته ان يخرج منها فاستغفر الله بركل صلاة رجوت
أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفي رجل من الخواريين فوجدوا عليه وجداً
شديداً وشكوا ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاجاباه الله تعالى
وفي رجليه فعلى من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا انى مررت بمظلوم
فلم أقصره فتعلت هاتين العينين وأما أنا فامسك اذا فعلت باحد مكرها فادع الله تعالى له
واستغفره كما فعل موسى عليه السلام لما أذى هرون وأخذ بطيخته ورأسه ثم تبين له برأته
وأن بنى اسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة البجل فقال رب اغفر لي ولا تخن وأدخلني في رحمتك
وأنت أرحم الراحمين (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال فاهلكهم الله بها كانوا
يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المظرة وفي الماء الحار وفي شطوط الانهار وكانوا
يخذفون الناس بالحمى فيموتونهم واذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر باخراج الريح
منهم والظلم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى

وهي الواطة قال الله تعالى أُنْصَحُكُمْ لِتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّيْلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ
 الْمُسْكَرَ وَتَأْتُونَ الْجُلُوسَ وَيَلْبَسُونَ بِالْحَمَامِ وَيَرْمُونَ بِالْجُلَّاحِقِ وَضَرْبُ الدِّفِّ وَشَرْبُ الْخَمْرِ
 وَقَصُّ الْحَبِيبَةِ وَتَطْوِيلُ الشَّارِبِ وَالتَّصْفِيقُ وَلِبْسُ الْحِمْرَةِ وَتَزْيِيدُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأُمُورَ بِأَتْيَانِ
 النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَأَعْلَامُهُمْ عَلَى أَتْيَانِ الرِّجَالِ أَنْهُمْ كَانَتْ لَهُمْ عِمَارٌ كَثِيرَةٌ فِي مَنَازِلِهِمْ
 وَحَوَائِطِهِمْ فَأَصَابَهُمْ سَهْمٌ قَطَعَهُ وَقَلْعُهُ مِنَ الْخَمْرِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ نَمْنَعُ عِمَارًا حَتَّى لَا يَطْرُقَهَا أَحَدٌ مِنَ
 النَّاسِ فَاصْطَلَمُوا عَلَى أَنْ مِنْ وَجْدِهِ فِيهَا نِكَمٌ وَغَرَمٌ وَهُوَ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ فَقَعَلُوا وَمَا سَبَقَهُمْ بِهَا
 أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَكَانَ بَدَا الْقَاحِشَةُ فَهَسَمَ أَنْهُمْ هُمَا بِذَلِكَ فَجَاءَهُمْ ابْنُ لَيْسَ
 فِي هَيْئَةٍ صَبِيٍّ أَجَلَ شَيْءٍ رَأَى النَّاسَ فَسَكَمُوهُ وَتَجَرَّأَ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَمْ يَزَلْ • وَلَكِنَّ الْمُسَىءَ هُوَ الظُّلْمُ
 إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَضَى • وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْمَعُ الْخُصُومُ
 صَلِّ الْإِيَّامَ عَنِ امْتِنَاعِ قَضَتْ • فَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ
 (وَرَوَى) أَنَّ أُنُوشِرَوَانَ كَانَ لَهُ مَعْلَمٌ حَسَنُ التَّادِيَةِ فَعَمِلَهُ حَتَّى قَاتَى فِي الْمُلُومِ فَضَرَبَهُ الْمَعْلَمُ بِرُومَانٍ
 غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ فَقَدْ أُنُوشِرَوَانَ عَلَيْهِ فَلَمَّا وَلَّى الْمَلِكُ قَالَ لَهُمَا جَلَسْتُ عَلَى مَا صَنَعْتَ مِنْ ضَرْبِي
 يَوْمَ كَذَا وَكَذَا أَظْلَمَ قَالَ الْمَلِكُ أَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي الْعِلْمِ رَجُوعًا قَالَ الْمَلِكُ بَعْدَ أَيِّكَ فَاحْبَبْتَ أَنْ أَذِيَقَكَ
 ظَمَ الظُّلْمِ لثَلَاثَ ظُلُمٍ فَقَالَ أُنُوشِرَوَانُ

• (الباب السابع والخمسون) •

في تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤل إليه أمرهما
 من الأفعال الرديئة والعواقب الذميمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حِلَافٍ مَهِينٍ هَذَا مِنْ شَأْنِ بَغْيٍ مَنَاعٍ لِلْغَيْرِ مَعْدَأُئِيهِمْ هَذَا بِمِثْلِ ذَلِكَ
 زَيْمٍ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ أَصْنَافَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَالتَّثْلِيثِ وَأَهْلَ الدَّهْرِ
 وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَأَشْبَاهَهُمْ وَلَمْ يَسْبِقْ اللَّهُ سَجَانَهُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتْلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ
 وَحَسْبُكَ بِهَا خُصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ وَسُقُوطٌ وَضَعَةٌ وَهَذِهِ الْآيَةُ تَزَلُّزَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغْفِرَةِ فِي أَصَحِّ
 الْأَقْوَالِ وَالْهَاجِزِ الْمُغْتَابِ الَّذِي يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ الطَّاعِنِ فِيهِمْ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ هُوَ
 الَّذِي يَغْمُزُ بِأَخِيهِ فِي الْجُلُوسِ وَهُوَ الْهَمْزَةُ الْعَزَّةُ وَالْعَتْلُ فِي اللُّغَةِ الْغَلِيظُ وَأَصْلُهُ مِنَ الْعَتْلِ
 وَهُوَ الدَّفْعُ بِالْقُوَّةِ وَالْعَنْفِ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ رِضَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْعَتْلُ الْقَاحِشُ السَّيِّئُ
 الْخَلْقِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَتْلُ الْفَاتِكُ الشَّدِيدُ الْمَنَافِقُ وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عَمْرِو الْعَتْلُ إِلَّا كَوَلَّ
 الشَّرَّ وَبِالْقُرَى الشَّدِيدُ يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ شَيْعَةً وَقَالَ يَحْيَى بْنُ هَاجِزٍ فِي الْقَاسِيِ النَّيْمِ
 الْعَسْرِ وَقَالَ مِقَاتِلُ الْعَتْلُ الضَّعْفُ وَقَالَ الْبُكْبِيُّ الشَّدِيدُ فِي كُفْرِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ عَتْلٌ وَقِيلَ الْعَتْلُ
 الشَّدِيدُ الْمَخْصُومَةُ بِالْبَاطِلِ وَالزَّيْمُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ مِنْ أَبَوَيْهِ قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ
 وَأَنْتَ زَيْمٌ يَطْفِئُ أَكْلَ هَانِمٍ • كَمَا يَطْفِئُ الرَّاكِبُ الْقَدَحَ الْقَرْدَ
 (وَقَالَ غَيْرُهُ)

زَيْمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَبَوَيْهِ • بَنَى الْأَمْدَ وَحَسْبُ النَّيْمِ

وَقَالَ أَكْثَرُ النَّقَلَةِ هَذَا رَجُلٌ انْهَدَأَ أَبَوُهُ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَعَنْ هَذَا قَالَ الْقَدَمَاءُ لَا يَكُونُ

غاما الاوف نسبته **ه** وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة رجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف
 حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو غير رشده يعني ولدنا فقال أبو موسى الاشعري
 لا ينبغي على الناس الا واليتي **و** قيل الزنيم الذي له زينة في عنقه يعرف بها كاتعرف الشاة قال
 ابن عباس لما وصفه الله تعالى بثلث الحال المذمومة لم يعرف حتى قيل زين يعرف لانه كانت له
 زينة يعرف بها كاتعرف الشاة برغمها **(ومن ذلك)** قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
 ببنافقينوا ان تصيبوا قوما فيهم فانه نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معط بهته النبي صلى الله
 عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الواقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا بملقونه
 تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم فنزع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال صنعوني
 صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله
 كذبا فنزلت هذه الآية وسماء الله تعالى فاسقا **(ومن ذلك)** قول الله سبحانه سمعوا من الكذب
 أكلون للصب فمروا الله تعالى بين السامع والقاتل في القبح وسأوى بينهم في الذم فكان فيه
 تنبيه على ان السامع غلام في الحكم **(وأما ما روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم)** فروى مسلم
 في الصحيح قال همام كأم حذيفة فقيل له ان رجلا رفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله
 عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفيه لفظ آخر غمام
ه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بشرا **ركم** قالوا بلى يا رسول الله قال من
 شر اركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب **ه** وروى أبو هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل سفار ملعون
 كل قتات ملعون كل منان قال سفار المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات الغنام
 والمنان الذي يعمل الخير ويحب **ه** وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقيرين
 فقال انهما البغدان وما بهذان في كثير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الآخر
 فكان يمشي بالنميمة فاخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم
 فعل هذا قال لعله يخفف عنهم ما لم يبيسا وذلك ليركة يده صلى الله عليه وسلم **ه** **(وأما السعاية)** **ه**
 الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة تجمع الى الخصال المذمومة
 الفسقة ولؤم النجاسة والتفريز بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وقلب
 العزيز عزه وتخط المحكين عن مكائنه والسيد عن مرتبته فكمن من دم أراقه سعى ساع وكمن
 حرم استنبح بنميمة باغ وكمن من صفين تقاطعا ومن متواصلين تباعدا ومن محبين تباعضا
 ومن اقيمت اجرا ومن زوجين افترقا فليتنى الله ديه رجل ساعده الايام وتراخت عنه
 الاقدار ان يصيح لساع أو يسمع لنمام **ه** وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة
 لا يدخلها ديوث ولا قلاع قال ديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يذث بينهم
 والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المتكبر عند السلطان
 فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه **(وقال كعب)** أصاب الناس قط شديد على عهد موسى صلى الله
 عليه وسلم فخرج موسى يستقي بين اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة
 فاوحى الله تعالى اليه اني لا استحيب لك ولا لمن معك فان فيكم غما فقال يا رب من هو حق

فخرهم من بيننا فأوحى الله تعالى اليه يا موسى انما كنتم عن التبعة وآتيناها فتاوا فافارسل الله سبحانه
 عليهم الغيث • ولما لقي اسقف نجران عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يا امير المؤمنين احذر
 قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل باق الامام بالحديث الكذب فيقبله الامام
 فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك ابعدت • ووجدنا في حكم القديماء
 أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعي بالنمعة باخيه الى الامام فيهلك نفسه
 وأخاه وامامه (وذكرت السعاية) عند المأمون فقال لو لم يكن من عيهم الا انهم اصدق ما يكونون
 أبغض ما يصنعون عند الله تعالى • وقال حكيم القرم الصدوق بن كل أحد الا السعاية فان
 الساعي اذم وآتم ما يكون اذا صدق (وروى) أن رجلا سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال
 له الوليد ما أنت فتخبرنا انك جارسو ان شئت ارسلك هك فان كنت صادقا أبغضناك وان كنت
 كذبا عاقبناك وان شئت ناركك قال تاركني يا امير المؤمنين قال قد ناركك • ولقد در الاسكندر
 حين وشى اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلناك على صاحبك بشرط ان تقبله عليك
 وان شئت اقلناك قال اقلني قال قد اقلناك كف عن الشريكك عنك الشر (ومن العجب)
 الذي لا هب بعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسال الناس عنه هل هو من
 أهل الثقة والعدالة والامانة والحيانة ثم يتم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال
 فتقبله • وقال يحيى بن زيد قلت للسمن بن علي رضى الله عنهما ما سألني اسم اخبرني من سألني
 فدعيت عيناه وقال اناني اخرجهم من الدنيا وأول قدم من الآخرة تاصري ان أعجز • قال
 رجل للمهدي عندي بصيعة امير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه انا ام لعامة المسلمين أم
 لنفسك قال لك يا امير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عون ولا أجمع حال من قبل
 سعائه ولا تخول من ان تكون حاسد نفعة فلا تشي لك غيظه أو عدوا فلا تصاقب لك عدوك
 ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس لا ينصع لنا ناصح الا بعلقه فيه رضا وللمسلمين فيه صلاح
 (وروى) ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كاهن فخرى فقبول السعاية
 أشرم من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز لان
 من فعل أشرم قال (وروى) ان رجلا رفع الى المنصور نصيعة فوقع على ظهرها هذه نصيعة
 لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لن آثرنا على الله تعالى (وروى) ان رجلا قال للمأمون
 يا امير المؤمنين الله في أصحاب الاخبار فأنهم قوم ان أعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا
 فان أعطوا مدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المأمون لله درهمان كلمة
 ما أقصدها وأبين فضلها وأمر ان تكتب في أمور أصحاب الاخبار (وقال مروان بن زباج)
 العيسى يابى عيسى احتفظوا عني ثلاثا من تقل اليكم تقل عنكم واياكم الترويح في
 البيوت السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان
 استكثروا يمكن • وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم
 السعاة والخامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا المودات • وقال حكيم العرب اياك
 والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عدك فيفرون بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر)
 من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبت ويشطع اللحم بالسيف فيندمل

واللسان لا يشد مل بجرحه وأحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الخلال وقتلته من هذه الحكم واستودعته من هذه السير من آتاه الله سلطانا ومكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا أطاع الواشي ذلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من أراد ان يسلم من الائم ويقي له الاخوان فيجعل نفسه بينه وبينهم فاضاعدا ويحكم بالعدل ولا يقبل أحد في أحد ولا في نفسه الا يشهد وتعديل فان اقدأ حينا يقول أقوام وابغضنا يقول آخرون فاصبنا نادمين ومن اطيع حكمه الله تعالى في النعمة لما علم من شؤمها واستطار فشرورها وعموم مضرتها في الوري حكمه يفسق الخنام حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره (وقال) ابن عمرو قد الله الحاج ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان الى الناس وبسالهم عن حالهم فيخبرونه ان الناس راضون وليسوا براضين واعلموا ان الله تعالى خلق الانسان على انحاء شتى لئلا تكثرها الا ان لكثرة وطول تتبعها فخلق الله الحواس الشريفة والاعضاء النافعة للنفسية في أفضل ما ركب فيه اللسان الذي هو آلة النطق والبيان وبه فصل بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر الحيوان وامتن عليه في أول سورة الرحمن فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وخلق فيه أعضاء تدل وتستهان وجعلها تجري لفصول الطعام والشراب فمن يتبع سقطات الكلام ويرى عزرات الانام التي هي كالعورات الواجب سترها ودفعها كان قد استعمل أشرف الآلات في أخس المستعملات فصار كمن لمس بلسانه سوءة أخيه وجعل أكرم جوارحه لآخر أجناس المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتبعه مثل الجسد ويقصم وجهه وقد كان له في نشر الحاس شغل ولكن أهل كل ذي حال أولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصلم فلا تكن ذبا ياتفسد ومن لم يقدر على جميع النضائل فلنكن همته ترك الرذائل واذا تبخع الامام عورات الناس أقسدهم (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع قوما من أصحابه يضجكون فامتنع من الخروج اليهم حذر ان لا يفسد قلبه عليهم ولوعلم الذي يسمع أخبار الناس ما جرى على نفسه لعل ان الصمم كان أهنأ عينيه وأنعم بالهم سمع الاخبار يا واحد ماذا عمل نقله الاخبار جلا ذلك الصدق أو الكذب فتكون في سماع الكذب عن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب كالون للسمت ويكون في سماع الصدق جلا اللهم حرج الصدق على الخلق معاديا لهم متبعا لعورات الخلق وخرافا لسقطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصف من قائل لاذ ان كنت ذا قدرة أهلك الرعة ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم يشف غظلك ثم أقسدت اخوانك وأبغضت من يجب ان تحبه وأحببت من يجب ان تبغضه ثم لا تزال تتحمل الخسائر وتزيد الاحقاد والضغائن وترصد لكل قائل يوما في صدره فيه فأعنى العاقل عن هذه البلية ولقد روى ابن العاص روى انه لاه رجل يوما فقال له الرجل اما والله ان عشت لا تفر عنك قلت فقال له عمرو بن العاص الآن وقعت في الشغل يا ابن أخي

• (الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته) •

قال الله تعالى واصكم في القصاص حياة بأولى الابواب يعني اذا علم القاتل والقاطع الله

يقتصر منه اجمع ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياته الذي هم به (روى) ابن
 مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الممات روى ابو هريرة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاهية منخله فليصلها منها فانها ليس ثم دينار ولا درهم
 من قبل ان يؤخذ لاهية من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات اخيه فطرح
 عليه وهذا حديث صحيح رواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزددوا وزرا اخرى
 فكيف يؤخذ العظام بدين ركب المظالم فلنا معنى الآية لا يعاقب احد بذنب احد ابتداء واما
 في مسئلتنا فليقتل عنده وليس له وقام به فهو الذي اكسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله
 تعالى ولا يحملن افعالهم واثقالهم وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قطرة بين الجنة والنار يقتصر بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده
 لاحدهم احدى منزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل
 موته من كانت له عندي مظلة فليات حتى اقصه من نفسي فقام سوار بن غزبه فقال يا رسول الله
 انك ضربتني على بطني ايله العضة فارحني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتصر فقال
 يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو
 كالقباطى يعنى ثياب مصر فأكب عليه يقبله فقال يا سوار وما حملك على هذا فقال يا رسول الله
 دنالقام هو لا المشركين ولا ندري فاردت ان يكون آخر العهد بك ان اقبل بطنك فهذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقتصر من نفسه مع ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر له
 ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى اعدل من ان يدع مظلمة لاحد
 عندي ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة انا ظالم ان فاتني ظلم ظالم وروى ان
 داود عليه السلام يقدمه خصمه الى اقام يوم القيامة فينتضى له عليه فيدفعه الى اورياش
 ثم يستوجهه الله تعالى من اورياش يعرض اورياش على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان
 ابن عفان رضى الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له واذا في علقها شئ فأخذ باذنه فعركه ثم ندب
 فقال للغلام قم فاقتصر منى قابى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ باذنه ثم قال يعرك وهو يقول
 شد شد حتى عرف عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واهالقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة
 (روى) عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لا وجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطنه عن ابن شهاب
 قال وقد أقرأ النبي صلى الله عليه وسلم والخليفة من أنفسهم ليستق بهم ولم تعدوا حيفا
 وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون
 من المظلم قالوا المظلم فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المظلم من أمتى ياتي يوم القيامة
 بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا وقتل هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب
 هذا فيمطى هذا من حسنة وهذا من حسنة فاذا قنيت حسنة قبل ان يقضى ما عليه أخذ
 من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغنى ان أبابكر الصديق رضى الله عنه
 لما رأى اختلافه ضرب رجلا ثم دم وقال مالى ولهذا الارادتها عليهم فجعته فأنشئت فوارسلت الى

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافي من هذا ان اضرب فقال عمر كذلك
 الامام فقال فما المخرج قال ان ناتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فاتيته فاستحلته دلت
 الاشارة على ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذا جنى أحدهما على الآخر وان الامير
 اذا ظلم المأمور زال ناصره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المؤمر عليهم
 حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت أمراء ليعلموا الناس دينهم
 ويقسمون بينهم فيهم ويعزلون فيهم ولم أبعثهم ليضربوا بأبصارهم ويحلقوا أشعارهم فن
 ظله أمير فلا امره عليه دوى حتى أخذ له بحقه قال عمرو بن العاص الله الله يا أمير المؤمنين
 ان أدب رجل رجل من رعيته انك لا تقصه منه فقال عمر كيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقص من نفسه (فاما القصاص بين البهائم) فاختلف الناس في حشرها وفي جريان
 القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال وحشر كل شيء الموت الا الجن
 والانس فانهما يوافقان يوم القيامة وقال معظم المفسرين انهم يتحشرون ويقص منها قال ابن
 حبيب تحشروا البهائم وقال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب وقال أبو الحسن الأشعري لا تقطع
 بإعادة البهائم والجنائين ومن لم تبلغه الدعوة ويجوز ان يعادوا ويخلوا الجنة ويجوز ان يعادوا
 والدليل على ثبوت الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقال تعالى وما من دابة
 في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون (وروى)
 مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم
 القيامة حتى يقاد ثلاثة الجحائم من الشاة القرناء وقال أبو ذر انطلقت شاتان عند النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال أتدرون فيما اتطعنات لا أدري قال لكن الله يدري وسيفضي بينهما
 قال أبو ذر لقد تركت النبي صلى الله عليه وسلم وما يقبل طائر بجناحيه في السماء الا ذكرنا منه
 عليا وقال أبو ذر ان الجبريل سئل عن نكبة اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم
 والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتيني أحدكم على رقبته بغيره رضاء على
 رقبته حرة لها أخوار على رقبته شاة تبعر ثم يسط لها بقاع فترقرق قطرة باطلا فها وتقطعه
 بفرونها كلما مرت عليه أولاها عادت أخرها والحديث واودى مانع الزكاة وقال أبو الحسن
 لا يجوز المقاصفة بين البهائم لانها غير مكلفة ولا يجري عليها التمسك قال وما ورد في ذلك من
 الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقص للبعائم من القرناء ويستل العود لم خدش العود
 فصلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقص في الحساب وأنه لا بد ان يقص المظلوم من الظالم
 واي ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراييني قال في الجامع الحلبي يجري القصاص بينها قال ويحتل
 انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا جرى فيه القصاص وكلام الاستاذ وجهه
 في العصة لان البهيمة تعرف النفع والضر فتقر من العصا وتقبل الى العلف وينزجر الكلب
 اذا زجر ويستأذ اذا شلى والطير والوحش يقرن الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجر
 عليها القتل في الدنيا فاعلم ان رفع القتل عنها في الاحكام فان قيل القصاص انتقام وهو جزاء على
 جناية وقعت من مخالفة الامر والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا جوارح رسول والعقول
 عندهم لا يجب بها شيء على العقلاء فضلا عن البهائم وفي هذا اتصال عن قول الاستاذ انهم

كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شيء وبشبهه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكلفة كانت في المشيئة يفعل الله بها ما اراد كما سلط عليها في الدنيا الاستسغار والذبح فلا اعتراض عليه وقوله تعالى ان يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يؤلم البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد حياتها والآية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يعر عليهم القلم في الدنيا فامار رفع القلم عنها في الاحكام ولكن فيما بينها اتواخذ وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقلوا الوزغ فانه كان يفتح على ابراهيم عليه السلام فهذه جميعا عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب بملكه لا بالعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر الذي مر بثوبه وبنو اسرائيل يتظرون عورته ورواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضر به بعصاه والحجر ضر موسى بقول نوبي جبر نوبي حجر قال ابو هريرة قال الذي نفسي بيده انه لتدب بالحجر ستة اوسبعة وروى في تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التي تكسر الناس في الدنيا وروى ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع اياته فسأله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فلا ادري اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تناول بعضهم قول ابن عباس حشرهم من النار فحشر لضرب من القصاص بينها ثم تصير ترابا قلت وتناول ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمعها بل فيه تفرقتها وتفرقة اجزائها ثم قد قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى رجا

• (الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة) •

قال الله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر ان يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر ان يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسم امر فانه اعادته كذلك فهو وفاد انه كثره ثم كثره كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن فاك الزمان يلاوى • عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع ناكبات • شئت دونها الحياة ومليت
فاصطبر واستقر ماوغ مداها • فالزوايا اذا نالت نالت
واذا أوهنت قواله وجلت • ككشفت عنك جملة فتجلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء النطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطلقا لتعني اثرها على سادة ثم جاءها ابراهيم وابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها من ماضٍ فوضعها هناك ووضع عندها جراب فيه قروصا وفيه ماء ثم قال ابراهيم منطلقا لقبته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتترك هذا الوادي ليس فيه ايس ولا شئ فقالت ذلك مراروا وجعل لا يلتفت اليها فقالت

له الله أمر له بهذا قال نعم قالت اذا الايضه نائم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند
الذئبة حيث لا يرونه الله تقبل البيت بوجهه ثم دعاهم ولا الدعوات ورفع يديه فقال رب اني
أسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت أمي حميل
ترضع اسمعيل ولوشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدم في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتأوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها
فقامت عليه ثم اتت بيت الوادي هل ترى أحدا فلم تر أحدا ثم سعى الانسان الجهل حتى
جاءت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فتنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فذهبت ذلك سبع
مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم فلذلك سعى الناس بينهم ما فلما شرفت على
المروة سمعت صوتا فالتفت اليه تريدته فما سمعت أصفا فالتفت قد سمعت ان كان عندك غنوا
فاذا هي بالملك عنده وضع زمرهم فيحبث بهقيه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فخرجت تحوضه
وتقول يدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سفاتها وهو يغور بعد ما تقرب فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمرهم أو قال لو لم تعرف لك انت عينا معينا قال
فسربت وأرضعت ولما فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فانهم غلبوا الله تعالى بينه وبين
الغلام وأبويه وان الله لا يضيع أهلها (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية خلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
كلام الثلاثة قال كعب فاجتبتنا الناس وغير الناحي تنكرت لنا الارض بما رحبت فها هي
التي أعرف وكنت أطرف في الاسواق وأشهد الصلوات مع المسلمين ولا يكلمني أحد وأني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول في نفسي هل حولت نفسي برد السلام ام لا حتى اذا طال
ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عتي وأحب الناس الى فسلط
عليه فوالله ما رد على السلام فلما غت خمسون ليلة من يوم نهي رسول الله عن كلامنا صليت
صلاة التجر وانا على ظهر بيت من يوتنا فينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى قد ضاقت
على نفسي وضافت على الارض بما رحبت وما كان من شيء أهمل من ان أموت فلا يبصلي على
النبي او يموت النبي صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس في تلك المدة لا يكلمني أحد ولا يبصلي
على فأنزل الله نورا فتنافست صوت صارخ من اعلى الجبل يا كعب بن مالك ابشر فخرت ما جدد
الله تعالى وعرفت ان قلبا القرح فجعلت نوبتي على الصارخ بشراء والله ما ملكت غيرهما ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلط عليه وهو يرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر
عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا رسول الله ان من نوبتي ان أتخضع من مالي صدقة الى الله تعالى
والي رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض ماله فهو خير لك (ووروى) ان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما شب ودرج في موضع ربي فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا فقال
انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما اقل قال لا أحب الا اثنين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
فلما اقل بعد طلوع القمر قال لنن لم يهدني ربي لا كونه من القوم الذين فلما أصبح ورأى الشمس
بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أقلت قال يا قوم اني يرى محمد اشركون اني وجهت وجهي
لذي فطر السموات والارض - نيقا وما انا من المشركين وحاجه قوم قال أتعابدون في الله

وقد هدان يعني الى الاسلام ولا تخاف ما نشر كون به الا ان يشامر في شأ وسع ربي كل شيء على
 اذ لا تقذرون قالوا يا ابراهيم اماننا نحن ان تصيبك بسوء ان انت سبيتها وعيبتها قال
 وكيف أخاف ما أشرككم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطانا فأي القرابين
 أحق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع أصناما يعبدها قومه ثم يعطي ابراهيم بيعها
 فيكسرهما ويذهب بها الى غيرهم فيصبا فيه على رؤسها ويقول لها اشربي استشريها واظهرا
 لقومه فساد ما هم عليه فتشا ذلك عندهم من غير ان يبلغ ذلك غرود فاول ما بدأ قومه ان ينظر
 نظره في الصوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى أصنامهم فظنوا انه مسطعون وكانوا
 يفرون من الطاعون اذ اسمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فدخل عليها وهم قد
 وضعوا لها طعاما وشربا فقال الانا كلون ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها
 وقطع ايديها وأرجلها حتى جعلها جذاذا وأراق طعامها وشربها وعهد الى الناس فقلعه
 بيد الهمم العظيم ثم خرج عنها وتركها فلما رجع قومه من بيدهم دخلوا بيت أصنامهم فلما
 رأوا ما صنع به ابراهيم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هذا يا آلهتنا انه لمن الظالمين فقال
 بعضهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبهم او يستهزئ بها فقال غرود فأتوا به على
 آهين الناس لعلهم يشهدون فلما أتى ابراهيم صلى الله عليه وسلم قالوا أنت فعلت هذا يا آلهتنا
 يا ابراهيم قال بل فعله مبهم هذا افاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا
 انكم أنتم الظالمون قالوا اننا قد ظلمناه بما نسبنا اليه ثم قالوا وقد عرفنا انهم لا ينصرون ولا تنفع
 لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أقتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم
 ولما تعبدون من دون الله أف لا تعقلون فقال له غرود حين سمع ذلك منه صف لنا الهك الذي
 تعبد وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال غرود وانا حي وأميت قال
 كيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فاقول قد آمنه
 واعفوه عن الآخر فأكون قدأحييته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت برزحك
 وأخرج روحا من جسدي من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت
 بها من المغرب فبهت عند ذلك غرود ولم يرد الى ابراهيم شيئا وأمر به الى السجن فلبث فيه سبع
 سنين وجعل يدعو أهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ناهى أمره وقتلوا تبعه
 قوم كثير على دمه فلما ارادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع أمرهم على ذلك بنوا حيزا طول
 جدا هستون ذراعا ووضعوه الى سفع جبل منيف لابرهم ولا يرقا ولبطوا الجسد ارقلا يعني
 فيه أحد الا لزلزله عنه وأذن مؤذن غرود أيها الناس احتطوا النار ابراهيم ولا يتخلفن عنها
 ذكروا لا أتني ولا حرو ولا عبيد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك أتني في تلك النار
 فمما وافي ذلك أربعين ليلة حتى ان المرأة منهم تنفذ ذلك على نفسها لث رجع غائبا وأفاق
 عليها حتى اذا اكمل ذلك قد فوافيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافة البعيدة فلما
 بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المانجنيق قال وهب بن منبه بلغني ان السماء والارض والبحار
 وما فيها ضجوا الى الله تعالى ضجة واحدة قالوا يا ربنا ليس في أرضك أحد بعدك غيره فاذن لنا
 في نصرته فأنوح الله تعالى اليهم ان استغاث بشئ منكم فانصروه وأغيثوه وان دعاني فانا

وليه وناصره فلما وضعوه في كفة الميزان وقذفوه قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايمانك بديك وعداوتهم فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فاحسب الله تعالى الى النار ان كوني بردا وسلاما على ابراهيم فاطاعت النار بها ولولم يقل سلاما لمات من شدة البرد ولبت ابراهيم في النار سبعة ايام وظن قومه انه قد احترق ثم قال غروذا وانظروا ماذا فعل ابراهيم فاني رايت اللبلة في نومي ان جدار هذا الحبر قد تمدم وخرج ابراهيم عشي قال وذاب النحاس الذي سديه باب الحبر واحرق الجدار فصار رمادا فاذا لمعوا على ابراهيم فرأوه جميعا سليما وخرج الى الناس يتطرون اليه على تلك الحال فلما رآهم خرج عشي حتى قد عاد الى أمه وهي في الجمع وأقبلت سافة وكانت أول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم اني آمنت بالذي جعل النار بردا وسلاما قالت لها أم ابراهيم احذري القتل على نفسك فقالت اليك عني فاني لا أخاف شيئا وقد آمنت بالله ابراهيم وحول ابراهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم يأتون ليجددوا العهد ابا فارس الله تعالى ربنا عاصف انفت رماد تلك النار في وجودهم وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومد كرايه وقال بحمد وقادة وغيرهما ان نبى الله سليمان بن داود عليهم ما السلام انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له صضر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الخلايا فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالقاه في البحر فالتقته سمكة ونزع ملك سليمان منه وأتى على الشيطان شبه سليمان فجاء فجلس على كرسيه وساط على جميع ملك سليمان غمرا انه جعل يقتضى بين الناس والناس يشكرون قضايه حتى قالوا لقد قن نبى الله سليمان وكث على ذلك اربعين يوما ثم أقبل في حالته تلك وهو جافع نافع حتى انتهى الى صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له يا سليمان فقام اليه بهضم فمضربه بهما فشنج وجهه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم أعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم وتفن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم الى شاطئ البحر فشق بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه في بطن أحدهما فاخذه فلبسه فرد الله عليه بهما وملكه وجاءت الطير فقامت عليه فمعرفة القوم انه سليمان فجاءوا يعبدون اليه (وروى) وهب بن منبه ان الله تعالى وهب لابراهيم الحق فلما كان ابن سبع سنين أوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يذبحه وان يجعله قربانا فكنتم ابراهيم ذلك عن امه وجميع الناس وأسره الى خليل له يقال له العازر وكان أول من آمن به من قومه يوم أحرق فقال له ان الله سبحانه رفع اسمك في الملا الاعلى على جميع أهل البلاء حتى كنت أوفهم بيلة ليرفعك الله بقدر ذلك في المنازل والقضائل وقد علمت أن الله تعالى لم يبتلك بملك ليعتلك ولا يهلكك فلا بد وأن باقك ظنك وأعوز بالله ان يكون ذلك حقما في هلى الله تعالى أو خطا بحكمه الذى حكم على عباده ولكن هذا حسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فكن عندا حسن علمك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واسند له رأيه وبصيرته وانطق باسمه فلما بعد الجبل ومعه السكين والجبل وأداة القربان فقال له اسحق يا ابت أرى معك أداة القربان ولا أرى قربانا قال ابراهيم يا ابتي القربان بين ربك وبصر اليه وان شأه رحم أباك فلم يطق اسحق فلما وافى رأس الجبل قال ابراهيم يا ابتي ان الله تعالى أمرني ان اذبحك وأجعلنك

قربانا برئناك اليه ويتقبل فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر فقال له والده له دبعفت يا بني
 يا صر ما جمع به والدوله وانى لارى من سرورك بذلك وشكر لك ربك امر الرجوبه العافسة
 والقرج فقال يا ابت لم يكن شئ من الدنيا احب الى من البرك وبابى وقد حرمته وبى فاذا
 اردت ذبحى فاشدد وثاقى فانى اخاف حين يفارقنى عقلى واجدالم الحديدان ينصرك منى عضو
 فيؤذيك وأنا كره أن أختم بذلك على فاذا فرغت من امرى فاقرئ أى السلام وقل لها
 لا تجزى فقد أكرم الله لك ابك فى جناحه فلما فرغ من وصيته عمدا ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه
 فمصبه بعمامته ما بين منكبيه الى الكعبيين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كي لا تدركه
 رحمة اذ هو تشط فادخل يده من تحت حلقه فلما أراد ان يحزن قلب السكين فاوجس ابراهيم
 فى نفسه ثم عاد الثانية فلما أراد ان يحزن قلب السكين ونوى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أنا
 كذلك تجزى الحسين ان هذا هو البلاء المدين وقد يناله ذبح عظيم هذا فداءه بئك قد فداءه
 الله لك به فنظر ابراهيم خلفه فابكش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجهه ابراهيم الى
 القبلة وقاتبه يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضعا قربانا فرقه الله اليه
 وتقبله (قال أبو هريرة) ولما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحربة جزع جزعا
 شديدا وجعل يبكي الليل والنهار على أبويه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فاحيا اليه من
 اللبالي يدعوره تعالى وكان من دعائه ان قال يا رب اخرجنى من أحب البلاد الى و فرقت
 بينى وبين اخوتي وأبوى ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث أحسب
 ومن حيث لا أحسب وحبيب الى البلاد الى انا فيها وحبيها الى كل من يدخلها وحبينى
 الى أهلها وحبيهم الى ولا تفتنى حتى تجمع بينى وبين أبوى واخوتى فى بصر منك وقعة وسرور
 تجمع لنا به خيرا الدنيا والآخرة اللهم مع الدعاء فان يوسف فى نومه قبيل له ان الله تعالى قد
 استجاب لك دعائك وأعطاك منك وورثك هذه البلاد وسلطانا وجمع اليك أبوىك واخوتك
 وأهل بيتك فطبت نفسا واعلم ان الله تعالى ان يخلف وعده وبدعا يوسف صارت مصر محبوبة
 بهم من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكننا بى قبله ولما جمع الله عمله وتكاملت
 النعمة عليه اشتاق الى لقائه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلتنى من تاويل الاحاديث
 فاطر السموات والارض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ولما روجه
 سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل الصحون ويقسم الاموال ضيق على
 يزيد بن أبي مسلم فلما لى يزيد بن عبد الملك الخلافة لى يزيد بن أبي مسلم افرىقة فاستغنى محمد بن
 يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم فأتى به فى شهر رمضان عند المغرب وفى يد ابن أبي مسلم عنقه وعصب
 فقال له يزيد حين دنا منه محمد قال نعم قال اما والله لما سالت الله تعالى ان يعكفنى منك بغير
 عهد ولا عقد فقال محمد وانا والله فلما سالت الله ان يجيرنى منك ويعذنى فقال يزيد
 فواقه ما أبارك ولا عاذك وان ساقبى ملك الموت الى قبض روحك اسبقته والله لا كانت هذه
 الحبة حتى أقتل فاقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم ليعلى وكان أهل افرىقة قد
 اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله وقبل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت
 ففسحان من قتل الامير وأحيا الاسير سنة الله التى قد خلقت فى عباده طواع الحياة من شتار

الموت وحضور الموت من معدن الحياة (وبروى) ان سلطان مقلبة أرق ذات اليه ومنع النوم
فارس إلى قائد البحر وقال انفذ الآن مراكبا إلى أفريقية بأقوي باخبارها فعمرو القائد المراكب
وأرسله لحينه فلما أصبحوا إذا بالمراكب في موضعه لم يبرح فقال له الملك أليس قد فعلت ما أمرتك
به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت المراكب فراجع بعد ساعة وسجدت لك فدم المراكب بخامومه
رجل فقال الملك ما صنعتك ان تذهب حيث أمرتك قال ذهب بالمراكب فينا أنا في جوف الليل
والبحارون يقذفون إذا ناب صوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكرههم ارا فلما استقر
صوته في اسماعنا نادى بنا مرارا يا بليك يا بليك وهو ينادى يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه
يا بليك يا بليك وقد فطنا المراكب نحو الصوت فالتفتنا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة
فأخذنا من البحر وبالناس حاله فقال كما قلنا من أفريقية ففرقت فبقينا نسا من سدا أيام
وما زلت أسبح حتى وجدت الموت فلم أشعر إلا بالفتنة من ناخيتكم فسبحان من أسهر سلطانا
وأرق جبارا في قصره لغريق في البحر حتى استخرج من تلك الظلمات ظلة الليل وظلة البحر وظلة
الوحشة لا اله الا أنت سبحانك (وأخبرني) رجل كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت
بمقلبة أيام فتن العدو فزحف البناي البحر من قنوب نلتنا ضفينة وأرست في الساحل
فرأينا أمرامهولا وفيما الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلما الناس إليه واستمعوا وحوله
يتحركون به ويقطرون الفرج على يديه قال فنظر إلى السماء حينما وجد وعثر خسديه بالارض
بقلمهم ما عينا وشمالا قال فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مرقها كل عرق فلم يجمع منها اثنان
(وأخبرني) أبو القاسم بن فائق رحمه الله قال كنت في طريق الجبل فقطعت الناس في سفارة برك
ففقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب الجبل فجعل يديه بالذنان يرفع الاعنان فجاء رجل كان
موسوما بالصالح عليه مقطعة فيحمل وكوة معه شيء من دقيق فقتلته في الى الجبل لبيعه الماء
بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الارض ونزع عليه الدقيق
ثم رمى السماء وقال الهى اناعيدك وهذا دقيقك ولا أملاك غيره وقد أبى ان يقبله ثم ضرب يديه
في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى أشرب فوالله ما نزلت حتى نشأ السحاب فامطر العين
فنشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه
له لو أنهم على الله لآبره (وأخبرني) شيخ مسن عن كان يحجب العلماء بالقبر وان يقال له حرير قال
أخبرني عبد الكافي الديباجي قال رأيت بالقبر وان آية عظيمة بذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد
أسكت فلا يتكلم فدخل به الى القنينة أي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا قد أسكن منذ
أيام فلا يتكلم فادع الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق
الصبي فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم
التفت الى الرجل وقال اكنها على الى الموت ثم التفت الى جاريته فقال اكني على هذا الى
الموت وأنت حرة فلما كان يوم توفي الشيخ أبو بكر واجتمع الناس لجنائزه وتكاثر الامم قام
الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال يا أهل القبر وان اسمعوا فاسمع مع هذا الشيخ وذكر
الحديث كما سقناه (وحدثني) هذا الشيخ قال نزل عندنا بالقبر وان قصة لم يسمع في المساء من مثلها
وذلك ان بعض الجزاير اصبغ كبا اليد بجه فخصب بين يديه فالتفت منه وذهب فقام الجزاير يطلبه

وجعل يمشي الى أن دخل خربة فاذا فيها رجل مذبح يتصبأ في دمه فقزع وخرج هارباً واذا
 صاحب الشرطة والرجالة عندهم خبر القتل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا يده
 السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالظربة فقبضوه وجاءوه الى السلطان فقال له أنت قتلت
 الرجل قال نعم قال فماذا الواجب من طقونه وهو يعرف اعترافاً لا اشكال فيه فأمر به السلطان
 بقتل فخرج للقتل واجتمع الامم ليصبروا قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتعيين
 اذ قال لهم لا تقتلوه انا قاتل القاتل فقبض رجل الى السلطان فاعترف وقال انا قتله فقال له
 السلطان قد كنت معاً في من هذا فاحك على الاعتراف قال رأيت هذا الرجل يقتل ظلاماً فكرهت
 ان اتقي الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قال للرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى
 الاعتراف بالقتل وأنت ترى قال الرجل فما جعلني رجل مقتول بالظربة وأخذوني وأنا خارج
 من الخربة يدي السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من قبلي وان اعترفت من بعدني فغلي
 سبيله وانصرف مكرماً (ولما ورنخر الملك) نظام الدين سنجار الملك وكان لصغر الملك ابن عم يقال
 لشهاب الملك وكان يخاف منه على منزلته فقال له لك سنجار لا حياة في معك الآن ان يقتل ابن عمي
 شهاب الملك فاني سنجار قال ايراجعه الى ان أمر به فقبس في بلديقال لها يبق وكان والي ذلك
 البلد يكرمه بجلالته وجماله أهل بيته واخل به داراً في القلعة مشرفة ثم جعل نحر الملك يقصد
 قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجار والي واليه بقتل شهاب الملك
 فاستعظم الوالي قتله وأخره أياماً ثم لم يجد بدا من قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينما شهاب الملك
 يطالع من طاقات الله اراد ان يارس ركض فاجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد ان يقتلني
 فوصل القارس وقال مات نحر الملك فلي سبيل شهاب الملك ثم ورن سنجار فسيحان الفعل لما
 يريد (أخبرني) أبو الفضل المعبر بمصر قال كان بمصر ملوك في جندان وكان الرئيس فاصر الدولة
 وكان يشكوا جميع القوايج فأعيا الاطباء ولم يجدوا شفاة ثم ان السلطان دس على قتله فارصد له
 رجل معه خنجر فلما جاءه في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة
 في أسفل خصره فأصاب طرف الخنجر المعى الذي هو القوايج فخرج ما فيه من الخلط ثم عافاه
 الله تعالى فصم وري كالحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو بساحل
 مدينة برقا فأخذوا قوماً من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم وشدة كانه
 من خلفه فلما هموا السفينة عد اليه بعض الاعلاج فرفسه وألقاه في البحر ثم طعنه برمح كان
 معه فلم يخطئ نصل الرمح حبل الكفاف فقطعه والمخمسيد الرجل فسمع حتى لحق بالساحل سليماً
 ووصل الى الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلاً خبازاً يبيعها في
 تنورة بدينه دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالظفر الحار
 فلما فرغ مضط مضط عليه فنظر واذا هو ميت فجعلوا يتر بصون به ويحملون له الاطباء فيلبسون
 دلالته ومراض الحياة منه فقتلوا به ميت ففصل وكفن وحمل الى الجبانة فينصرونهم خارجون به
 من باب المدينة استقبلهم رجل طيب يقال له البيرودي وكان طيباً ما هرا حاذقاً بالطلب فجمع
 الناس اليه يسبون بقصته فقال لهم حظوه حتى أراه قال فخطوه وجعل يقلبه ويتطرق في أمارات
 الحياة التي يعرفها ثم فتح فموسقه شيئاً وقال حقته فاندفع ما هناك بسيل واذا الرجل قد فتح

عنيته وتكلم وعاد كما كان الى دكاية (وكان رجل) يمشى يغدا في هاهو في الطريق اذا برقد
وقعت عليه فخرت كالجليل العظيم واذا في الحائط طاقه فها خطأت رأسه فصار الدار كوما
وخرج الرجل من الطاعة سليما (وحديثي) أنو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض
الصليحي فوثني بي الى السلطان فأمر بقتلي فاخرجت وقد كنت في السيف ثم قال
لي مد رقبتي فنددت عنني لقضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اشمة فقلت ذلك يا هذا فيمن نحن
كذلك اذا باصائح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلي (وجرت بئر طبة قصة غريبة)
في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنبسي شهد عليه بالزندقة
فحبسه المنصور مدة مع جماعة من الاديان من وجوه طربة ممن موقوفون بالانهمال والزندقة وكان
يسأى عليهم في كل جمعة يوقفون اثر صلاة الجمعة يباب الجامع الاعظم من كانت عنده شهادتهم
فليؤدوها فثبت على قاسم عند القاضى بسجل شهادات الشهود بانواع منكرة تتضمن الزندقة
والكفر فظفروا الى القصر وعقدوا وجلسا اعطيا واستشير النشأة فيه فاجابوا قتلوه فاستحضر
قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم وبسوا ثياب الحداد وحمل أبوه معه
نفسا وجالين وجعل أبوه والصبيان يبكون على باب القصر واحدا ضرب عنقه سيف يعرف
بابن الهندى ودفع اليه اسيف من القصر فجعل يروحها ويس شقارها وأبوه وابناه
ينظران وحضر النقيب أبو عمر والمكودي الاشيلي على كره منه وكان باقي الحضور فاستقنوه
فقال ياهؤلاء ان الدماء لا تفسد الا بالحق الواضح دون النسبة احسبوا ان السنبسي فروجا
عنا انما نجونه فقال القاضي ابن الشرف بما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال النقيب وأقربني
عليه فاخذ السجل ونظر فيه فقال أخبرني عن قتله من هؤلاء الشهود قال بهم ذاك وهذا حتى
عد خمسة قال النقيب فيجدهم يقتله قال نعم قال فلونهم فمعهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا
انما أقوى بعضهم بعضا وزكى أكثرهم عندي فالتفت النقيب الى القضاة المشاورين فقال ياهؤلاء
بالدعائم يقتل المسجون عندهم وبسببكم دماؤهم فليست أرى قتله ولا اسير به فرجع القضاة الى
قوله ولم يروا عليه شيئا بعدما اقوا بقتله منذ ستة أشهر فانهض الجمع رشيم السيف وطار البشير
الى ابن أبي عامر فأخبره بالجلس فقال ابن أبي عامر مضى يقتلون ابن السنبسي فدفعتم القاضي
قد ايجتهدنا الدين ولا قائل لموجل فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان النقيب يقول للقاضي في
مثل هذا قال القائل اذا سئل لم عرف الله قال بنقته عزائي ومعنى الدعائم على لسان النقيب
هم الشهود الذين لو اقر منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبل فيه فاذا كثروا قوى بعضهم بعضا
فلا يثبت الحكم بهم (وفي نقيض هذا ما حدثني القاضي) أبو عمران الداني بطرطوشة وقد دلى
قضاة هاهنا كرايو ما قال نزلت قافلة بقرية بقرية من أعمال دانية فادوا الى دار شراب هناك
ليستكنوا من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسوا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط
ماثل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة ياهؤلاء لا تقعوا تحت هذا الحائط
ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الادخلوها وبات الرجل منبذ خارجا عنهم لم يقرب ذلك
المكان ثم أصبحوا في عافية وجلاودا وبهم فيمهاهم كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليستوقد
سقية الدار فخر عليه الحائط فمات مكانه (وبلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا من الجيوش كان

بصقلية ناهضاً من مكان الى مكان ففعدوا ساعة ليهض شأنتهم فاذا اعقرب يدب فضره بهض
الاجناد بمقرعه كانت معه ثم رنح المقرعة الى قعر عنقه فاذا بالاعقرب قد تشبث باهداب المقرعة
وهو لا يشرف لدغته في عنقه ففقدى مكانه (واخبرني القاضي) أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال
كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين بغدادياً من الحديث في حانوت رجل
يسمى العطار فإذ رجل طوافاً بطبق يحمله في يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى أشباه
سماها من العطار فاشدّها في طبقه ومشي ففقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكي
الطواف وجزع حتى رجناه فقال أبو حنيفة صاحب الحانوت اهلا بك تجبره بعض هذه الاسباب
قال نعم فنزل وجمع ما يتجمع منها وجعله مائة وراعى الشيخ على الطواف بصبره ويقول له
لا تجزع فامر الدنيا أيمن من ذلك فقال الطواف أظن أيها الشيخ ان جوعى لضباع ماضع لاند
علم الله تعالى متى كنت في القافلة القلانية فضاع لي هيمان فبسه أربعة مائة دينار أو أربعة
آلاف دينار الشك من أبي ذر وبعها ففوض قيمتها مثل ذلك فاجزعت اضباعها ولكن ولدي
في هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النساء ولم يكن عندي غير هذه
العشرة دراهم فاشتقت ان أشتري بها حوائج النساء فابقى بغير رأس مال ولا قدر على
التكسب فقلت اشتري بها شيئاً وأطوف صدرهم ارى فعسى استفضل شيئاً أسد به رمي
وبقي رأس المال انصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضباعي جوعت فقلت لا عندي مال أرجع
به اليهم ولا ما أكسب به وتمت أنه لم يبق لي الا القرا منهم وتركتهم على هذه الحال
يهلكون بعدى فهذا الذي أوجب جوعى قال الشيخ أبو ذر وكان رجل من الجند جالساً
على باب دار يسمي متوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص أنا أوجب اذا تمتم أمره أن تدخل
معه عندي وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيئاً فقال قد خلنا عليه فاذن لنا فدخل الجندى للطواف
بجبت من جوعته فأعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان به من
نظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامة الهيمان وفي أى موضع
سقط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندى لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فخرج
الجندى هيماناً ووضعه بين يديه فقال هذا هيمانى وعلامة صحة قولى ان فيه من الاحجار
ما صفتك كذا وكذا ففتح الهيمان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك يا ولله
لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير أو أكثر فخذ انت الدنانير فنفسى طيبة
بذلك فقال الجندى لا آخذ على أمانتي شيئاً فدخل الطواف وهو من الفقر اخرج وهو من
الاغنياء فبكي الجندى بكاء شديداً واتحب فقال له أبو حنيفة علام تبكي وقد أدى الله أمانتك
وقد بذل لك ما لا كثير وان شئت عرضنا عليه ان يعيده عليك فقال ما أبكي لذلك وانما أبكي لاني
ألم انه قد حان أجلى فانه ما كان يبقى أمل أو مله ولا أمانة آتمهاها الا ان يأتيني الله بصاحب هذا
المال فأخذه فلما قضى الله تعالى ذلك بقضاه ولم يبق لي أمل عات اند قد حان أجلى قال الشيخ
أبو ذر فإنا انقضى شهر حتى توفي وصدنا عليه (قال القاضي) وحدثني أبو القاسم بن الحسين
بالموصل قال لقد جرت ههنا في هذا المسجد وهذه الدار والحانوت وأشار اليها قصة عجبية كان
يسكن هذه الدار رجل من التجار عن يسافر الى الكوفة في تجارة الخبز فينما هو يحمل الخبز في
خرجه على حماله وهو جميع ما له نزل القافلة بأراد انزاله عن الحمالة فقل عليه فامر انساناً

هناك فأعانه على انزاله ثم جنس بياكل فاستدعى ذلك الرجل لياكل معه فاجابوا كل معه ثم
سأله عن أمره فاخبره انه رجل خرج من الكوفة لأمراؤه دوننا فقال له الرجل تكون
معي وتعينني على سفرى ويكون طعامك عندى فقال الرجل انى ربيص على خدمتك وبحاج
الى طعامك فادعه في طريقه فخدمه على أحسن حال قال فوصلا تكريت فغزلت الرفقة
خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للتادم احفظوا رحلتا حتى ادخل
واشتري حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فابطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه
فطن انه لما رحلت الرفقة رحل معهما فلم يزل يسي حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن
صاحبه فقالوا ما جابا معنا ولا رأينا له ولكنه ارتحل الاسباب على الحمار ودخل على أثره وظننا انه
أمرته بذلك ففكر الرجل راجعا الى تكريت ورأى معه فلم يجد له أثرا ولا مع له خبرا فمضى
منه وادى الى الموصل وسلوب المال فوافاهم راجعا ثم راجعا عاريا بافتقارهم وادى فاستجابا أن يدخل
نهارا فثبت العبد وبيعتن الصديق فبقى حتى أمسى ثم دخل في قباب الدار فقبل من هذا فقال
فلان بمنى نفسه فظاهر واسرور اعظم وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك في هذا الوقت
على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة والفاقة حملت جميع ما كنت دطال وسفرنا واحتاج أهلنا
وتدولت اليوم ولدا وواقعه ما وجدنا ما تشتري به شيئا للنفس ولقد كانت هذه الليلة طارئة
على حالها فتفصيل لما في دقيق ودهن نسرج به فلا سراج عندنا فزاد ذلك غما وكروا ان يحبرهم
بجالة فيعزهم ثم أخذوا غسل وغفوه وقد أغلى دكانه واطفأه باجابه وناقناده فاجابه وعرفه وشكر
الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت اقدح زنادا ازلناك الدراهم في دقيق وزيت
وعسل احببت اليه الساعة ذكر ان يحبره بئنا خبر القم في تمنع منه فتدح البياع الزناد واستصبح
فقال التاجر زنى من الدقيق كذ ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن العن كذا ومن
اللمح كذا وبيضا هو كذا اذا كانت منه التفاتة الى قهر الحانوت فرأى فيه حرجه انى هرب به
صاحبه فلم يملك ان وثب عليه ولزمه ولاقى يدها أطواق صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه
وقال يا عبد الله أين مالى فقال له صاحب الحانوت مالك يا فلان فواقعه ما علمت ثم ديا ولا علمتني
جئت عليك ولا على سواك فها هذا قال خرجى فزنى به خادم خدمتى بجميع مالى وبجسمارى قال
مالى علم غبارك رجلا وادى على بعد العشاء واشترى منى عشاءا وسنفاقى فأعنت وبهت هذا
الخرج فى حانوت وهذا الحمار دار جارا والرجل فى المسجد بائث فقال له اجل معى الخرج
واهمض الى الرجل فرفع الخرج معه وألقاه على عاتقه ومشى معه الى المسجد فاذا الرجل قائم
فى المسجد فركمه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالك فقال له أين مالى يا خائن قال هو ذا على
عنقك والله تغاد رمته ذرة قال فأين الحمار قال هو عند هذا الباقى معك فتمض الى دار
فوجد متاعه سليمان ستخرج الحمار من الموضع الذى كان فيه ووسع على أهله وأخبرهم بقصته
فزادوا له فراحوا تبركوا بذلك المولود وداووا فى موسى عليه السلام هم وشعب عليه السلام
الاجل الذى أجلاه رعى غنم شعب التى رعاها موسى هروا عن مهر اجته خدم موسى عليه
السلام زوجته وكررا جماس مدين فلما وافى الوادى المقدس عند جانب الدوار بنهم الليل

بظلمته فامسوا باثنين فيمنعاهم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وايس عندهم
ما يحتاج اليه النساء من الغذاء والدواء وما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة
من الحيلة فخرج موسى عليه السلام يلتفت ويغتر عينا وشده عسى خرج لما امسوا به من
الضرر اذ رأى نارا فقال لاهله امكنوا الى آتت نار العلي آتكم منها يقبض أو أجد على النار
هدى فلما أتاها أضى ما يكون ذرعا وأحرجه قلبا وآيسه عن رفيق نودي من شاطئ الوادي
الايمان يا موسى اني انا ربك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لاهله ورجاه فضله وتكلم
بالهدى والبشرى يفتح الله قبه أهله ويعطيه فوق ما سأل هدا موسى عليه السلام خرج
يقبض نارا نودي بالنبوة وعن هذا قال عمار وأبليس في خصال الخير وان جات ولا في انواع
الاعمال وان عظمت أعلى من حسن الطن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

ايها العبد كن لما سرتجو • من نجاح أرجى لما أنت راج
ان موسى مضى ليقبض نارا • من ضياء رأه والليل داج
فأتى أهله وقد تكلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد ددت منه راحة الانفراج

(وروي) ان العبد تزل بساحة افرقية في عدد كثير من المراكب فنفى مأوهم وعطشوا فنفق
المسلمون لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فنفقوهم الثرول لاستقاء الماء وارسالوا
الى المسلمين ان يحلوهم واستقاء الماء فوافوا فضعف عطشهم حتى أشرفوا على الهلاك ففقصوا
أاجلهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يك بأوشك من السماء
أن التفت باروا فها هم أرحم ماء كثيرا فبسط القوم انطاعهم وجفاهم وآلتهم فشربو او ملوا
أو انهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار واعداء الله ورسوله قد آخضوا الى ربهم
وأبوا اليه وسألوه ماء فيجيبون به رمقهم فأتاهم فحق أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه
وأولى بالاجابة منهم ثم جد المسلمون في الدعاء والصلاة والابتهال الى الله تعالى في أن يرهم آية
يقوى بها قلوب الضعفاء ويرادشكر أهل المعرفة والاولياء فيمنعاهم كذلك اذ أرسل الله
عليهم ريحا فبددتهم وحرقتهم كل محرق وكسرت مراكبهم ولم يجمع منهم اثنا • ومن عجائب صنع
الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار قبر الخليل صلى الله عليه
وسلم وأكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجها بكل
حيلة فاجتزته حتى تركته مضى ثم رجع الى بلاده فيمنعاهم وجالس اذ عطس فطارت العدسة في
الارض فاذا طارت ردت النقطها لوقتها وبرئ الرجل فسمجنا من جعل أنف هذا الرجل حرزا
لقوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة • وأما ما ظلمه سميت بالرجل من يلدى الى المشرق
في طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة ارجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان
ذهبت فنفقتي ماذا أفعل وكان أقوى الآمال في نفسي ان أحفظ البساتين بالاجرة وأدرس العلم
بالليل ثم استغرت الله تعالى فرحات وكانت معي نفقة وافرة في هيمان على وسطى وكنت أسمع
المسافرين يقولون من نام بالليل في الضياء وله نفقة على وسطه فليكلها فان اللصوص اذا كبرت
انطلق يتدرون أو ساطهم فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهي اذذ الحروب للروم

فسرى بالبيان واصبحنا على باب انطاكية فأخذتني عيني وحالت الهمان ونمت ولم أستيقظ الا ضحوة النهار فاستيقظت ومددت يدي الى الوميان فلم أجده فجلت أنظر الى القافلة والتفت الى الناس وقد أسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ورفعت أمري الى الله سبحانه واذارجل من أهل القافلة ملتحقا الي فوق وجهي في وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بي فقال مالك أيها النقيب قلت خير فراجعني فقلت خير فسلم الي وقال خذ هيمانك عافاك الله فأنته كيف ظفر به فقال رأسك قد تدحرجت ذراعين أو ثلاثة والتفت فرأيت سوادا في الموضع الذي كنت فيه ثم أقسرت اليه وأخذته فاذا هو الهيمان رحمة الله عليه ورضوانه لديه

الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وبفروع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلته وهي الشجاعة وبعبورها بالصبر وبعبورها بقوة النفس

قالت الحكمة أصل الخبرات كلها في ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو النبوت والقوة على ما يوجب الهدى والعلم والحين غيرة بحجمها وسوا الظن بالله تعالى والشجاعة غيرة بحجمها حسن الظن بالله تعالى سئل الاسنخ عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل أبو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيف فراق ناقة وهو ما بين الحلبتين واعلم ان القادم لاقتال طريفة من طرائد الموت فاستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول رب حيا سيبها التعرض للوفاة ووقاة سيبها طلب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شقرة من شقار الموت والقاري يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا غرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبرا أكثر من قتل مقبلا وقالوا آخر الاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جنة يحب ان تلقى عدوك قال بادي بدار ولته واقفناه مده واعلم ان الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انتفضت المدة لم تكن كثرة العدد وقال علي رضي الله عنه اذا انتفضت المدة كانت الهلكة في الجبله واعلم ان كل كربة ترفع أو مكربة تكسب لا تقتضي الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا همت ان تغش شيأ من مالك خارطه بك ووهن قلبك وعجزت نفسك فشجعت به واذا حقت عزمك وقوت نفسك وقهرت ذلك العجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعته تكون طيبة النفس باخراجه أو كراهية النفس لاخراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل ههنا ما تارة ما قوة نفس لم تحقق وكانت مخدوعة وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والحين غرا يرضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده فالجلباب يضر عن امه رأيه والشجاع يقا تل عن لا يؤوب به الى رحله بقوة القلب يصاب امتثال الاوامر والانتها عن الزواجر وبقوة القلب يصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتخلف بالذائل قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه • ما أحسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر المجلس على اداء المجلس وجفا صاحب وبقوة القلب يكتم الامرار ويدفع العار وبقوة القلب يتقهم الامور الصعاب وبقوة القلب يعمل اتقال المستكبر وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة وروية وأوجها الحزم والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالاضغاث والاحقاد

كما قال أبو ذرنا لنكسر في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلهتهم وقال علي رضي الله عنه إن الناصح
 أضعف نزي قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس أن يكون مصرافي المهال بلوجا
 في الباطل ولأن تكون جلدًا عند الضرب صبورًا على التعب مصممًا على التعزير والتمور
 فإن هذه صفة الجبر والخنازير ولكن أن تكون صبورًا على أداء الحقوق عليك صبورًا على
 سماعها والقائمًا اليك غالبًا والخالعًا لك الشهوواتك ملتزمًا للفضائل يجهدك عاملًا في ذلك على
 الحقيقة التي لا يجهل عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذي أشار به العلم
 وأوجب به العدل خيرا من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل كما قال علي بن الحسين رضوان
 الله عليهما يا بني وما لي أياي أؤكل لو أن الخلق خالفوه إذا كان على الحق وهل الخير كله للمعوق إلا بهد
 الموت ومن هذا قالت حكماؤه هذا الم يكن للملك من نفسه عين كان في جميع أموره ضيفا
 محذولا واعلم أن الجبن مقتله والحرص محرمه والمجذول والجبن ضف والجبان يعين على
 نفسه بفرع أمه وأبيه وصاحبه وبخيه واعلم أن كل كريمة ما بين الخبيتين من الشجاع يحمي
 عن لا يناسبه وبني مال الجار والرفيق يهجنه والجبان يخاف ما لا يحس به والجبان خفته من
 فرقه واعلم أن الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه رجل إذا التقى الجمعان وزاحف الزحفان
 واكتمت الاحداق بالاحداق برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من
 مبارز والثاني إذا انضم القوم واختلطوا ولم يدرك أحد من أين يأتيه الموت يكون رابط الجاش
 ساكن القلب حاضر القلب لم يخامر الدهش ولا خلطته الحيرة فينقلب قلب المالك لأمره
 القائم على نفسه والثالث إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول
 بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجي ضعفهم ويذهبهم بالكلام الجليل ويشجع
 نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كرم فرسه كشف عنه حتى يئس العدو منهم
 وهذا أحدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء القادحين كلسه تقفر من وراء الغافلين ومن
 أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهما أحدهما لا يجهل عليه
 والثاني لا يغفل عنه في الجبان والقرارة وكان شيوخ الجند يصحكون في بلادنا قالوا دارت حرب
 بين المسلمين والكفار ثم افرقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته
 من الرأس فيقال أنه لم يرقط ضربة أقوى منها وكان شيوخ الجند في المناظر طوشة يصحكون أنهم
 خرجوا في أيام سيف الله في سرية إلى بلاد العدو فبقواهم يسعون إذ لقيتهم سرية للروم يريدون
 منامان يد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد القربان وفيهم صناديد الروم
 فتواقتنا ساعة ثم شدنا وشدوا فالتقتنا وتجالدنا ساعة ثم مختنا الله تعالى أكتافهم فجعلناهم
 حصيدا كأنهم جزر على الأوصام وكان هناك قريتهم قرية قهاشي من الخمر فشر بناء وسكرنا
 ثم اشتبهنا شرنا ثم ألهمهم فقمنا قطع من لحومهم ونجعل على النار وأكلنا منها ففرغ من
 كأأسرنا منهم وبلغ الحديث إلى الروم فتقت النصارى تعجبا منا وقذف الرعب في قلوبهم
 (وروي) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معدى كرب فقال له يا عمرو رأيت السلاح
 أفضل في الحرب فقال عن أيها أسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما
 تقول في الرمح قال أسوأ ورعما خلت قال فما تقول في السيف قال ذاك الذي لا أملك قال فما

تقول في القوس قال هو الدائرة وعلية تدور الدوائر وكان عمر وهذا من شأن العرب ابطالها
 نزل يوم القادسية على الهر فقال لاصحابه اني عابر على الجسر فان اسرعتي تتدار جزا لمزور
 وجد دعوني وسيفي بيدي اقاتل به تلقاه وحشي وقد عقرني القوم وانا قائم بهم وان ابطأتم
 وجد دعوني قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم ابعري يا بني زيد على ما تدعون
 صاحبكم واقه ما أرى ان تدركوه حيا فماتوا فانتوا اياه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل
 فرس من رجل من الجهم فامسكها وان القاروس ليضرب فرسه فحياقه والقوس ان يتركها فلما
 غشيناها رمى الرجل بنفسه وخذل فرسه فركبه عرو وقال انا أبو نور كدت والله تنقذوني قالوا أين
 فرسك قال رمى فشابا فغار وشب فصرعني (ويروي) ان عرا حمل يوم القادسية على رستم وهو
 الذي قدمه يزدجرد ملك القوس على قتال المسلمين فاستقل عرو وسقاه على فيل فتقطع عرقوبه
 فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيد أربعين ألفا قتل رستم اثم هزمت
 الجهم وروي ان قاتل رستم زعيم من فلان وأما الصرب التي حكى ماها التي ارتدت اليه
 عاشوته من الرأس فلم يسمع عنهما في جاهلية ولا اسلام فحماها الروم وعانتهم في كنيسة لهم
 وكانوا اذا عبروا بانهم زاهيه يقولون لقينا اقواما ههنا ضربهم فبرجل ابطال الروم اليها يروها
 وانما كانت العرب تنفخ في هذا الباب بقول الثورين ثوب يصف ضربة سيف

أبقى الحوادث والايام مرغ • آثار سيف قديم أثره يابى

تطل تحترعه ان شربت به • به الذراعين والتدين والهادى

ويشد قول النابغة في السيف أيضا

بقدر الساقى المضاف سجه • وبقدر الصقاح نار الجباب

وأين هذا من قدام الحديد بما حوا من الواس وأين القربان الثرى وأين الحسام من المنجل ولولا
 كراهة التطويل لذكرنا من أمثال هذا • فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب
 المنية والرح وشاء المنية والسهم رسل لانوا من أولسها والرح أخولها ورجعنا منك والدرع
 مشقة للراجل ومثقة للقارس واسم الحصن حصين والتمريج • علية تدور الدوائر

• (الباب الحادى، والستون ذكر الحروب وتديرها وحياها وأسلها •)

من حزم الملك أن لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يعذل عنه وان كان حيرا فاعلم من يرغوث
 اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوكم رماك • وان كان في ساعديك قصر

فان السيوف تحز الرقاب • وتجز عما تنال الاب

وفي الامثال لا تحقرن الذليل فربما شرف بالذات العزيز ومنزل العدو مثل النار ان تدارك
 أولها سهل اطفأوها وان تركت حتى استحكمت شراها صعب مراها وتضاعفت بليتها ومثله
 أيضا مثل الجرح الردى ان تدارك سهل برؤه وان أعلمته حتى تغل عظم بليته وأعيان
 الاطباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً وتبوا ما اترقيها فلا يسع أهل
 سائر الاقاليم حملها اذ لكل أمة من الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وشرب من
 المكيدة وجنس من اللقاعوا الكرو والقرو ونوعية المراكب وحمل بعضهم على بعض ولكن فصل

منه أشباه تجري مجرى المعاهد لا تكاد تختلف في انهاء أزمة الحروب رنبداً أو لا بمجد كره الله تعالى في القرآن . قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقولوا تعالى ما استطعتم يستعمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة والخيالة . وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة قهر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي . ~~وهو~~ ان بعض أصحابه اذا أراد الفوز لا يتقص أطفاره ويركها عدو يراها قوة فأول ذلك ان يقدم بين يدي القاصم لصالح من صدقة وصيام ورد مظلة وصله ورحم ودعاء مخلص وأمر معروف وتغيير منكر وأمثال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بذلك ويقول انما اتقاتلون بأعمالكم وروى ان بريداً ورد عليه بنق المسلمين فقال له عمر أي وقت لقتل العدو قال غدره قال ومضى انهم زمل حال عند الزوال فقال عمر ان الله والمه راجعون وقام الشر للايمن من غدره الى الزوال لقد أحدثتم عدى حدثاً وأحدثت بعدكم حدثاً والشان كل الشان في استعادة القواد وانتخاب الامم أو أصحاب الولاية فقد قالت حكيماء الهيم أسديتو دأف نعلب خير من نعلب بقودأف أسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صامم القلب جريز رابط الجاش صادق البأس عى قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسه . ونازل الاقران وقارع الابطال عارفاً بموضع القرص خبيراً بمواقع القلب والمخنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب شحنه بالجنات والابطال من ذلك بصيراً بصروف العدو ومواقع الفرقة منه ومواقع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه تار جميعهم كأنه مثله فان رأى لقراع الذئاب وجهها والارودة الغم للزريبة (واعلم) ان الحرب خدعة عفا جميع العقلاء وآخر ما يجب ركوبه قرع الذئاب وحمل الجيوش بعضها على بعض فلتنبأ بتصرف الحسنة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم التباد أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق المهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحمل الخنزير وروغان النعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن تغري وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء . وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والتاراً كل الحديد والماء يطنى التار والسحاب تحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يقضى الریح لحاجته والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهيم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهيم فأول ذلك ان يثبت جوابسه في عسكره قديس تعلم اخبارهم مع الساعات ويسمى رؤساءهم وقادتهم وذوى الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعدهم وعداجيلاً ويوجه اليهم بضرب الخدعة ويقوى اطماعهم في ان ينالوا ما عندهم من المهابت الفاعرة والولايات السنية وان رأى وجهاً عاجلاً بهم بالهدايا والتحف وسألهم اما الغدر بالصاحبه واما اعتزاله وقت اللقاء وينشئ على أسنهم كتاباً مداسة اليه ويبتها في عسكره . ويكتب على السهام اخباراً مزورة ويرى بها في جيوشهم ويضرب بينهم بما في اليسر ومن ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال والخيال واللقاء تنفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الخداع فيه

لا يحمي والحاضر فيها أبصر من الغائب ولله در المهمل لما كتب إليه احتجاج يستجبه في حرب
 الأزارقة رد الجواب فقال ان من البلاء ان يكون الراي عند من يملكه لا عند من يصره وقال
 المختار ليريد بن أنس حين ولاء اجزروا وأمر بقنال عبد الله بن زياد امس الى عدوك ليرى غير
 مستبد ويجزم غير متسكن ولا تترك الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لم يطمع في عمالك
 ولا تسر بقلبك واستخر الله تعالى قبل اقدامك فوقه وأوصت أم الدبال العبدية انها القتالك
 وهو من أشد العرب يا بني لا تنشر في حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان
 النفس أقوى شئ اذا وجدت سيد الحيلة وأضعف شئ ذابت منها وحمد الشدة ما كانت
 الحيلة مدبرة لها اذ لم يكن النصر من الله تعالى نابذاها راختلس من المحارب خلسة الدئب
 وطرمه طير ان القراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور وعدو الشدة وقال أبو السرايا وكان
 أحد القتلة لا يشبه يا بني كس بجملتك اوتق منك بشدة تدبج بذكرك اوتق منك شجاعتك فان
 الحرب حرب التهور ووخية الحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وابالاعلمها واذا
 أدن الله تعالى في حلول البلاء ثابته في الحيلة وقال الحكيم اذا نزل انقضاء مكان
 العطب في الحيلة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة العفلة عن سنة الحذر ويعلم
 الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بفساد مدته وقالوا سعاد الدول ونحوها متروكة
 بسعد الملك ونحوه وقولوا أجمي زنى على كل امرئ دولته فاذا انقضت بدت عورته وقالوا
 رب حيلة أهلكت الخنثى من الحزم المألوف عنده سواس الحروب ان تكون حيلة الرجال وكما
 الابطال في القلب فانه منه انكسر الجناحان فالعيون باظرة الى القلب فاذا كانت رايته تنطق
 وطبولة تضرب كانت حصنا للعباد حين يأوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب غرق الجناحان
 مثل ذلك الطائر اذا انكسر احدى جناحيه يرجع عوده ولو بعد حين وان سار الرأس ذهب
 الجناحان ولا تسمى كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع السارون الى القلب
 ويكون الظن لهم وقيل عسكر انكسر قلبه فان لم اترجع اللهم الا ان يكون مكيدة من
 صاحب الجيش فيخذل القلب فسددا وتعمدا ولا يعادربه كبير امر حتى اذا توسطه العذر
 اشتغل بههم وأطاعت عليه الجناحان ومن أعظم المكايدي الحرب الكما ولا يحمي كثرة كم
 من عسكر استيحت بيضته وقول عزمه بالكما وذلك ان السار لا يزال على حيلة في الدفاع
 وحى الدمار حتى يلتفت فيرى وراءه ينداسشورا أو يسمع ضرب الطبول فيندفعه خلاص
 نفسه واتسكن همته وراء ذلك وعليه مدد والحروب في اصطباع الشجعان واختيار الابطال
 فاصطاع ذوى البسالة والاقدام والجراءة ولا عليك ان لا يكثر واربع يد عليك ان يكثر وار ولا
 تنس بيت الشاعر

والناس ألق منهم كواحد • وواحد كالآلف ان امرعى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد منهم خير من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما تفضى منه
 العجب فهم في الجيش وان قلوا كماهنة في النبل في ذلك لما اتقى امستعين بن هرد مع الطاغية
 ابن روميل النصراني على مدينة وشقة في نغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالتسكافين
 كل واحد منهم مائة من ألف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل من حضر الواقعة

من الاجناد قال له ما الاقامة قال الطاغية بن رديم لم يبق قتل وعمارته للغروب من رجاله
استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر
فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عثبته رجال قال انظر الاقمن في عسكري من
لرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدوهم فعدوهم غلبته رجال لا يزيدون فقام
الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا يا ضحك من يوم ثم فاش الحرب بينهم فلم تزل المداورة بين
الفرقتين لم يول أحد منهم دبره ولا ترحل عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يبق واحد
منهم فلما كان وقت العصر نظروا اليها ساعة ثم جالوا عليها حلة وداخلوا مداخلها ففروا ايضا
وصروا شطرين وحالوا ايضا وبيروا أصحابنا وصاروا ايضا فكان ذلك سبب وهنا وضعنا ولم نتم
الحرب الا ساعة ونحرق في خسارتهم فشاركنا العدو العسكر على السلطان أن يفرض نفسه
وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وذلك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الجرم والبصيرة من
جمع يحتوى على آثره من ألف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر رجلا
وليست بثمان اعلى بالظفر واستبشاره بالغمية لما زاد في ابطاله رجل واحد (وسمعت) أستاذنا
القنصني أبو الوليد الباسي رحمه الله يحكي قال بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته
اذ رقب على شتر من الارض من نزع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وبساره قدموا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصغني فقال
كيف نرى هذا العسكر أي الوزير قال ابن المصغني أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له
المنصور ولا يهجز أن يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن
المصغني فقال المنصور وما سكونك أليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور
ثم انعطف عليه فقال أفيهم خمسمائة رجل من الابطال المعدودين قال لا الحق المنصور ثم انعطف
عليه فقال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون من الابطال قال لا فسبه
المنصور واستخف به وأمر به فخرج على أفع صفة فلما توسطوا بلاد المشرقيين اجتمعت الروم
وتصاف الجمعان فبرز على من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر ويقر وهو ينادي هل من
مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتصا ولا ساعة فقتله العلي ففرح المشركون وصاحوا واضطرب
لها المسلمون ثم جعل العلي يروح بين الصفين وينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل
من المسلمين فتصا ولا ساعة فقتله العلي وجعل يكر ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواء
فبرز اليه رجل فقتله العلي فصاح المشركون وذلل المسلمون وكادت تكسر فقتل المنصور
ما لها غير ابن المصغني فبعت اليه خضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلي الكلب
منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما الخيلة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين
شره قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد نشرت
أررا كهاهز الا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متسنع
فقال له ابن المصغني ألا ترى ما يصنع هذا العلي منذ اليوم قال قد رأيته فاذا ترى فيه قال أريد
رأسه الآن قال نعم فحمل القرية الى وجهه ولبس لامة حربية وبرز اليه فتصا ولا ساعة فلبس
الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس العلي فأنق

الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المصنف عن هؤلاء الرجال أخبرتك أنه ليس في عسكرك منهم
ألف ولا خمسةائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المصنف الى منزلته وأكرمه
(واعلم) أن أول الحرب شكوى وأوسطها فحوى وآخرها بلوى الحرب شقاء عابسة شوها
كالحلة حروفي حياض الموت شحوس في الوطيس تنغذى بالنفوس الحرب أولها الكلام
وأخرها الجلم الحرب مزة المذاق اذ قلعت عن ساق من بهر فيها عرف ومن ضعف عنها
تلف جسم الحرب الشجاعة وقلها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة
وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب
عشوم سميت بذلك لانها تخطى الى غير الجاني قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله واني بهرها اليوم صالى
وقال آخر رأيت الحرب يهينها الناس * ويصلى حرها قوم براه
وقال آخر الحرب أول ما تكون فتية * فتسبي يبرتها لكل جهول
حتى اذا اضطرت وشب ضررها * عادت تجوز اغير ذات خليل
شملها ينكر لو نها وتغيرت * مكروهة للشتم والتبصير

(قال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة
فانبئوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله واطيعوا رسوله ولا تنازعوا في فتقشروا وتذهب
ويحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واستوصى قوم اكن من صبي في حرب اراودها فقال
أقلوا الخلاف على أمرائكم واعلموا ان كثرة الصباح نسل ولا جاعة لمن اختلف وتبوا فان
أحرم الفريقين الركين (وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الاترون أصحاب محمد دجينا
على الركب كأنهم حرم يتلفون تلف الحيات (ورأيت) غيره واحد من ألف في الحروب يكره رفع
الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله في نفسه * واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد أضح
لشافي كتابه هذه النصر وعلة الهزيمة والقرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم يعني ان تنصروا رسوله ودينه وأما القرار فعمله المعاصي قال الله تعالى ان
الذين تولوا منكم يوم التقي الجعلان انما استلهم الشيطان بعض ما كتبوا أي بشؤم ذنوبهم
وتركهم المركز الذي رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم رتب
الرماة يوم أحد على ثلة الجبل لينموا قريباً أن يحزجوا عليهم كيئاماً من ذلك الموضع ثم التقي
المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا القنائم فاقبلوا على القنائم وتركوا المركز الاول
فخرجت خيل المشركين من هناك وأقبلوا على المسلمين فكاتب مقتله أحد * ويصف قائد الجيش
العلامة التي هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حيلته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيسته
ابلاؤها ولا وليد زيه ويغير خيسته ويعمى مكانه كي لا يلتص عدوه غزته واذ اسكنت الحرب
فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد انبكت عليه وعلى هذا
الوجه كسر المسلمون جيوش افرقية عند فتحها وذلك ان الحرب مكنت في وسط النهار فخرج
مقدم العدو ويمشي خارج العسكر فتميزه اكر المسلمين فجاء الخبر الى عبيد الله بن ابي السرح
وهو نائم في قبته فخرج فبين وثق به من رجاله وحمل على العدو وقتل الملائك وكان الفتح * ولما عبر

طارق موسى بن نسيب الى بلاد الاندلس ليقتحمها ويوسى اذ ذاك باقر ببيعة خرجوا
في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعمائة
رجل فطعمت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استقلته لدرين ملك الروم
وكان قد كتب الى درين يعلمه ان قوما لا ندري أمن الارض أم من السماء قد وصلوا الى بلادنا
وقد لقيتهم فانهمض الى بنفك فأتاه لدرين في تسعين ألف عتقان واقبهم طارق وعلى خيله مغيث
الروحي مولى للوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال فرأى طارق ما التماس فيه من
الشدة فقام فخطبهم على الصبر ورغبتهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المضر البصر من
ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وأنا فاعل شأ فافعلوا كفعل
فوالله لا قصدن طاعتهم فاما أن أقتله واما أن أقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف
حاجة لدرين وعلامته وخيمته ثم جعل مع أصحابه عليه جلة رجل واحد فقتل الله تعالى لدرين
بعد قتل ذريع في العدو وحي الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهمز الروم فاقام
المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام واستطاع طارق رأس لدرين وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى
الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير
المائدة التي تذكر أهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليه السلام فدفعت اليه ابن أخت
لدرين المائدة والتاج فقومت المائدة بمائة ألف لسان فيمنع من الجواهر التي لم يمتثلها وبهذه
الحيلة قهر البارسلان ملك القلزم ملك الروم وقبض على رجاله وأباد جمعهم وكانت الروم قد جمعت
جيشا يثق أن يجمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كاتب متواصلة
وعساكر متردفة وكرايمس تلعب بعضها بعضا لا يدركهم العرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا
من الكراع والسلاح والجهانيق والآلات المعدة لفتح الحصون في الحرب بما لا يحصى وكانوا قد
قبضوا على بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت
اهم وأن نجوم السعود قد خد منهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين
واضطربت لها الممالك الاسلام فاستشد للقائم البارسلان التركي وهو الذي يسمى الملك
العاقل وجتمع جوعه بمدينة اصبهان واستعد بما قد وعده ثم خرج يؤمهم فلم يرزل العسكران
يتدائبان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يقرأى الجمعان فيات
المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدل لا يصيبهم الا الذي خلقهم وما المسلمون فيهم الا كلة جافع
في المسلمون واجبن لملهاهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظرو بعضهم الى بعض فقال
المسلمون ما رأوا من كثرة العدو وقوتهم وآلاتهم فأمر البارسلان أن يعمد المسلمون فبلغوا
اثني عشر ألف تركي واذا هم منهم كالرقعة في ذراع الحمار فجمع ذوى الرأي من أهل الحرب
والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص صواب الرأي
فتشاوروا برهة ثم أجمع رأيهم على اللقاء فتوابع القوم وتقاتلوا وانصهوا الاسلام وأهله ثم
أهوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان سعى الله ونحمله على القوم فقال البارسلان يامعشر
أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يحطون على المناير ويدعون لنا في شرق
البلاد وغربها فاذا أرايت الشمر وفات الأقباء وعلنا ان المسلمين قد صلبوا ودعوا لنا وصلينا

فمن علمنا أمرنا فصرنا إلى أن زلات الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وأن يربط
على قلوبهم بالصبر وأن يوهن عدوهم وأن يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق
من خيمة ملك الروم وعلا منته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يفتلك أحدكم أن يفعل كذا فعلى
ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل جميعهم حمله رجل
واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونهم انخلصوا إليه وقتل من حوله وأسر ملك الروم
وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتفرقوا كل
مفرق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضروا ملك الروم بين يدي
البارسلان بجبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع لي لو أخذتني قال فهل تشك أني
كنت أقتلك فقال له البارسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به ويعوه فبين يزيد
فكان يقاد بالخيول في عنقه وينادي عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على
النعام ومنازل المسلمين وينادي عليه بالدرهم والفقير فلم يدفع فيه أحد شيئا حتى باعوه من
إنسان يكبب فأخذ الذي كان نولي ذلك من أمره الكلب والملك وجعلهما إلى البارسلان وقال
قد طفت بجميع العسكر وناديت عليه فلم يذل فيه أحد شيئا إلا رجلا واحدا دفع لي فيه كلبا قال
قد أنصف لأن الكلب خير منه فأقبض الكلب وأدفع إليه هذا الكلب ثم أنه أمر به فشد ذلك
باطلاقه فذهب إلى قسطنطينية فعزله الروم وتخلته بالنار فاطمر ماذا أتاني على الملوك إذا عرفوا
في الحروب من الجيلة والقصد في المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر
وقد قال تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة أبدا يعصها الاغراب ومع الاغراب الهلاك وخير الاغراب
أربعة وخير السرايا أربعة مائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولين يقرب جيش يبلغ اثني عشر ألفا
من قلة إذا اجتمعت كلتهم فاما حصة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأينا في بلادنا وهو أربع تدبير
فعله في لقاء عدونا أن تقدم الرجال بالدرك الكاملة والرمح الطوال والمزاريق المسنونة
النافذة فيصقوا صفوفهم ويركزوا أمرا كزهم ورمحهم خلف ظهورهم في الأرض وصدورهم
شائعة إلى عدوهم وهم جاثقون في الأرض وكل رجل منهم قد ألتم الأرض ركبتة اليسرى
وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي غرق سهاهم من الدروع والنبل خلف الرماة
فاذا حلت الروم على المسلمين لم يتزعزع الرجال عن حياتهم ولا يقرم رجل منهم على قدميه فاذا
قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجال بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فأخذوا وجمعة وبسرة
فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجال قتال منهم ماشاء الله واتقدحتني من حضر مثل هذه
الوقعة في بلدي طرطوشة قال صاقت الروم على هذا الترتيب فعملوا علينا فينا رجل منا كان
في آخر الصف فقام على قدميه حمل عليه عجم من العدو فاصاب غرته فقتله ولما برز القتل بداه الله
ابن هود ملك الاندلس من مرقسة في نفور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ودخيل عظيم الروم
وكان كل واحد منهم قد احتشد بمائتي مسورة فالتقى المسلمون والكنار ثم تنازوا للقتال
وقصافوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران فأنزع المقتدر
ذلك وفرق المسلمون من شرنك ذلك اليوم فدها المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن في النفور أعرف

بالحرب عنه يسمى سعادته فقال له المقددر كيف ترى في هذا اليوم فقال سعادته هذا يوم أسود
 ولكن قد بقيت لي - فذهب سعادته زى الروم وكلامه كلامهم لها وورثهم وكثرة محالطتهم
 فاتفقوا في عسكر الكفار ثم صعدوا إلى الطاغية رد ميل فالتقاء ما كافي السلاح مكنتنا في الحديد
 لا يظهر منه الاعيان فجعل بضيقه ويترصد غزوه إلى ابن أمكتة القرصة فجعل عليه قطعه
 في عينه فخرس بعاليدين والقوم ثم جعل ينادى بلسان الروم قتل السلطان يامعشر الروم فشاغ
 قلبه في العسكر ففقدوا وولوا منهم زمين وكان الفتح بإذن الله تعالى - ولما استضعف الروم صقلية
 ونشروا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال إلى العرب بأفريقية
 ويستجذبونهم على الروم فقال لهم ذلك الروم انما حملت ومنكم يا أهل صقلية - مثل رجل له
 زوجتان عجوز وصبي فكان اذا بات عند الصبية تلتقط الشيب من لحية تصيبه فيزهد في العجوز
 واذا بات عند العجوز تلتقط الشعر الا - ودمن لحية تشيخه فتزهد الصبية فيه فيوشك ان دام
 هذا به ان يصبح أطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا أديتم المال لي ولهم يوشك أن تنفذ
 أموالكم فتبوا فقر اضعفناه فأتسلحكم واتسلم البلاد - وروي انه لما تم تحصار صقلية أمر
 أن يبسط بساط في الأرض ثم جعل في وسطه ديناراً ثم قال لوجوه رجاله من أخذ منكم هذا
 الدينار ولم يبط البساط علما انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل أحد اليه فلما أعياهم ذلك
 أطوا واناجية من البساط من عنده وأمر كل واحد أن يطوى بماله حتى طوى البساط
 فعدوا أيديهم فلفقوا الدينار فحينئذ قال لهم اذا أردتم مدينة صقلية خذوا ما حولها من
 الحصون والمدن والحقار والضباع والقرى - حتى اذا ضعفت أخذوها - وكان بسر قسطة
 فارس يقال له ابن قصون وكان بناسقي فيقع خال والدي وكان أنصبع العرب والجم وكان
 المستعين أبو المقددر يرى ذلك ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية خمسة دنانير وكانت
 النصرانية بأسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه فيصيح أن الروي اذا سقى فرسه فلم يشرب
 يقول له اشرب - هل ابن قصون رأيت في الملة خدسه تظاؤه على - ثمرة العطاء ومنزله
 من السلطان فأوغروا به صدوا المستعين فنعاه أياماً ثم ان أنشأ غزوه إلى بلاد الروم
 فتواقفت السلون والمشركون صفوا ثم برز علي إلى وسط الميدان ينادى هل من مبارز فخرج
 اليه فارس من المسلمين فجالا ماعة فقتله الروي وصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس
 المسلمين وجعل الروي يكر بين الصفيين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين
 فقتله الروي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل يجول بين الصفيين وينادي
 ويقول ثلاثة لواحد فلم يستجرب أحد من المسلمين ان يخرج اليه وبقي الناس في حيرة تفصيل
 للسلطان ماله الا أبو الوليد بن قصون فدعاه وتلف به وقال له أما ترى ما يصنع هذا العلي فقال
 هو يعني قال فما الخيلة فبه فقال أبو الوليد فما تريد فقال اكف المسلمين شره فقال الساعية
 يكون ذلك ان شاء الله تعالى فليس قبض كان واستوى على سرجه بلا سلاح وأخذ يده سوطا
 طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فحبب منه النصراني ثم جعل كل واحد منهما
 على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن قصون واذا ابن قصون متعلق برقبة الفرس
 برز إلى الأرض لاني منه في السرج ثم طفر على سرجه وجعل عليه وضربه بالسوط في عنقه
 فالتوى على عنقه فحذبه يده من السرج فاقتلعه من سرجه وجامه بجزه فألقاه بين يدي

المستعين فلم المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وورده الى أحسن أحواله أيها
الاجناد أقبلوا الخلاف على الامراء فلا تفر مع اختلاف ولا جماعة من اختلاف عليه قال الله
تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق
وعمل الجماعة السمع والطاعة وانما اتي على بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العساكر
وكن قد ظهر أهل العراق على أهل الشام وتضعفت صفوف معاوية فأحس بالشروا انه
مفلوب فقال لعمر بن العاص اذهب نخذلوا الامان من ابن هك يعني عليا فادار عمر والحيلة
فأمرهم أن يرفعوا المصاحف في أطراف الرماح وينادون نذهبكم الى كتاب الله تعالى فلبوا أي
ذلك اصحاب علي كفوا عن الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه اي قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق
في القوم دفاع فقصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب الحكيمين واعلموا ان من أحزم مكائد
الحرب **بكتاء العيون** واستطلاع الاخبار وانشاء القلب واظهار السرور واثابة الخذر
والاحتراز من العدو وأن لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستامن وقال بعض
المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غشوا الاصوات وتجيبيو السكينة وأكلوا الوثام
واحتوا الجبين وادعوا الليل فانه أخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل
المدد الاعظم الحازم يحذر عدوه على كل حال المواباة ان قرب والغارة ان بعد والكمين
ان انكشف والاستعداد اذا ولى الجهل قوة الجرعة من اعتز بقوته فقد وهن ليس من
القوة التورط في الهوة لكن أشد ما كنت حذرا ما كنت عند نفسك أكر قوة وعددا من
استضعف عدوه واعتز ومن اعتز بظفره عدوه أشعر واقلو بكم في الحرب الجرعة فانه سبب الظفر
واذ كروا الضغائن فانه سبب على اقدام والتزموا الطاعة فانه سبب من المحاسب اذا وقع
المقاء برز القضاء اذا لقي السيف السيف زال الخيلار رب مكيدة ابغى من نجدة رب كلمة
هزمت عسكرا المبور سبب النصر الظفر مع الصبر اجعل قتال عدوك آخر حيلك النصر مع
التدبير لا ظفر مع يعنى ولا تغتر بالاقوياء لفضل قوتهم على الضعفاء لا تخبثوا عند اللقاء لا تميلوا
عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغفلوا عند الغنائم تزهروا الجهاد عن عرس الدنيا

• (الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب) •

اعلم وفق الله تعالى ان مذهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات
منشورة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث في القضاء والقدر وافتقار
العلم وقد بين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا كل حزب بما لديهم فرحون
ولم ينفع هذه الترجعة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستند في مجلدات
واسفار وانما نذكر في هذا الكتاب احكاما ظاهرة قريفة من العقول لتقريب الفائدة على الناظر
فيه فاعلم أولا ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر وقبح وضر وإيمان وكفر
وطاعة ومعصية بقضاء وقدره كذلك لا يطير طائر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه ورجليه
ولا تطير بهوضه ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شئ من ذلك
الا وقد سبق علمه ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك
ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون

فهو كائن ومن خالقنا في القضاء والقدر وافتنا في العلم قريب أمر قدر الله تعالى وصوله اليك
بغير طلب فهو واصل ووب أمر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب ايضا
من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انه ما مقدور ان فني ههنا قلنا انه ما
لا يتناقض شيان في محالين به سد ما يتحقق القصد ان المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شيء
فبتقديره وان اتفق فبتيسره قال انس جاء رجل على نائمة فقال يا رسول الله ادعها أو توكل
فقال اعتلها أو توكل والتوكل والاعتصام بالقدر يستقدان من العقل والطلب والكسب
يستقدان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الزمة بما ضمنه والقطع بكون ما حكم به قرام
أمر من الامور ليس الطريق في تصحيحه أن يعلق بابه عليه ويشوق أمره الى ربه ويتنظر
وهو ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر
النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويختص من العدو
وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويعبى الجيوش
ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصلحة الجهم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداواة وقال
أنزل الداء الذي أنزل الدواء (فان قيل) قدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو
أكتوى فسد برئ من التوكل (قلنا) ليس قد قال اعتلها أو توكل وظاهر بين درعين وسائرهما
ذكرناه آنفا (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه ان استرقى واكتوى مشكلا على الرقية
والسكنى وان البرء من قبله ما خاصة فهذا يخرج من التوكل وانما يقوله كافر بضيف الحوادث
الى غير الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور بنفسه وأعوانه وماله
على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو وائق
القلب أن ما حصل فبتقديره وماتعسر فبتقديره معقد في ذلك على المسبب لا على الاسباب
فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يعتنى في ذلك كله مع الاثر ولا يسلط طريقه بغيره معصية قلبه
يستدوج ما عند الله بجماعه وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه من ابتغى أمر اجمع صية الله
كان أبعد المارجا وأقرب لمجي ما اتقى ومن ظن ان العاقل والاكتساب يناقض التوكل فقد
في يمينه وأغلق بابه مشكلا على الله تعالى في زعم كان عن العقل خارجا وفي تيسر الجهل والجا
ويقاله قصت با هذا الذبعت وحضر الطعام فهو الى الطعام أحوج منه الى المعرفة وتبني
لاهل أن يدأوا ألا ترى أن الله تعالى قال ليرى وهزى اليك يجذع الضلة فهل أمرها بالسكون
ثم جعل الرطب الى فيها وهكذا القول فليس له دابة أو يستأن يؤمر بسقي البستان وحفره
واملاح شأنه ويؤمر بأن يعلف الدابة ويسقيها وأنشدوا

ألم تر أن الله قال لمريم • اليك نهزى الجذع تساقط الرطب

ولولاء أجبى الجذع من غير هزها • اليها ولكن كل شيء له سبب

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكلنا لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خاصا وتروح بطانا فلم يحصل أرزاقها اليها في أوكارها بل الهمها طلب الغدوة والروح وقد كان
ببهيول ريس القندمارس يرى من تصديق القدر وتكذيب الطالب دون أهل زمانه من

الملوك ما حجزه عن الطلب والتدبير فأنزله أخوته من سلطانه وقهره على مملكته فقال له
 بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى أخلاق ذوات
 الايجرة من الحيوان كالغضب وسائر الخيرات تشاق في أيجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا
 بين القدر والطلب وقالوا انهما كالدليلين على ظهور الدابة ان حمل في واحد منهما أرحح مما حمل
 في الآخر سقط وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وقت
 بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان أعشى ومقعدا كانا في قرية بقعر وشرلا فأتى لادعى
 ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب
 فبرز الا في عافية الى أن هلك الحبيب فأتاها بعدة أياها فاشتد جوعهما وبغ الضرر منهما ما جده
 فاجعوا رأيتهم ما على ان يحمل الاعشى المقعد فيسده المقعد على الطريق يصره ويستقل
 المقعد يحمل الاعشى فيدوران في القرية يستطعمان أهلها فقتلوا فنجح أمرهما ولولم يبعلا
 هلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فأخذ
 جهيل في الطلب فظفر بأعدائه ورجع الى مملكته كان جهيل يقول لا تدعن الطلب اتكالا
 على القدر ولا تتجهدن نفسك في الطلب معقد اعليه مستهينا بالقدر فالتك اذا جهدت نفسك
 بالطلب بوجوه التدبير المحمودة مقصدا بالقدر نلت ما تقاول ولم تلتو عليك الامور وان علمت بذلك
 قالتوى عليك أمر من مطلوبك فذلك من اعانة القدر وانك قد أقيمت ذنبا فتهتد بجوارحك
 واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب أتيت به جارحة من جوارحك
 واخرج من كل مظلة ظلمتها فاذا فعلت ذلك فابك الخط وساعدك القدر ان شاء الله تعالى واعلم
 ان هذا الاصل الذي تترناه يخرج عليه كل ما ورد في القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه
 وسلم من الامور بالتوكل على الله والتسليم اليه والتقوى رضي من ذلك ان سليمان الخواص تلا
 يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فنال ما غننى لم يده هذه الآية ان يلجأ الى أحد
 غير الله فنام عنه لا يلجأ الى الاسباب اعقدا عليها ولكن يلجأ اليها وثقبا بان الله تعالى يفعل
 ما يشاء كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة ولبس درعين الاتري ان من يطلب الزرع
 والولد ثم مقصد في بيته لم يأت زوجته ولا بذراؤه معقد في ذلك على الله تعالى وانقابه ان تاد
 امرأته من غير وقاع وتبت أرضه الزرع من غير بذركان عن المعقول شارب ولا امر الله تارك
 ولا لئمة والحكماء في القدر الفاظ بارعة على السبر والامتحان منها ما روي ان علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه سئل عن القدر فأعرض عن السائل فأبى الاجواب فقال على أخبرني أخبرتني
 الله كما تشاء وكما يشاء فأمسك الرجل فقال على للعائرين آتروني يقول كما تشاء اذ والله أنسرب
 عنقه فقال الرجل كياش فقال على أحييك كما تشاء أو كياش قال كياش قال أبيضك كما تشاء
 أو كياش قال كياش قال أبيضك كما تشاء أو كياش قال كياش قال أبيضك كياش
 أو حيث تشاء قال حيث يشاء قال قم فليس لك من الامر شيء وروي ان رجلا قدريا ومجوسيا
 تناظرا فقال القدرى للمجوسى مالك لا تسلم فقال المجوسى لو أراد الله تعالى لاسلئت فقال
 القدرى قد أراد الله تعالى ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسى فانا مع اقواهما وروى
 في الاسرائيليات ان نبيا من أنبياء الله تعالى مر بفتح منسوب واذا طائر قريب منه فقال الطائر

يا بني الله هل رأيت نفل عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيدني فيه وأما انظر اليه قال فذهب
عنه ثم رجع فاذا الطائر في الفخ فقال له عجبالك أولست القاتل آتيا كذا وكذا فقال يا بني الله
اذا جاء الخين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلي رضي الله عنه رأيت من جنبتي
سبل الهدى وسبل في سبل الردى أحسن الى أم أسا فقال له علي ان كنت استوجبت عليه
حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن
مهران غيلان القدرى سئل فاقرى ما تكفون اذا سألتكم فقال غيلان أسأله الله أن يعصى فقال
ميمون أبغض كلهما فانقطع غيلان وروى ان رجلا قال ليزر جهر تعال تناظر في القدر فقال
وما تصنع بالنماظر في القدر رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن ورأيت أحق صروقا
وعاقلا محروما فقلت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم

يحبب الفخ من حيث يرزق صاحبه * ويعطى الخ من حيث يحرم طالبه

ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزي بن ميمون المهلب أنت
أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدي سليمان فقال موسى ان الهدد هديهم من
الماء في الارض النضاي ويصر القرب منه والبعد على بعده في الصوم ثم نسب له الصبي
الفخ بالدودة والحبة فلا يصير حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهدد كانت رائدة سليمان
ابن داود عليها السلام الى الماء فتقدم معسكره ثم تنظر الارض فتقول الماء ههنا على ألق
قائمة أو أقل أو أكثر فساد الخن تنفخه فلا يلحق سليمان الاودة فاستعد الماء واعلموا ان
الهارب محاروم مضى مقدرا كالنقلب في كف الطالب وأنشد بعضهم

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فقصه تتوجه

ولبشار طبع على ماني غير مخير * هواي ولو خبرت كنت المهزبا

أريد فلا أعطي وأعطى فلم أرد * وقصر عاني أن يشال الغيبا

وأصرف عن قصدي وعلى مقصر * وأمسى وما أعطيت الا التجبا

ولما وقع الطاعون بالكوفة فز ابن أبي ليلى على حماره يطلب التجاة فسمع منشد يشد

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي صنعة طيار

أرى أني المظف على مقدار * قد يصح الله امام الساري

فكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام الساري فلا تنج من هرب وأنشد بعضهم

أقام على المسيرة قد أنفت * مطايا وغرد حاديها

وظل أخاف عادية الليالي * على نفسي وأن التي رداها

ومن كتب منته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجدوا في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا
كان القدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد جهز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة
الى الدنيا حق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصري في قوله تعالى وكان تحته
كتر لهما انما كان الكثر لولا ما من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لن يؤمن بالموت كيف يفرح

وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يفعل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطعم من إليها
 لا اله الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ ذهب من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره
 وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغلهم فده وعالم مقنون يعيب على زاهد مضبوط ومن عجيب
 ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما فقبضه الشرط وحمله
 الى دار السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وتراعى في بئر والمدينة مسربة تحت الارض
 بأسراب يعيش المائى فيها فأعمى بصرها وبورها لان في دورها آثار على تلك السروب فإزال
 الرجل يمشى الى ان لاح له بئر مضينة فطلع فيها واذا البئر في دار السلطان فطلع الرجل في دار
 السلطان فادبه السلطان فكان فيه المثل السائر القار من القضاء الغالب كل من شئت في يد
 الطالب وقال ابن مسعود ان الرجل يشرف على الامر من الامارة والتجارة أو غير هاذ كره
 الله تعالى فوق عما رواه فيقول له تلك اصرف عن عبيدى هذ الامر فاني ان أيسر له أدخله به
 جهنم فيظلم بغيره على جبرانه فيقول سقني فلاذ وحسدني فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى
 وأنشدوا

قالوا تقيم وقد احاط بك العدو ولا تنفر

فاجبتهم والشيوخ ما لم يتفجع بالعلم غتر

لانت خيرا ما قبضت ولا عداني الدهر شر

ان كنت أعلم ان غيري راقه ينفع أو يضر

استأذن العقل على الجسد فقال اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا
 أحتاج اليك (وأوصى) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جذا يحملك به ذور العقول ولا رزقك
 عقل لا تخدم به ذوى الجودود وكان يقال افراط العقل مضر بالجسد وروى ان رجلا خبرني أمر
 فاني أن يختار وقال أنا بجمدي أو نقي مني بعقل فافرغوا وفي الامثال اسع بجمد ولا بكد اسع
 بجمد أو دمع جمدا لا كدك الجدل الجدل الجدل أغنى من الكد واعلم ان زمام الامور والتوفيق
 ولم ينزل من السماء الى الارض أقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين
 جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كتبت جمعت فيه كتابا من جملة كتابي في الاسرار هل التوفيق
 مكتسب أو موهبة بلا سبب فلا من يدعيه ومن لطيف ما وقفت عليه في مجاري القضاء والقدر
 وان المهارب من المقدور كل شئت في يد الطالب ما نزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل
 الذي تقدم ذكره

الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك الهيم

وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول

(الاول) يشتمل على أخبار رقت الينا بعد القراغس الكتاب فالحقناها (والثاني) يشتمل على
 حكم الحكيم القس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم الحكيم السند خاصة (والرابع) يشتمل
 على حكم الحكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة من منسوبة من عندنا ذلك لتطرق في
 عقول القوم واغرائهم ومنتهى ما امهم من كتاب جاويدان خرد القارص قال ثلاثة لا يصلح
 فسادهم بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب ونحاسد الاكفاء والراككة في العقول
 وثلاثة لا يستغنى عن صلاحهم نوع من المكر والحيل العبادة في العلماء والقنوع في

المستبصرين والسفهاء في ذوى الاخطار وثلاث لا يتبع منهم الحياة والعافية والمال وقال
ابن ابي عمير لا يه يا أيت ما الداء العيا قال ربيعة مولود قال في الخرح الدوى قال المرأة السوء
قال في الحبل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية أبو عبيد الكاتب وكان غليظ فاني
أخبره قال والله الغضب أخف على من ربشة وكان أسرع الناس غضبا فقبل له انما عني
ايمان ان اقال الغضب ثقیل فقال لا والله لا بقوى على احتمال الغضب الا الجبل والغضب
يوما على بعض أصحابه فرماه بدواة فشبهه فجعل الدم يسيل فقال أبو عبيد صدق الله العظيم حيث
قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فاستدعاه المأمون وقال ويحك لا تحسن ان تقر آية من
كتاب الله تعالى قال بلى والله يا أبا المؤمنين اني لا قرأ من سورة واحدة آية فضحك المأمون
وأمر بانراجه وقيل لا توشروا ما العقل قال القصد في كل الامور قيل فما المروءة قال ترك
الرية قيل فما السفاهة قال ان تصف من نفسك قيل فما الحق قال الاغراق في الزم والجد وقيل
لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما أراد سوء
الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال
كف بذيول وبشر جيل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال معاوية بن زياد
حين ولاد العراق يا زباد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كمنه واجعل الرجوع والنزوع
بينة من قلبك واحذر صولة الانهالك فانها توقي الى المهالك وهو مثل قول علي بن أبي
طالب رضي الله عنه أحب حبيبيك هو نأما عسى أن يكون بغضك يوما ما وبغض بغضك
هو نأما عسى أن يكون حبيبيك يوما ما ومن ذلك قول الاقل

وأحب حبيبيك حباريذا • فليس يعدوك أن تصرما

وقال آخر ولا تأسس الدهر من حب كاشم • ولا تأمن الدهر صرم حبيب

وسئل بزجهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل فما الحزم قال اتهازا القرصة قيل فما الحلم قال
العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مفروق وبغض
مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر ما لم يلفه أحد من ملوك زمانه ما الذي بلغ
به هذه المنزلة قال عفو عند قدرتي ولبني بعد شتتي وبني الانصاف ولوى نفسي وباقياتي
في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقرا
أرشدني لاحزم أمرى قال لا تخلكن قلبك بحبة الشيء ولا يستولين عليك بغضه واجعلها قصدا
فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في القلب تنزع وترجع واجعل وزيرك التثبت وسميك
التيقظ ولا تقدم الابد المشورة فانها تم الدليل واذا فعلت ذلك ملكك قلوب رعييتك ملك
استعداد قال الشاعر

وما حى الانسان الا لانه • ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما القائد المشفق قال
حسن المنطق قيل فما العناية المعنى قال تطبيعك من لا تطيعه وقال الفضل بن مروان سألت
رسول ملك الروم عن ديرة ملكهم قال بذل عرفه وبرد سيقه فاجتمعت عليه القلوب ورغبة
ورغبة لا يتقص جنده ولا يخرج رعيته سهل النوال حزن السكال الرجا والخوف

معقودان في يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه
 فالرعية اثنان راض ومقتبط قلت فكيف هيئتهم له قال يتصور في القلوب فتغضي له العيون
 قال فظن رسول ملك الحبشة الى اصغافى اليه واقبال عيني عليه وكانت الرسل تنزل عندي
 فقال لترجمانه ما الذي يقول الرومي قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشي
 فقال لي الترجمان يقول ان ملكهم ذو ناة عند القدرة وذو سلم عند الغضب وذو سطوة عند
 الغالبية وذو عقوبة عند الاجترام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم عن عيشه وقوته
 فهم يقرءونه ترائي الهلال حبالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعهم
 سطوته عهده فلا تنهه عن ردة ولا تؤبسه غفله اذا اعطى اوسع واذا عاقب اوجع قال الناس
 اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف رعيته
 قال لا ترفع اليه العيون ابغاثها ولا تتبعه الابصار اناسها كان رعيته قطا فرقت عليها
 صقور صوائد قال فحدث المأمون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهما عندك قلت انقادهم
 قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اعملت حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن أفقر عرف أحدنا من الخطباء البلاء ما يحسن أن يصف أحدا
 من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد أمرت لها بعشرين ألف
 دينار بمجملها وما جعل العدة مائة مئتين وبينهم ما على العود فلولا حقوق الاسلام وأهل رأيت
 اعطاهم ما حافيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقونه وقال الفضل بن مهمل كان عندي
 رسول ملك الروم وكان يمدني عن أخت للملك يقال لها خاتون قال اصابنا سنة احترق
 شواطئها علينا بجمرة المصائب وصنوف الآفات ففرغ الناس الى الملك فلم يدروا ما يجبهم به
 فقالت له خاتون أي الملك ان الحزم علق لا يخلق جديده ولا يمتن عزيره وهو دليل الملك على
 اصلاح رعيته وزايله عن استفسادها وقد فرغت رعيته اليك لفضل الهجز عن الاتجا
 الى من لا تزيد الاسماء في خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما أحد أولى
 بحفظ الوصية من الموصي ولا يركوب الدلالة من الدال ولا يحسن الرعاية من الراعي ولم تزل في
 نعمه لم تغيرها نعمه وفي رضاهم بكدره سحق الى أن جرى القدر بما عي منه البصر وذهل عنه
 الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعاد اليه بشكر النعم وعذبه من قطيع
 النعم فقتلته بسك ولا تجعل الحيا من التذلل للمعز المذل شركا بينك وبين رعيته
 فتستحق مذموم العاقبة ولكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار بكنه القدرة
 وتذليل الاسن في الدعاء بمحض الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن شيء فعل الى
 صالح على وليعنه على دؤب شكر يحوز به فضل اجر فامرها الملك ان تقوم فيهم فتذرهم
 بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ في الامر والنهي
 فحال عليهم الحول وما بينهم مفسدة نفعة كان سلبها ونوارت عليهم الزيادات بمجمل الصنع
 فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك بده وجمع الرحمة على الطاعة لها في المحبوب والمكروه
 فهذا فعل اقتباعد انه وضرارته لما شكره أعاد لهم من نعمهما كان قد استرجع وزادهم
 من فضله ما تنووه فكيف بمن يوحده ويؤمنون به لو صدقت نياتنا وحق شجارتنا وقال

الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجد في جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا امتلأ الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات اضمحلت البركات وقال الواضي وجه أنوشروان رسوله الى الملك قد اجمع على محاربته وأمره ان يتعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل أقوى من الجلد والكذب أكثر من الصدق والجور أرفع من العدل فقال أنوشروان رزقت الظفر به سرايه وليكن عملك في محاربته بما هو عنده أضعف وأقل وأوضع فالت منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على ملكته وقال بزرجمهر المزح آفة الجلد والكذب عدو الصدق والجور ففسدة الملك فإذا استعمل الملك الهزل ذهب هيئته واذا استعجب بالكذب استغفبه واذا بسط الجور فسد سامانه وكان نقش خاتم رسمه وهو أحد ملوك القرمس الهزل مبغضه والكذب منقصه والجور مفسده وقتل بعض أصحاب اسقنديار رجلا من الترك فأصيب في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهاب وآفة المنطق الجفاء وآفة كل شيء الكذب وقيل لبعض الحكام ما قيمة الصدق قال الخلد في الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور قال ذل الحياة قال وسأل ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودولته قال له الخلد في كل الامور قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فاسرور الدنيا قال الرضا بجزرت قال فما غمها قال الحرص على ما لملك لا تناله وقال بزرجمهر ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرور فالرضا بالقسم والرضا بالطاعة في النعم وفي الاهتمام بالرزق لئلا ينفق من صرف وسؤال محجف وتنفق ما يلهو ومن بعض الملوك بفلام يسوق حمارا غير متبعث وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام يا أيها الملك في الرفق به مضرة عليه قال وما مضرة قال تطول طريقته ويشتد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يحرق حماره ويطول أكله فابغى الملك بكلامه وقال له قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب ما جاور قال وقد أمرت بالبات اسلم في حشمتي قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونه قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان بعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والحمد بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يلوها قال فاستوزرته فوجده ذاربا صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد عنف في الشرق والغرب وبلغ منه ما لم يبلغه أحد قبله **كتب** الى لفظا موحوا يتقع ويردع فكاتب اليه اذا استولت بك السلامة فخذ ذكرا العطب واذا هتكت العافية فخذ نفسك بالبلاء واذا اطمان بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الامل فاذا كر الموت فان احببت نفسك فلا تفعل ان لها في الاسماء اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء ملوكا فقال له أيها الملك ان النيات ادر عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يبعد فنهت نفسك سلاوة عيشها بترك الاسماء اليها واعلم ان زمام العافية بيد البلاء وأمن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكون في سال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك عرضا لسهام الهالك فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بقاية

الاستعداد اذا فكرت في نفسك وعدوها استغيت عن الوعد (قال) وكتب الاسكندر على باب
 الاسكندرية أجل قرب في يد غيرك وسوق سنيت من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل
 بينك وبين العدة فاحمل قبل المنع وأكرم أجلك بحسن صحبه السابقين واذا آتتكم السلامة
 فاستوحش بالعطب فانه الغاية واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا
 بسطك الامل فاقبض نفسك منه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المود (وقال) ابن الاعرابي
 حدثني من رأى بين اصهبان وقارس حجر امكتوب عليه العافية مقرورة بالبلاء والسلامة مقرورة
 بالعطب والامن مقرورة بالخوف ولما ضرب انوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين
 الجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابه ثلاث كلمات اذا كان
 القدر حقا فالحرص باطل واذا كان القدر في الناس طباعا فالنفة بكل أحد مجزوا واذا كان الموت
 بكل أحد نازلا فالطمانينة الى الدنيا حق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام
 ورد عليه لمسه كعب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلاء واذا تمت السلامة نجم العطب
 واذا تم الامن على الخوف (وحفر) حفر بنارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة
 أولها أيها المعافي أشهر بالبلاء والثاني أيها السلام توقع العطب والثالث أيها الامن خذ هبه
 الخوف والرابع أيها المومنان يبعد عنك العسر ولم ينزل أبو سلم مدينة حمير فقد أتاه اسبندها
 فقال أيها الملك ان بالقنطرة هارجر امدفونا فيه ثلاثة أسطر وجدت في الكتاب ان سليمان بن
 داود علم ما السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجدناك أنت الذي تشقير به وتعمل بما
 فيه فأمر به فأخرج فاذا أول سطر منه الحزم اتهم بالفرصة وترك الوفا فبما يخاف عليه القوت
 والسطر الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا بامتن تركه الابناء
 ولم يصب من لم يحب فكان أبو مسلم يقول علم جليل به تتم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول
 بيننا وبين الحذر فلم يزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعلمه القدر من الاستعانة
 بالحذر فقتله أبو جعفر المنصور ولما سمع أبو مسلم قيل له ان بالخيرة نصرا ايا قد أتت عليه ما تأسنة
 وعنده علم من العلم الا قول فوجه اليه فاني به فلما نظر الشيخ الى أبي مسلم قال قدمت بالكفاية
 ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن يسكت حسك وكان قد عاينك ومسك
 فبكى أبو مسلم فقال لا تسك فانك لم تؤمن من حزم وثيق ولا من رأي رقيق ولا تمدين نافع ولا
 من سيف قاطع ولكن ما استجمع أحد لامله الا أسرع في تقرب أجله قال فاني تراه يكون
 قال اذا توأما الخليفة كان على أمر كان والتقدير في يد من يسطل معه التدبير وان رجعت
 الى خراسان سلت وهيأت فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالضي ووجه اليه من يمنه
 فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكنت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على
 التيقظ في الحذر والاحتياط في الهرب على ان لكل نفس غاية ولكل أمر نهاية (وقيل)
 بلانيوس وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نكته العلة الاتعاج فقال اذا كان الداء
 من السماء بطل الدواء واذا قد والرب بطل حذر المروب وتم الدواء الاجل وبشر الداء
 الامل وقال بعض الفزاة قصاصا من بلاد الروم فرأى فيه صورة الاسد من حجر مكتوب
 عليه الحيلة خير من الشقة والثاني أفضل من الجملة والجهل في الحرب احزم من العقل

والشكر في العاقبة مائة الجزع (وقال) أحد بن سهل وجه بلك الروم الى هارون الرشيد بثلاثة
أسباف مع هدايا كثيرة وعلى سيفه منها مكتوب أيها المقاتل احمل نغم ولا تفكر في العاقبة
فتمزم وعلى الثاني منها مكتوب اذالم تصل ضربة سيفك فصلها بالقه خوفك وعلى الثالث
مكتوب الثاني فيما لا يخاف عليه القوات أفضل من الهزيمة الى ادراك الامل وقال الحسن
ابن سهل قرأت في كتاب جاويدان خرد ثلاث تطال مع ثلاث الشدة مع الحيلة والهزيمة مع
الثاني والامراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدن حجرا عليه مكتوب بالحيرة
أيها الشديد احذر الحيلة أيها العجول احذر الثاني أيها الهارب تائب من الفصكر
في العاقبة أيها الطالب وجود الاقطع أملاك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى أخبرني
بأربعة أشياء لم أجدهم يعرفها وأخاها عندك أخبرني ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك
الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والثاني مدرك
الامل والجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك الحكيم وأراد سقرا أو قتي على أشياء من
حكمتك اعمل في سفرى فقال اجعل نأيتك زمام هذلك وحيلتك رسول شدةك وعقولك
ملك قدرتك وأناضلمن لك قلوب رعيتك ان لم تخرجهم بالشدة أو تطهرهم بالاحسان اليهم
وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاويدان خرد وهو أجل كتاب للفكر من الحيلة أنفع من أقوى
الشدة وأقل الثاني أجل من أكثر الهزيمة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان
برأيه عمت عليه المرائد وكان الحبس كان أبو زرجه رعايل القدر وضيع الحال ففهمه
المنطق فلما أنت ابر زجه خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد جلست الوزراء على
كراسيها والمرازية في مجالسها وقف بجبال الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المرحوب
نعمه الخالد عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعوده في القالك حتى رفع شأنه وعظم سلطانه
وأنا به البلاد وأعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير فرعى رعيته بفضل
رحمته وجاها المؤيدات وأوردها المعصيات وذادها عن الاكابر وأنشأها بالرفق واللين
انعاما من الله تعالى عليه وتنبينا لما في يديه واسأله ان يبارك له فيما آناه ويخبره فيما استرعاه
ويرفع قدره في السماء وينشر ذكره تحت الماء حتى لا يبقى له ينسج ما صاوى ولا يجده فيما
مدانى واستوهب له حياة لا تنفص فيها وقدره لا شاذ عنها وملك لا يؤمن فيه وعاقبة نديم
له البقاء وتكتم له النماء وعزايومنه من انقلاب رعبه او هجوم بلبه فانه مولو الخير
ودافع الشر فأمر الملك فحشي فيه بتمين الجواهر ورفيعه ولم يدفع حدانته سنة مع نبيل كلامه
ان استوزره وقلده خيروه وشرفه فكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز رماقه
على العاقل نعمة بعد الاسلام أفضل من مباينة هذه السفلة بالقهم والعقل ولولم يكن هذا
ما عرف الله تعالى الا بالجهل ألا ترى ان الله تعالى خاطب أولى النبي وذوى الالباب وذوى
البصائر ويجب على العلية ان يحمدوا الله تعالى على مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام
كما يحمدونه على جميع للتم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أصرارك الى
هذا قال الاستبداد برأى لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أعداه بالاموال والرجال قلت في
نفسى هذا اجل يريد الاستكثار من الاموال والجنديا يظهر لي من فساد الدولة قبله وهيأت

أن يقتض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان وقال الواقدي قال الفضل بن سهل لما
دعى للمأمون في كور خراسان بالخلافة جاءته ابا المولود سرور بامكان من الخلافة ووجه ملك
كابليستان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكرانه قد وجه به سدية ليس في الارض اسقى منها ولا
ارفع ولا تابل ولا اغرجهما فحبب المأمون وقال سل الشيخ مامعه فساته فقال مامعني شي أكثر
من علمي قلت وأي شيء عليك قال رأي ينقع وتدير ينقطع ودلالة تجمع قال فسر المأمون
بذلك فأمر باتزاله واكرامه وكتفان أمره فلما اجتمع على التوجه الى العراق لقتال أخيه
قال ذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال رأي وثيق وجزم معيب وملك قريب قال سير
ماض فاقض ما أنت قاض قال له فن توجه قال الفقى الاعور الطاهر الاظهر يسير ولا يفر
قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكلم توجه من الجند قال أربعة آلاف صوارم
الاسياف لا ينتقون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر
ابن الحسين قال وفي أي وقت يخرج قال مع طلوع القمر يجمع لك الامر ويصير الى النصر
نصر سريع وقتل ذريع وتشريق تلك الجوع والنصر له لاعليه ثم يرجع الامر اليك واليه
قطر طاهر ~~كان~~ كان له النصر وقتل على ابن عيسى وزير الامين واستولى على عسكره وسار
أمواله فأمر الملك لذوبان بمائة ألف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك
لانقصك ماله فلا تجعل ردى لعمرك نهضا وساقبل ما في هذا المال ويزيد عليه قال
المأمون وما هو قال كذب يوجد بالهراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الافاق من كتب
عظيم القرم فيه شفاء النفس من صنوف الآداب بما ليس في كتاب عند عاقل
ليب ولا فطن أريب يوجد تحت ايوان بالمداين فيقاس بالخردان في وسط الايوان لازيادة
ولا نقصان فامر المذر واطلع الحجر فاذا وصلت الى الساحة فاقلمها تجد الحاجة ولا تلزم
لقبرها فليزملك غب ضررها فأرسل المأمون الى ايوان كسرى فخر واني وسطه فوجدوا
صندوقا فيه امان زجاج عليه قتل منه حمل الى المأمون فقال لذوبان هذا قبضتك قال
نعم أيها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بالساعة وتقم في القفل فانفتح فخرج منه خرفة
دياج فشرها نقة منها وأوراق فهداها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فأخذ
الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فحشته فسأته فقال هذا كتاب جاويدان
خرد تأليف كعبور وزير ملك ايران شهر فطالت منه شيء أفدفع الى ورقات منه وترجمها الى
الخط من على ثم اخبرت المأمون فقال احمل الى الورقات فحملها اليه فقرأها فقال واقه هذا
الكلام لا ما نحن فيه من لي الدنيا

• (فصل) • من نوادر برزجهر حكيم القرم نصفي النعماء ووفاني الوعطاء شفقة ونصيحة
وتأديا فلم يظني احد مثل شيبي ولا نصفي مثل ذكرى ولقد استأذنت بنور الشمس وضوء
القمر فلم استضي بشيء أضوأ من نور قلبي وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يكتني احد ولا
قهرني غير هواي وعاداني الاعداء فلم أر أعدى لي من نفسي اذا جهلت واحتزنت انفسى
بنفسى من اخلق كلهم حذر عليها وشفقة فوجدتها أشرف الانفس لنفسها ورأيت انه لا يات بها
الفساد الا من قبلها وزجني المضائق فلم يزجني مثل اخلق السوء ووقفت من أبد البعد

وأطول الطول فلم أقع في شئ أضر عليّ من لسانى ومثيت على الجبر ووطئت على الرضا فلم
 ارناراً أضر من غضبي إذا عتكن منى وطالبني الطلاب فلم يدركنى مدرك مثل انساني ونظرت
 ما الداء القاتل ومن أين نالني فوجدته من معصية ربي سجاله والتمت الراحة لنفسى فلم أجد
 شيئاً أروح لهما من تركهما مالا يفيهما وركبت البصار ورايت الأحوال فلم أوهو لامل الوقوف
 على سلطان جائر ونوحشت في البرية والجبال فلم أومثل القرين السوء وعلمت السباع
 والضباع والذئب وعاشرتها وعاشرتني وغلبها فغلبني صاحب الخلق السوء وأكلت الغائب
 وشربت المسكر وعاققت الحسان فلم أجد شئ أأذل من العافية والامن وقوطت الشياطين
 والجبال والسباع فلم أجزع الامن الانسان السوء وأكلت الصبر وشربت المز فلم أرس شيئاً أتر
 من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أدر فنا
 أغلب من المرأة السوء وعلمت الحديد وقلت العصفور فلم أرحلأ أنقل من الدين وقطرت فيما
 يذل العز يز وبكسر القوى ويضع الشرف فلم أأذل من ذى فاقة وحاجة وشقت بالذئب
 ورجعت بالمجانة فلم أرا أنفد من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت
 في الوثاق وضربت بعد الحديد فلم يهدم منى مثل ما هدمنى الغم والهم والحزن واصطنعت
 الاخوان واتصفت الاقوام للعدة والسنة والثانية فلم أرس شيئاً أخير من التكرم عندهم وطلبت
 النقي من وجوهه فلم أرا غنى من القنوع وتصدقت بالذئب فلم أرسدقة انتفع من رد ذى ضلالة
 الى هدى ورايت الوحدة والغربة والمذلة فلم أراذل من مقاساة الجار السوء وشيدت البياز
 لاعزبه واذكر فلم أرا شرفاً أرفع من اصطناع المعروف ولبت الكساء الفاخرة فلم البس شيئاً
 مثل الصلاح وطلبت أحسن الاشياء عند الناس فلم أجد شيئاً أحسن من حسن الخلق ومسررت
 به طاب المولود وحياتهم فلم أرس شيئاً أكر من الخلاص منهم

• (فصل) • ومن حكم شهاب السندى من كآبه الذى جعل متعل الجواهر للملك بن قبايى
 الهندى بأهيا الملك اتق عثرات الزمان وتحس تسلط الايام ولوم عليه الدهر واعلم أن الأعمال
 جزاء فائق العواقب ولايام عثرات فكن على حذر ولاقدار غيبات فاستعداها وللزمان
 منقلب فاحذر دولته لئيم الكثرة تخف سطوته سريع الغرة فلا تامل دولته واعلم ان من لم
 يدأ ونفسه من مقام الآتيا في أيام حياته فإيا بعد من الشفاعة في دار لا دواء لها ومن اذل
 حواسه واستعبد لها فيما يقدم من خير لنفسه بأن فضله وظهوره ومن لم يضبط نفسه وهى
 واحدة لم يضبط حواسه وهى خمس وإذا لم يضبط حواسه مع قتلها وذلها صعب عليه ضبط
 الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصى البلاد واطراف المملكة
 أبعد من الضبط فيبدأ المثلث لطاها على نفسه فليس من عدوا حق ان يدها بالقهر من نفسه
 ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة متينة دون صواحبا فتأبى على النفس
 القوية المخذلة فكيف اذا اجتمعت خمس أنفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن
 شرة لابد لا تخرى فبها تأسلم من شرها وانما يملك الحيوان بالشهوات الأتري أن
 القراش يكره الشمس فيسكن من حوها ويحببه ضياء النار فيدونها فحرقه والقبلي على نفاذ
 قلبه وشدة حرصه نصت للسماع الموفق الملهى فيمكن القاص من نفسه وذباب الورد

المتبع لطيب الارواح يطلب ما يقطر من اذن القبل لطيب رائحته فانه في طيب رائحة المسك
 فيلهبه طيب الرائحة من الاحتراس من تحريك القبل اذنه فيتولج في أصل اذنه فتقع عليه
 ضربة الاذن فتقله والسمك في البحر فحمله لذة الطعم ان يتقله فحصل العتارة في جوفه
 فيكون فيه حقه (وذكر الحكيم) ان خص الامعروفة قتلت بالافراط فها ملو كما معروفين
 فالصد مات فيه بقية الملك والافراط في العمارات منه سبب الملك والافراط في السكرات
 فيه حرق الملك وشدة الحرص مات منه مهر بوق الملك والغضب اخرضى الملك والطمع
 وائل والفرح واجبات والافقة بوليس والتواني زعيم بهر واخلى يحصل اهلك ملو كما
 ان يجتنبها الملوك واعلم ان الرعة تسقط الى الملك العادل اسقطاهل الجذب الى الغيب
 ويتعشرون بطلعه عليهم كاتعاش النبات بما يشته من القطر بل الرعية بالملك العادل اتم
 انعامهم بالغيب لان لذة الغيب وقامع لما وعد الملك على الدوام لا يتعبه وقت
 ويحسن بالملك ان يشبه تصاريه تدبيره بطباع غنائه اشياء وهي الغيب والشمس والتمر
 والريح والتار والارض والماء والموت فاما شبه الغيب فتواتر في أربعة أشهر من السنة
 ومنفعة لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطى جنده وأعوانه في الاربعة أشهر تقدير
 اتمه السنة فيجعل رعيههم ووضعهم في الحق الذي يستوجبونه بمنزلة كما يسوي الطريقين كل
 أكمة مشرفة وغائط مستقل وبغير كلام من مائة بقدر حبه ثم يستجي الملك في الثمانية الأشهر
 حقوقهم من غلاتهم ونواحيهم كاتسكن الشمس بحر هادئة فاعلم ان الغيب والامطار
 في الاربعة الأشهر وأما شبه الريح فان الريح لطيفة المدخل تشرح في جميع المنافع حتى
 لا يشعوا مكان كذلك الملك ينبغي أن يتولج قلوب الناس بجواسيه وعمونه لا يجتثون عنه بشئ
 حتى يعرف ما يقرن به في يومهم وأحوالهم وكالقمع اذا استل أيامه فأضاء واعتدل نوره
 على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي أن يكون الملك بهجته وزينته وشرافه في مجلسه وأمانه
 رعيته يشعرو فلا يخشون شره يثادون وضيع بعده وكالارض في كتمان السر والاحتمال
 والصدور والامانة كالنار على أهل الذعارة والفساد وكعاقبة الموت في الثواب والعقاب
 يكون ثوابه لا يصر عن اقامته ولا يتجاوز وكلمته في قلبه ان لا يته وهدمه واقتلعه عظيم
 الشجر ان حاربه واعلم انه قد يكشف السلطان من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم
 من يستبشع ويستكره كالحيات تكشف الصندل فيقتلها الصندل بطيب رائحته ويرده
 ويسه ويتفع الصندل اذ لا يخرّب منه من يريد أن يقطعه ولكن فيك مع قتلها تشديد البلاء
 فلا ينصر أعليكم فان القمر يستتار بظوه ويظهر له لكن الشهر يستقل من حره ويسكن لها
 وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن سلافا تسترط ولا مرا فتلتظ اجمل اكل طبقة من
 أعدائك اشياهم من أعوانك يسوتهم فانهم كلما في الاذن لاحله في اخر اجهه الابارفق
 من الماء الذي هو من جنسه اذا عاد يسترجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحدا فعي
 تنفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الوافي ولا تطامه في الكذب والمطبووع على
 الشر أن تعطفهما بالاحسان فانما كالقرد كلما من باطام الحلاوة والدم ازداد وجهه
 قبحا قد يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كجارد الظل حره ما ع الشمس اذا كان وافيًا غابة

أرى الناس أن يقتل بهم واحد ~~الملك~~ ربيعة عاقل ذهن تقتل الجيش بأسره والملك
الشريف العاقل لا يقتله قدح أهل البقي من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضيئ نور
لاتطفئه عصف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه في أصغاته إلى كل قول يسمعه كان كالسراج
يميل به كل ريح يلينه ثم لا يلبث أن عصفت الرياح أن يطفأ • تدبير الملك الحازم في سلطانه
كما هو صاحب البستان يستأنه يخرج ناضحا ليدان وثول شجره فيصيط به على غره وزرعه
لنفس من الشر والناسد كما ينتخب الملك أهل الشكمة والشوكه فيصيدهم في أقاصيه وحده
ردا للمعاكدة • ولا يمكن الملك أن يحذر ما يكون آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر

أمنتهم ربي المذون فتمت • ربي خوف مكرم في أمان

قال ألا ترى أن جبرئيل أنابت المرأة على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله
وبأسراج الملك قتله بظلال مسوم ودروف الملك قتله امرأته بجدة خباياهم في قامها واعلم
أن العدو قد علم أن مواضع الحذر وحالات الأمن وانخرطت له في حالات الأمان والمواضع
التي تظن العدو ولا يمكن فيها فمكن أحذر ما يكون فيها وسائر حكم هذا الباب قد قدمنا
في تراجم كتابنا

• (فصل) • قال غيره لا ينبغي للملك أن يكون له أيام • اليوم يظهر فيها فان في ذلك خصا لا
مذمومة منها انه قد يعوق عن ذلك اليوم • ملكهم أو بعض كل أوله • فتمتة فليزسه
الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لآخر ما نطاوات الاعناق من
الرعيه وكثر كلامها وقالوا مرض أو مات أو أماته آفة فيكيب العدو جرح أو سرورا
ويكسب الولي حزا وجبا ومنها انه قد يواعد عدوه ليوم يلتقيان فيه فلا يلم ذلك • ولا ينبغي
أن يكون الملك كثير التصرّف عند فساد الزمان وخبت الرعيه وعن هذا قالت الحكماء اذا
كان الجبل كثير الغفر كان نصيب الذئب

• (فصل) • من نوادر كلام العرب من حكم أكرم بن صبيح وهذا رجس كان له عقل وعلم ومعرفة
وتجربة وقد علق الناس عنه حكما لطيفة والقوافيها تصانيف فمن حكمه قال من فسدت
بطائسه كان كمن نخص بالماء أفضل من السؤال ركوب الأهوال من حسد الناس بدا
بعضرة نفسه العديم من احتاج إلى لثيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل
فرصة تنال لا وفاء لمن ليس له حياء قد ينهر السلاح في بعض المزاح من وفي بالعهد فاز
بالجسد الموت يدنو والموت يلهو طول التخطب يورث الوصب ربي عتق شر من ردى من
أه طمع قوما احتاج اليه يوما ما الكذب بهت والخلف صفت من لم يكف اذا أهق ما ساء
الحري تخافني لأن من نفسه واقتمت بحسن تسوية وجبته ليس بانسان من ليس له اخوان
أنف من ريفك ان صحت من هودونك عليك بالجماعة لم لا تدوم له مواصلة في الاسفار
يدو الاختيار أفسد كل حسب من ليس له أدب أفضل الأفعال صيانة العرش بالمال
ليس من حادث الجهول بنى معقول ليس للملطف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد
أقيل وقال ما جلا منك النسيان مثل البيان ولا تقى عنك الهتان مثل البرهان لم ينج من
الموت غفلة ولا تغفل اذا أردت طرد الخرفه الهوان كثرة العال آية البطل

كثر النعمة أو لم وصحة الاجتناب من الكرم ليس الشيم بالان والخذعة فانها خلق
 لنسيم المحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وبسباب قد هاجم العتاب الصدود آفة
 المقت سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدر استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب
 ولا كل غائب يوبى ان من الفساد اضعاف الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب
 فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قرب المزاح يورث الضعاف من سأل عن الرفيق قبل
 الطريق وعرا الجار قبل الدار غنك خير من معين فيك من أجدد المدير اذكر المقل
 استعور أنحك لما يعلم فيك لا تكفر من المزاح فتذهب هيتك ولا من الضحك فيسخر
 بك مرأ أكثر من متى عرفه كفى بالحلم ناصرا لئلا تهتم الصنعة نعم التي الهدية يبر
 يدى الحاجة وبما يصح غير الناصح وبما غش المنصع الكلام فيما ينفعك خير من الكون
 والمكون مما يضرك خير من الكلام لا يفرك من جاهل قرابة ولا جوار ولا قلب فان
 أقرب من يكون من النار قريبا أقرب مما تكون منها تلها ارض أهل الذممة تتركز المهابة
 دعي مجاملة أهل الرب على كل حال فانك ان لم تدرك لم تعلم من سوء المثال الكرم شكر
 البلاء واللوم كثر النعمة أكره الصنائع الامة الصدور ان تعلم من الناس حتى يسلموا منك
 من عدم الامكان لم تزده الرواية فقها الحزن مفيدة للعقل ومقطعة لليلة كثرة النوم امانة
 للقلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محاذة الحق والسفها موقوف والخلق الدليل
 على الحق انجاب المرء بقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كن
 قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحذنه فليس بما يحب أدب من عرف
 بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من بعده قوى عدوه وقصر
 بنفسه اغترق في صدقتك من غضب من غيرتي رضى من لائى من غضب على من لا يقدر
 عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف به
 كف ظله كل انقهر هلاكه شخ الغنى فضيخته من لم يتورع في كلامه اظهر فجوره كل نفي
 لا يوافق الاجف فاعلم انه صواب اذا غلبت امرأتك فجاهد ما ظن اعدوك من لم يعرف الخير
 من الشر فالحقه بالهائم من طلب ما عند البخل مات جوعا جارا الرجل الجواد كجوار
 الجور لا يخاف العماش وجار البخل في المعازة هالك اذا لم تقنع بمصادقة الاحياء مات أهل
 القبور من عادي من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقوم والمريض محروم من كثر كلامه
 على المائدة غش بطنه وابغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل
 يستظم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرجع للثام فليس له نصيب في المرواة اذا كان
 لثام جارا وصديق لا تقنع به فصور مثله في الحائط فانه أزين للحائط وأخف للموتة العاقل
 يرغب في الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فقه الادب لم الهمت لانه تنطق من
 تكلفه العاقل يتم رأيه في نفسه والجاهل يقيم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه
 من أظهر محاسنه ودفن مساويه بكل عقله من غلب هواه عقله اقتنع من استشاره عدوه في
 صديقه أمر بقطيعه مصادقة الكرام غنية ومصادقة الثام ذميمة لا تدخل على صديق
 التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انتطع رجاءك عن صديقك فالحقه بمدرك من طلب

مرضاة الاخوان بغير شيء فليصادق أهل القبور العاقل ليس في مصادقته مخادعة رأس مال
الاحق الخديعة وقائدها الغضب والحليم رأس ماله الصمت وقائده الحلم اذا جهل عليك
الاحق فاليس له سلاح الرفق واللفظ صديق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حقه من أنزل
نفسه عاقلا انزله الناس جاهلا من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رفاخته السكوت عن
الاحق بجوابه السكوت يزين الاحق والكلام يشينه من استطال عليك بجلده وتحلى بفضله
فلأكثراته في الناس مثله الجواد محبب والبخل مبغض اذا جلت البخل مؤنة أيديك
الحرمات والعداوة البخل يمنع ماعنده ويجعل على الجواد يجوده من طلب من البخل حاجة
فهو شرمته من بذل لبخل صلته ورفع عنه موته دامت له موته ضيف البخل آمن من
الغمة من طلب من لثيم حاجة كن طلب السمك في المقازة عدة الكرم نقد وعدة التيم
تسوية الكرم يواسى اخوانه في دولته والتيم يشطعهم لا تخضع لثيم فإنه لا يعطيك انما
الصدوق الذي يذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند الغيب ويقعك
عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الأمير من لم يتصلبك في المداقة فعاده من غشك
في العداوة فلا تله من كان الناس عنده سواء لم يكن له أصداء من صادق الاخوان بالمر
كافؤ بالخدر من لم يواسى الاخوان في دولته خذل عندما منه اياك أن تنجى موته من يحسدك
فانه لا يقبل احدا من حسدك على علك لم يسقم حديدك الحاسد يفرح بزلتك ويعيب
صوابك اذا رأيت من يحسدك وبسر لك ان تسلم منه فم عليه أمورك من صبر على موقة الكاذب
فهو مثله وكل شيء نقي وموقة الكاذب لاثني من بذل لجهله فكانت به بخلك نغمة أول المرأة
طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة التفاحاة الفاجر لا ياتي ما قال والورع يتعاهد
كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوء قد تقرر الى مضنة عينه من لم
يقبل الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان
لا تحقر الفقير السري ولا ترغب في الغنى الذي من تشبه بالسرعة وظلت عليه الداء فلا
نكره من أغضبته أنكره من أغنيته أعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة
من صانع عمله لم يجتهد من طلب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم أنكره من
شجع عليك بأنفه وطمع يصره ولم يدخل عليك فضله فليمن عليك سلبه السقي يقطع موقة
لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المرأة ثقيل من عالم الناس غم خذلان الجوارم
رجال البلاء قليل احفظ اخوانك تذل اعداءك ما أجل الصبر على ما لا بد منه المحروم
من طال نصبه وكان لغره يشبه لا قوى أقوى من قوى على نفسه ولا عاجز اعجز من عجز عنها
الخير في أهل غريب ما أضعف قوتهم يغالب من لا يغلب

(الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منشورة)

اعلم أيها المريد أن الله تعالى غنى أنبياءه وأصفياه بأعدائه ويضطر أوليائه وأجابه الى أعدائه
رفعة وتقريلا لآبائهم وتحمصاته قوائ أوليائه وذخرا لهم عنده وزلي لديه تعظيما لأقدارهم
وتشريفنا منازلهم وترفعنا أدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعزبه لئيمه محمد صلى الله عليه وسلم
لنعظيم ما كان يلقيه من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن

يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
 الجرمين يا محمد لا تسوحن منّا ولا تمهنا في سيرتنا فين تحبه ويحبنا فالبلات على وجهين
 أحدهما الذنب والآخر رفع درجة وتوقير أمر ولذلك كان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون
 ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلاء أن بلاء درجة تصيف درجة وتخص سيرة وبلوغ نصيبه وعلا
 منزلة وبلاء عقوبة لانتها السوء واقرار معصية لن تحلوا المكافاة أن تكون لحادث درجة
 فلا رغبة عما أنتم الله به منها أو لسيئة عن اضاءة فلا غنى عن زاجر عنها فلا نى ذلك مكان
 سلوا بما عظمت به المنية ووجبت للهبة (وكان جعفر بن محمد) رضى الله عنه اذا وقع في شئ
 يكرهه يقول اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غصبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان
 المؤمن في رأس جبل لفيض الله له من رزقه بامن ضاق صدره ورح قلبه وسام خلقه من عدو
 ألقاه وحسد جسد طم نفسا وقر عيننا واثم عينا بشم اذ الرسول بالايان وعدوك بالانفاق
 يخرج من عقله أمالك في الدنيا أسوة أمالك في الصالحين قدوة فالوهم تلقى الله عز وجل من
 الحسنات الاباء افترقناه اختيارا اقتبنا الله تعالى فقرا من الحسنات ثقلنا من السيئات
 قال الشاعر قد نيم الله بالباوي وان عظمت ويئلى الله بعض القوم بالنيم
 قال بعض الحكماء الذي رأينا ما نحب فيما نكره أكثر عارا منا ما نحب فيما نحب وقال علي بن
 أبي طالب رضى الله عنه ما أهني ذنب امهات بعدد حتى أصلى ركعتين السجون قبور الاحياء
 وشاة الاعداء ونجربة الاصدقاء وأسعد الناس من كان القضاء له مساعدا وكان لمساعدته
 أهلا غلب على الكرم من بدرا اليه الشجاعة لزوم عوام الناس عفة لغواهم مجي القدر
 يسبق المذر من مضر من شئ حاقبه من غير شئ ابتلى به الخلق نوب المصائب مذاكرة
 الرجال تلقح لالبابا أقل ما في طلب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه
 أعظم جرما عليها من المعاقب عليها قرابة بغير منفعة بلبنة عظيمة النعمة منعة كئنا لأدبا
 لنفسك ما كرهتم غيرك الهية شوبو بالجهل الاتفة قوام السعة قل أنف لم يعقب ذلا
 القادر كين لا يؤمن من ازدحام الكلام ضلة الصواب عجلوا القرى قبل سوء الظن والحق
 السبة أعجب ما في هذا الانسان قلبه وهو ما من الحكمة واخذ من خلافها فان سخط الرجاء
 اذ لم يطمع وان حاج به النامع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قلبه الاسف وان عرض له
 الغضب اشتد به الغبط وان استعد بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغل الحذر وان اتسع
 له الامن استلبه الغرة وان حدثت له نعمة أخذته الغرة وان احصى بحسبة فضه الجزع
 وان أقاد ما لا أطفاه الغنى وان عصته فاقه أشغل البلاء وان اجهد الجوع قعدة الضعف
 وان أفرط في الشبع كطته البطنة فكل تقصيره مضر وكل افراط له مقصد أفضل القول
 بديمه امرئ وودت في مقام خوف أشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي هو فيه أولا
 ما أخذ الله طاعة أحد الا رفع عنه طاعته من العجب ان لا ترضى عن اتقى رضاك وأعجب من
 ذلك ان تسخط عليه زيرا لا يدب فيه سبب مولته علامة العلم العمل بالأعراض عند المناذرة
 لا تعادوا حتى تزرو لا تخروا حتى تغفلوا لا تأفروا حتى تطلوا أوجه الشفاء براءة الساحة
 من لزوم المحبة والاستقامة لزمته القبطة والسلامة قصص الاولين مواظبة الاخرين البعث

قوله بالأعراض عند
 المناذرة هكذا في
 الصفحة التي بأيدينا
 ولم يظهر معناه فليحذر

يوضع الحق كما يورى النور والقدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط
 غناه (قال جعفر بن محمد الصادق) عجب لمن يلى باربع كيف يفضل عن أربع لمن ابتلى بالضرب
 كيف يذهب عنه أن يقول سنى الضرو أنت أرحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا له
 فكشفنا ما به من ضرر وعجب لمن يلى بالتم كيف يذهب عنه أن يقول لا اله الا انت سبحانك انى
 كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك تجبى المؤمنين وعجب
 لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه أن يقول حسبى الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا
 بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وعجب لمن مكربه كيف يذهب عنه أن يقول وأعرض
 أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاء الله سيات ما مكروا وعجب لمن أنعم
 عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
 الا بالله كذا سنة الله سبحانه فمن صدق فى الصائمه اليه ولم يتوكل فى موائمه الا عليه هـ اليقين
 ما نعمة أو مذمة ألد الموارد من مخافة أو قدوم غائب بعد أن جاءت باليأس منه الركايب
 وأشر المصادر ظفر على قنوط الطبيعة بحالقة المروءة فاصبر لحق وجب عليك وان خالفه والذ
 بهاء المجلس الشريف بالرجل الفاضل اليقين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كهاء
 المياقوت واللؤلؤ فى تبيان الملوك ما أنور الهدى ما أظلم العمى ما أكرم التقى ما أخدع
 الهوى ما أسرع البلاء ما أجلد الصبا الجود أن يهضم الروح حظ الجسد والاسراف ان
 يهضم الجسد حظ الروح والعدل ان يعلى كل واحد منهم ما حفظه والشع أن تكف حظوظهما
 عنهما عـ ويصاف الله فيما تكبره خير من صديق لا يخافه فيما تحب من العجب أن تطلب فى
 صحة كل علم ما يفتنا وبكل العلم الى الله تعالى من غير بحث عن صحته لا يركع الباطل مما ترى
 به ولكن احذر ان يصدع عليك بالحق فيشمد عليك عيناك ووجهك من بطل رشائه بطل مضه
 الراغب فقير بقدر رغبته الحق يعطى ويمنع تجاوز عن ذنوب الناس لتعجب عليهم واجتنب
 الذنوب لتقل مجتهم عليك الفراغ الناضل عن الحليم مفردة الحجة احدى العلقين الفرق
 ينسب الحجة حالى العلية فى كلامك وسويتهم وبين السقطة فى أحكامك موت فى عز خير من
 حياة فى ذل الاكفاء من كل خط متباغضون ما ضاع امر وعرف قدر نفسه الدعة الهنية
 تكون به دافضا العمل ان يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن رفعة
 وعفا عن قدرة الحاسد يظهر وده فى كلامه وبغضه فى افعاله فاسم الصديق وه معنى العدو
 الرياء يقصد العلانية والحب يقصد عمل السريرة اذا كثرت القدرة قلت الشهوة من عرف
 قدره كفاه نفسه كنى بالتفرد شيئا للمذنب الى الحليم لسان الجاهل دليل حقيقته لا ظفر مع
 بقى ولا صحة مع نهم ولا شامع مع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره ما كفه نفسك أحق
 ما رد ما خالف شهادة العقل قطع ظهري وافسد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يحو
 الناس الى جهل ينسكه وهذا يخر الناس عن علمه بضعة من قوى هواه ضعف حزمه من ظهر
 غيظه قل كيد كنى بالظلم طاردا للمنفعة وداهيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك مروءته
 الهدية نفقة عين الحكيم عفو الراى خير من استكراه الفكر من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن
 ندد الله فقد نذر ما اكتسب بمنزل الكبر من استغنى بالله افتقر الناس اليه التفسير يحلل

عن الصواب الا فرطاً يجمعك في الخطأ ثلاث خصال ما اجتماعن الا في كرم حسن المحضر
 واحتمال الزلة وقلة الملافة كفي غير اعاقى ماضى وكفى غير اقوى الالباب ماجربوا التهاون
 بالطلب اول اسباب حرمانه شبه ظلة لن يضيع امره و صواب القول حتى يضيع صواب
 العمل خيرا لا مورا مراعاه وحسن عاقبه لا شرف مع سوء ادب ولا بروع شخ ولا اجتناب
 محرم مع حرص ولا محبة مع زهو باجالة الفكر به تخريج الراى المصيب وبحسن التانى تدرك
 المطالب وبالصفة يكثر المتواصلون الفاحشة عار الابد وعقوبة عذ الشامة تعقب الندامة
 من محتر ابتلى قال الله تعالى ان تسخر وامنافا ناسخ منكم كما تسخرون اذا فقد المتفضلون هلك
 المتجملون رب صباه غرس من لحظة وسحب جنب من لفظه ماشاهد على غائب يادل من
 طرف على قلب شر المال ما لا يتفق منه افضل المال ما صين به العرض وبالا فضل تشرف
 الاقدار الذى ~~يس~~ ون سببا لفساد نفسه اذل بمن يفسده عدوه اودهره لا تفقد ودبعة مالا
 الشموه ورق الجرب يصركب يعبر على الانسان الانسان وعلى المودة العينان لا شرف اعلى من
 الاسلام ولا كرم اعلى من التقوى ولا شفع اعلى من التوبة اولى الناس باهر من حافظ عليه
 الخير موضوع ان اراده موفور وان على الله الرغبة مفتاح الطلب ومطية الحسرة الحرص داع
 الى الحرمان التفل بالحسنة بنى السبلة المكافاة بالسبلة دخول فيها البنى سائق الى الحين
 اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود حق المذموم التأيب وحق المرحوم المعونة من الجهل
 والجاه اظهار القرح عند الهزول الهزول يحقد على القرح ويشكر المكتتب من ظل
 السلامة تدب آفأى الآفات أعظم الناس قدرا من لم يجعل الدنيا لنفسه قدرا ما أحدث
 يحدث بدعة الا تزلجها سنة عزائم الامور وخيارها ومحدثات شرورها الملك يكسب من اتفاقه
 والعامية تتفق من تكسبها من آفأى عمره في جمع المال مخافة العدم فقد أسلم نفسه للعدم
 (قال الشاعر) ومن يتقو الساعات في جمع ماله مخافة فقره فالى فعل الفقر
 من لم يقدر على جمع الفضائل فلنتمكن فضائله ترك الرذائل اذا لم تمكن لها تصلح فلا تمكن ذباها
 تفسد استصلاح بعض العدو وأفضل من اهلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره ويرى في عدوه
 ما يسره خيرا الكتب ما اذا عاد فآثره النظر فيه زاد حسنه أو وقف على خيره أنقل الاحال
 من اتسعت مروءته وقامت قدرته استضى من الله بقدر قربته من عقله وأطعمه بقدر حاجتك
 اليه وخففه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار واعمل لا الدنيا بقدر بقائك فيها
 واعمل لا الآخرة بقدر مقامك فيها الملك يتقى ليكتب والعامية تكسب لتبقى الطاعة بقدر
 الفاقة يفحص زوال النعم اذا زال معها التجميل اولى الامور بك واجها عليك الدنيا العافية
 والشباب الصحة اذا قبل الامر أسرته واذا أدبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية
 واذا جاز لم يملك منهم الا الراء والتضع الصدقة من سعة وابدأ بمن تعول اذا أضرت التوافل
 بالقرائن تركت النوافل وقدمت القرائن قدر الرجل على قدر همته وصدقته على قدر
 مروءته وشجاعته على قدر أفته ونعمته على قدر غيرته من أطاع الواسي ضيع الصديق ومن
 جعل لنفسه حظا من حسن الظن روح قلبه شرمالك ما زلت اثم مكسبه وحرم منفعة
 اتفاقه رب مغبوط بليله قامت بوا كبه في آخرها لا ترج خبر من لا يرجو خيرك ولا تأن جائب

من لا يأمن جانيك نازك الطلب خبير الرجى للعودة من نازك خورا غرات الشهوات المخازى
الخصومة قرض القلب أعم الأشياء فمعا فقد الاشرار من استكنى الكفاة كنى الاعداء خير
مالك ما اعتاك وخير منه ما وقل صولة الكرم سلمية ذنب أسد خير من رأس كلب يجبهه العبر
يفسدى صافر القرم من استبدى به خفت وطأنه على اعدائه انما الحسن ذيك ما أصحت به
منوالك من أمن الزمان حاته ومن تعزز عليه اهانه كما يجب ان تكون المرأة أضوا من الناظر فيها
فكذلك يجب ان يكون المردب أفضل ممن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما ينبغي
ليس فى الشراسة ولا فى الخطا قدوة لن تكون لله فاصحا حتى تحب عدوك اذا أطاع الله فى
عداوتك على عداوته وتقلع عما عادك عليه وتغضض وليك اذا عصى الله فى موالاتك وتترزع
عما والاك عليه لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان الشئ من جمع لغيره وضيق على
نفسه شر أخلاق الكرم أن يمنع خيره من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن
كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند غلته أفضل المال
ما قضيت به الحقوق البدع فخاخ مخبوءة قد علفت عليها القاطا ظاهرة رجا العامة أمنية على
ضلالة ودجا الخاصة يقين على ثقة القليل من الملك كالكثير من غيره عطاء المملوك زينة وسؤاله
شرف وفى الامثال جاور بحر أو ملكا اذا كذب الفقير بطل التدبير اخبت الازمنة زمن
لا يميز فيه الصواب لا تخطوا فى الفضول ما خضم العجز عن الحقوق الاذان اقناع تؤذى
والقلوب قوا بل نعى من أحب أن يسعى داهيه الى يظهر دهاه لادليل اهدى من التوفيق الجلاء
البلاء من عرض نفسه للثمن فلا يلوم من أساء به الظن الحفظ قيد العلم المدارس اذ كاه القهم
المقاسبة احياء القطن استدم النعمة بالشكر والقدرة بالفقر والطاعة بالتألف والنصر
بالتواصل لله والرحمة للخلق استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة اشياء تدل على عقول
أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهبة تدل على عقل
مهديها ليحكم على العقول حاكم كالعبر ولم يحكمها محكم كالعبرة من عاب سقته فقد رفعه
ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه آحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الآخرة صم من صمت
سرائره وسقم من سقمت غواهره بالكلام يعرف فضل العقل كبا الرسول يعرف قدر المرسل
ملاك أموركم الدين وعصمتكم التقوى وزيقتكم الادب وحسن أعراضكم العلم اذا
أعطيت ما لا ترضى فارضى بما أعطيت كلما ازداد الخير كثرة كان الظاهر منه اشتد حسرة
وبقدر السمو فى الرفعة تكون وجبة الوقعة الابقاء على العمل أشد من العمل من التوفى
ترك الافراط فى التوفى وتورث الحرمة والناماسنة فى المروءة كمان وراثة التركة مريضة
فى البداية لا تدمن امرأيا كثر من قدره فتكون مهينا لنفسك كذا باعلى غيرك لا تفرحن
بسقطه عدوك فأنك لا تدري متى يحدنها الزمان بك من الجفاء الكلام فى الامر الجسيم من غير
مشاورة أكثر الناس مخادعة لنفسه فى أمر جسده عند الحاجة وفى أمر مروءته عند الشهوة
وفى أمر دينه عند الشبهة المصائب بقتات العاقل المدبر أربى من اللاحق المقبيل أشرف
الصنائع ما لم يكن مكافأ لما ض ولا رجا لما بق أرض الظلم كأنه وأنس للملئ ثم استمع
منه لم تكن غواية ولا هداية الا واليه ما سبق وعنه ما ناكس احسانك الى الخير يحرضه على

المكافأة واحسانك الى الخسيس يعينه على معاودة المسئلة ليس ينقص الاديب أن يكون
فاعلا للغير انما ينقص أن يكون نارا كالنشر من صنع معك خيرا فاضعه له والا فلا تميز ان تكون
مشله الاشراو يتبعون مساوى الناس ويغفلون عن محاسنهم كناية عن الذباب المواضع
النظرة من الجسد ويدع جميعه الطرف فطنة ما زجتها عبادة مع حذر ووق فاذا خلت النظنة
من التوفى فصاحبها لا يستمتع به أهل المرواة واذا خلت النظنة من العبادة وقارنتها فصاحبة
فصاحبها غير طيب الطرف الالتقاط التي يرتفع عنها أهل الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا
والمترفين في ظاهرها الحال (وسمعت القاضى) أبا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة يقول أول
من نطق به هذه الكلمة محمد بن الخطاب رضى الله عنه وذلك انه أتى بسارق فقال له أسرقت قل لا
فقال الرجل لى لافقال عمرانك الطريف جهد البلاء الاقلال والعيال ينفي للعالم ان يتطامن
للجاهل بقدر ما رزقه الله عليه العقل أفقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام
والشراب أعظم الناس غم لمن زالت نعمته وبعثت شهوته وضائق حقد ربه قلة العيال
احد اليسارين معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحياة عند الغضبة
والصبر عند النصيحة سهلت عليه المعاشي كلها العالم مثل السراج من مزبه اقرب منه
من تقدم بحسن النية فصره التوفيق ان تكون لله ناصحا حتى تحب أن يكون عدوك طيعا
من اذى الناس بلا سلطان كان مصيره الى الهوان مادح بما ليس فيك مخاطب افسرك
بخوابه وثوابه ساقط عندك المكروا والندبة في النار الاحداث تأتي من على ما منه يؤتى
الحذر المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدو ومن غضب على من لا يقدر على
غمه عذب نفسه واشتد غظه اطلب ما يدعيك واترك ما لا يعينك فان ترك ما لا يعينك
درك ما يعينك من انك الاشياء لعدوك انك تريه انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء
عن الشيء خير من الاستغنا به ومن خير خبر ان تسمع بالمطر لا خير مما يزل ولا غنى فيما
لا يبق شر العيوب ما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل
الكتب حاول الامور بالنصفة وأنازعك بالظفر من أراد جالا لا تدمه الايام فليصحب
المرواة والصيانة فهما دورة الشرف رب امره ما بعده من سبق اليك كان له صفوه من شروط
المرواة الثقات للضعيف المرواة ترك الريية يكاد استقصاء القوى على الضعيف أن يكون
ظلمه يكاد استيفاء القوى من الضعيف ان يكون جورا القرآن ظاهره أبقى وباطنه عبق
أوله حكم وآخره علم الهادئة على الطعام تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض
لن تال ما تحب حتى تمهر على كثير مما تكره ولن تجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهاب البصر خير من كثير من النظر لان تعد العزم عزما اذا ساق غما مع الراى الاول الوهم
النظرة بعد النظرة تعقب ما قبلها وتزبد لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تركية انم
الناس من كنى امرئ ذياه ولم يمه دينه القريب من قدا اخوانه وقترانه وان كان في وطنه
القريب من لاصديق له القريب الفقير القريب الاحق القريب من لناصره شيان
لا يسهى العاقل منهما المرض وذو القرابة الفقير من كانت النبا سبب صلته فانها سبب
فطبعته فاحذر ان تجعلها وسيطا بينك وبين أحد علامة الاشرا أن من خاطبهم لا يعلم منهم

ومن تركهم لا يصرفوا شرمهم عنه وأما الاخيار فين خالطهم بريح عليهم ومن غالطهم تركه رشده
 البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة من عتب على الزمان
 طالت معتبته ستاق الى كل ما أنت لاق اذا ذهب الارتياح الرشاد وجد المراد ما اعتق
 من الذم من ملكه الجهل ولا تظفر بالعزم احتمل ما في المعصية من القتل ولا خرج من الدناءة
 من صرف جميع عقله الى الدنيا اخو الظلام مريب المسئلة آخر المكسبة ما عد من أهل
 الجحى من كان من أهل الهوى ولا كان من أهل التقى من حاد عن سبيل الهدى من ذم أدنى
 الاحسان لا متنازع اقصاه لم يحمده شيأ منه من دواهي الهلكة اضاعه المعرفة واعجب لمن يني
 داره وجسمه يهدم ولم يدير أمور الدنيا واموره في نفسه تحتل (قال علي رضي الله عنه) من
 لم يكن معنا كان علينا والسالك اخو الرأى الكاتم للعالم كن لاعلمه أو هو غير واثق فيه
 بالصواب المرء مخبوء تحت لسانه قيمة كل امرئ ما يحسن العلم بما في الصبيحة من الثواب
 ينسى المصيبة شرم من المصيبة سوء الخلق منها الحكمة ربيع القلوب انحصرت تكشف
 العورة وتورث المعزة بلا المؤمن من عافيته كالنارح يتهامن نورها قد يكون اليأس
 ادراكا اذا كان الطمع هلاكا من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الذلة
 مع القلة تجوع الحرة ولان كل بنديتها موت عاجل خير من ضنى أجل الغضب عند
 المناظرة منساة للجنة الاختصار انبت المتكلم وأفهم السامع الكلب في الحاضرة ينبع الضيف
 ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب في البادية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع
 السارق لا تعتبر قول الجاهل لك ان في يدك لؤلؤة وانت تعلم انها عرة مثل الصلاة مع سائر
 العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت أصيب الكل الحب
 والبغض قسنة طلب المطمع حزن وطلب المؤيس عجز قد ينظر المنطق من يعنيه اذا فسد
 الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفقت وصار خوف المومر أكثر من
 خوف العسر لقاء أهل الخير عمارة القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد لنفسه الواحدة بالعمل
 يحسن المطلق وبالقوة يتم العمل الفكرة مرآة من أعظم الناس من قل ماله وكثر مجده
 الادب مع العقل كالشجرة المثمرة والعقل بلا أدب كالرجل العقيم الماء أليق من القول
 والقلب أقسى من الحجر وقد ينلم الماء الحجر اذا كثرت فحارده عليه اشد الاشياء اخفاء الصفاة
 أولى الناس بالرجة عالم يجرى عليه حكم جاهل لم يغب من شهد رأيه ولم يفن من بق أثره ولم يمت
 من خلد عمله وقد سبق المثل ليس بهالك من ترك مثل مالك كما انه قبيح اذا وكننا الخيل أن
 تجرى بنا حيث أرادت دون أن نديرها ~~كذلك~~ قبيح أن يجرى البدن والنفس بالعقل حيث
 أرادت من الشهوات أشق الامور معرفة المرء بنفسه عائب المجتمع عليه مججوج ليس شئ
 من البر الا ودونه عقبه من العبر ضرب الانسان عاريا قوت ووتره مطلوب (قيل للحكيم) هل الغضب
 مائة تحسه قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب أن يكون مطاعا أبدا ولا يجب أن يخدم أبدا
 ولا يجب أن يحفل خطوه أبدا ولا يجب أن يصبر عليه أبدا بل قد يطيع ويخدم ويتحمل الخطا
 ويصبر على التوايب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان غضب فقليل السعيد ومن وعظ بغيره والشقي
 من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا ينفع ضوء الشمس لمن لا يصبر رضي بالذل

من كشف ضره بقر التورع وأزرى بنفسه من استشر الطعم البدع فخور بسره وأخوفه
 الكلام وخدع المال الناس في الدنيا بالآخون وفي الآخرة بالأعمال صديق الرجل عقله
 وعدو حقه من اجتمعت اليه النعمة أدبت له الرغبة يحفظ الاحق من كل شيء الا من نفسه
 لا جود الاعمال ولا صداقة الا بوفاء ولا فقه الا بورع العليل الذي يشتهي أربحى من العجيج
 الذي لا يشتهي قلوب الرجال وحشية في نالها أقبلت عليه اجعلوا بينكم وبين الحرام سيرة
 من الخلال لقاء الرجل احلامه - لالههم من لم يصلح على تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه
 والاحلام فرح وهم كاذب والعامق بها كالمعقد على الظل الزائل العبادول فما كان منها لك
 أقال وما كان عليك لم تهو على دفعه العافية خير من الواقعة الكرم لا يسخى من اعطاء القليل
 العفاف زينة الفقير الكرم حسن القطنة والكرم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على
 ميل الهوى به من حق النعمة أن يرى أثرها من كان شبعه في الطعام لم يزل جائعا ومن كان
 غناه في المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده بجوانحه الخلق لم يزل محروما ومن استعان في أمره
 بغير الله لم يزل محذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه
 ما تقص منه وما تعمل بغيرك نوره وعليك بوره واجعل لمن يختار الذلة في طلب ما يشي على العز
 في طلب ما يقي من حذر لك كن بشرك النفع جناح الطالب اذا أبلت الدنيا عليك فاتفق
 منها فأنما الاتقى واذا أدبرت عنك فاتفق منها فأنما الاتقى قال الشاعر

فاتقنى اذا أبسرت غير مقتر * واتقنى على ما خلت حين تعسر
 فلا الجود يفي المال والحظ مقبل * ولا الجذل يفي المال والحظ مدبر
 (ولغيره)

لا تظن بدنيا وهي مقبلة * فلن يضربها التبدير والسرف
 وان تولت فاحرقى ان تجود بها * فالتكرم منها اذا ما أدبرت خف
 الغريب في كل مكان مظلوم من سلك الحذار أمن العار لم يحور حسب القصد بجبالهم
 يستجمل الفقر الذي منه هرب ويقوته الكرم الذي آناه يطلبه فبعيش في الدنيا عيش الفقراء
 ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء من يطل ذيله بكرويه (وقال على رضي الله عنه) ما يظن
 فعل الله يتطرق به غثك خيرون معين غيرك ان احببت ان لا يعرفك ما تشتهي فاشته ما يملكك
 من قصدا سهل ومن أسرف او عر القصد اخو الحماة شر السيرة الحقيقة بوي لفسك في
 المجالس مجلسا لا يقصر بك ولا تقام عنه اقطع الثمر من صدر غيرك يقطعه من صدرك واذا جرد
 الذي بابابة الحسن لكي يرغب في الاحسان لن يهلك من ماله ما وعظك الخلاف بهم
 الرأي خبير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفور عنهم أم صبح مصرا على ذنب
 مستور يصير الخلق خلقا بالاجتهاد والاعتقاد انجر العصب في البنيان رهن على الخراب رجاء
 شرقا رب الماء قبل ربه رب راي اتقع من مال وحزم أوفى من رجال من استوعب الحلال
 نأقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمدا الاخوان بقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال
 من عرف الزمان لم ينجح الى ترجان من عرف الايام لم يفقل عن الاستعداد رسول ترجان
 عقلك الطاعة عنيفة الا يكاس عند تفريط العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج

التنامي كثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عى أو حسد أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فخرها من لم يدركه والبلية لم يرحم أهلها كفال أبا النفسك ما كرهته لغيرها مجالسة الاحق غرور والقيام عنه ظفر لانسأل عما لم يكن فان في الذي كان شغل البخل جامع لمساوى العيوب وهو زعم يقنديه الى كل سوء اذا صغ القلب وصح العمل كان التوفيق احراز العواقب والاجتهاد والاجتهاد اربح بضاعة التوفيق خير فائدة كمال العمل التوفيق من ترفق في استقام الحظ من البغية أدركه وبلغ مقاربه التنامي في اخلاقهم امن من غوائلهم لا تنتظر الى أحدا بالموضع الذي رتبته فيه زمانه ولكن انظر اليه بعمقته في الحقيقة فانها مكافئة الطبعي أبعد الناس سفر امن سافر في طلب أخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة من البركة (وقال داود عليه السلام) ان كان ماترى من الجهل يفيظ اذن يكثر الجهل وبطول نحمك (قيل ليزجرهم) ما لكم لانما تبون الجهل قال لانما تربى من العيان ان يبصروا العشق مرض نفس فارسة لاهمة لها اجالة الفكرة واستفراج القطنة تتبع الاسماء تنفذ وتمتبع الندم بالاقلاع الامن بالبراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء تنفذ فقد الاشرار من بذرعداوة حسد ندامة السمعة للسانة وللرجال غفلة (قال المسيح) عليه السلام ما لم من لم يصبر عند الجهل وما قوته من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه عبادة النوى المحي في غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل للحكيم) أخرج الهم من قلبك قال ليس باذني دخل من اغتر بجهاله قصر في احتياله اياكم وطلب الامور من غير وجهها فيعينكم طلبها ولا تدركوا عظمتها هية الزلل فوز الحصر (قيل للحكيم) لا شيء تزوجت امرأة دمية وأنت وسيم قال اخوت من الشراقة (وقيل للحكيم) ما تقول في الرواج قال لذه شهر وهم دهر فتنة عالم الى البليس خير من غوايه ألف جاهل غنى المعائب ولا تنحى المعاذير الموالاتى الاسلام بمنزلة الحلف في الجاهلية سب الجاهل للحكام تشريفهم عند أهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله وكان الحكيم يتألم بعديت الجاهل كذلك الجاهل يتألم بسماع الحكمة اغنى الناس عن الحق من عظم قدره عن المحاذاة الكبير الهم من الرجال من كان عصف الناصع عنده الطف موقعان ملق الكاشع ان كانت الحدود دهي الخطوط فبال الحرص وان كانت الامور ليست بدائمة فبال السرور وان كانت الدار غدا فبال الطمأنينة (وقال الشعبي) ما رأيت الله سبحانه وتعالى أعطى عباده أجلا من الحلم (وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشي من أمر الدنيا والاخرة لم تعرف الوثيقة في أرومته والدمائة في خلقه والكرم في طبعه والتبلى في نفسه والتعاقر عند ربه (قال أبو عبد الله بن جدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوم الى رصافة هشام بن عبد الملك فنزل الى قصره هاتم خرج فرأى ديرا فديما هنالك حسن البناء بين مزارع وانهار وأشجار قد سله فيناهو يطوى اذ بصير برقة قد الصقت في صدره فامر بقله فاذا فقم هذه الايات

أما نزل بالدير أصبح خالبا • فلا لعب فيه شمال ودبور
كان لا يسكنك يض أو افس • ولم يتبحر في فناءك حور

وأبناء أسلاك غوائهم ساحة • صغيرهم وعند الإله كبير
 إذا لبسوا ادراعهم فهو أبس • وإن لبسوا نجايتهم فبدور
 على أنهم يوم القضاء ضراغم • وأنهم يوم التوال يجوز
 ليلى هسلم بالرفافة طامن • وفيك ابنه يادير وهو أمير
 إذا العيش غرض والرفافة لذة • وأنت طريب والزمان غريب
 وروضك مر ناد ونورك مزهر • ويعتبر بنى مروان فيك فضير
 بلى فسالة الغيت صوب صائب • عليك لها بعد الرواح بكور
 تذكرت قوى فيكنا فكيكهم • بشجر ومثلى بالكاه جدير
 فعزيت نفسي وهي نفس إذا جرى • لها ذهـ رتوى أنه لزنير
 لعل فما ناجار يوما عليهم • لهم بالذي تهوى النفوس بدور
 فهم سرح محزون وينم بانس • ويصاق من ضيق الوفا في أسير
 رويدك أن الدهر يتبعه غـ • واسرور الدوائر تدور

فلما قرأها المذكور ارتاع وتطير وقال أعوذ بالله من شره قدره ثم دعا صاحب الديرة فسأله
 عن كتبها فقال لا علم لي به • وأما الكتب وصفاتهم ففصل عن الوصف ولد أدهم حسن ابن الجهم
 في قوله

سعيد إذا جالسته كان مـ • فؤادك بمافي من ألم الوجد
 يفيدك علما ويريدك حكمة • وغير حود أو مصر على الحقد
 ويحفظ ما استودعته غير غافل • ولا خازن عهد على قدم العهد
 زمان ربيع في الزمان بامر • يبيحك روضا غير ذاو ولا جهد
 يتور احيا ما بورود بدائع • أخضر وأولى بالنفوس من الورد
 وأشد بعض الهم

إذا ما خلا الناس في دورهم • بنجر سلاف ونحو كعباب
 وأنهم في ظلام الجهال • لغير الندائ وهو السحاب
 خلوت وصحي كتب العلوم • وبيت العروس بيت الكتاب
 ودرس العلوم شراب العقول • فدوروا على بذالك الشراب
 وما يجمع المرء في دهره • سوى العلم يجمعه للتراب
 ومن ملج ما يشد في الكتب

إذا ما خلاوت من المؤنسين • جعلت المؤانس لي دفتري
 فلم أخجل من شاعر محسن • ومن علم صالح منذر
 ومن حكم بين أثنائها • فؤادك نظر القدر
 وإن ضائق صدري بليراه • وأودعته السر لم يظهر
 وإن صرح الشعر باسم الحبيب لم أحتمه • ولم أحصر
 وإن هددت من ضجيرة الهبا • وبب انطليقة لم أحذر

وإدعت فيه كرم المغييب • لتدعائه طيب المخبر
فلمست أرى مؤنسا ما حيت • عليه نديما إلى المحسر
وأشد ابن حزم لبعض الأدباء

إن حبنا الملول تاهوا علينا • واستبدوا بالآراء دون المجلس
أوصبنا التجار عدنا إلى التفكر • وصرفنا إلى حساب القلوب
فلزمنا البيوت تخذ الحبر وغلايه • وحرمة الطروس
لوتر كنا وذاك كنا فخرنا • من أماننا بعلق نفيس
غير أن الزمان أعفى عنه • حددونا على حياة النفوس
وأشد غيره

أنست إلى التفرط طول عمري • فخالى في البرية من أنيم
جعلت محادثي وديم نفسي • وانسى دقري بدل العروس
قد استغيت عن فربي برجلي • إذا سارت أو فصل كبوس
ولي عرس جديد كل يوم • بطرح الهم في أمر العروس
فبطني مفرق والخرج جسمي • وهما في نفي أبدا وكبسي
ويبقى حيث يدركني مساني • وأهلي كل ذي عقل نفيس

ولئن كان الناطقون قد وضعوا الجودوا • وقالوا فابلقوا فلفقد قصرنا وأجل بمدوح من
استقص في مدحه المنتهى • واستزرق في تقريره المتهمل وكيف لا والكتاب نعم الأيس في ساعة
الوحدة ونعم المعرفة يلاذ الغربة • ونعم القرب والدخيل ونعم الوزير والتزيل وعالم ملي علما
وظرف حشى ظرفا وأناه ملي مزاج • وجذابستان يحمل في ردت وروضة تتقلب في حجر هل
سمعت بشجرة تنوي كلها كل ساعة بألوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تنوي
وزهر لا تنوي وغر لا يفتي ومن لك يجلس بفسك التي وخلافه والجفس وضده ينطق عن
الموق ويترجم عن الأحيا إن غضبت عليه لم يغضب وإن مضطت عليه لم يجيب اكتم من
الأرض وأن من الريح والهوى من الهوى واشدع من المني وامتع من الضحى وانطق
من صبيان وائل وإعبي من باقل هل سمعت بعلم واحد تنجلي بحال كثيره وجمع أوصاف غزيره
عربي فارسي هندي سندی رومي يوناني ان وعظ أسمع وان الهوى أمتع وان ابني أدمع
وان ضرب أوجع بفسك ولا يستفيد منك ويربك ويستريك ان جدي فسر وان مخرج فخره
قبر الاسرار وحرز الودائع قيد العلوم ونبوع الحكم ومعدن المكام ومؤنس لا ينام بفسك
علم الأولين ويحبرك عن كثير من أبناء الآخرين هل سمعت في الأولين أو بفسك عن أحد
من السالفين جمع هذه الأوصاف مع قلة موته وخفة عمله لا يركنك لشيء من ذلك نعم الذنير
والعدة والمستغل والحرفة جلس لا يضربك ورفيق لا يملك بطبعك بالليل طاعته بالهار
وطبعك في السفر طاعته في الحضر ان أدعت النظر إليه أطال امتاعك وشهد طبعك
وبسط لسانك وجودناك ونغم الفاظك ان القنة خلد على الأيام ذكرنا وان درسته ورفع في
الخلق قدرنا وان جلته قوة عندهم باسمك يقعد العبد في مقاعد السادة ويجلس السوقة

في مجالس الملوك ما كرم به من صاحب واعز به من مرافق وقد قال فيه الاول
لناجلساء ماعمل حديثهم * البامأموفون غيبا وشهدا
يقعدون تمان علمهم علم ماضى * ورأيا وتاديا وعقلا صددا
بلاقنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا تسقى منهم لسانا ولايدا
فان قلت أموات فأنت كاذب * وان قلت احياء فليست مفقدا
فهذا ما أردنا أن نغلبه في هذا الكتاب فاكتبوا ان شئتم انفا سه ان كانت الانعام مما يكتب

• (قال المتوسل الى الله سبحانه بخير من وطئ البساط طه محمود قطرية
المسئوب ثألى دمسباط المصحح بدار الطبع أدام الله مجال
سلكه بدوام السماوات الزرج والارض ذات الصدع) •

الهناء اذا الختان. ويلما فذا الحكم وغالب الامر وقوى السلطان بسلطان مجده اعترت كلمة
أولياتك وتغدا أمرك في اهل أرضك وممالكك سبحانه ويحكمك أدلت الكون على ما رزيت
ان يكون العباد ووليت الامر من تحقق بعز يد الصلاحية والقيام بحق السداد وانطت
اقام الدين ونظام الدنيا من أصبح به لواء العزة بك مشهورا وجعلت نفوذ الكلمة ميسورا
ما كان الامر بين أهل شعوري واقت أساس المنفعة والبأس على عماد الاستنصار بقبوم
أمرك وديموم ملكك القائم على كل نفس ولك الشكر حتى زلت لنا به من عنايتك غرغ
الاقدار على طاعة أهل حكمك وولايتك والبراءة اليك من شر النفس الالية والعباد بك
من ذل الهوى وظلم الطبع الذي يستغفر الجبهة حجة الجاهلية ثم الصلاة على سيد خلقك في
الارض وامام أولياتك القائم بأمرك في الأبرام والنقض محمد سراج ملوك الهدى الخاض
عليك وتاج ملائكة السبر الى رضائك والداعي باذكائك اليك وعلى آله رؤساء دولة القمع المبين
وأخصابه الخاضعين بآء والهم وأرواحهم عن كلمة الحق مخلصين له الدين وسلم اللهم تسليما
واهدنا بهم صراطا مستقيما هذا وان الكتاب الجليل الغني بوضوح فضله عن الاجمال في
مدحه والتفصيل المسمى سراج الملوك كتاب لم يغادر من آداب الاخلاق وبذائع النصح
والامثال الرافق من مقبول ولا موقوف وكيف لا وهو لو احدث العصر من له في تناقب المعارف
الجمع والقصر من الى ضرب امثاله البروصي وجوشوشى الامام العلامة محمد بن الوليد
أبي بكر الفهرى الممالكي الطرطوشي فلقد جادت يده بأجل كتاب جادت به يد تصنيف واقر
سفرات الحكمة تحت ظل تبيان الوديع واجمع مؤلف آت شمل الاتباع بعد انصداعها
وأودع خزائن الأفكار وذائع النصح الرشاق أتم ابداعها اشتمل بشمال الابانة عن دقائق
الحكم حيث اشتمل على رقائق مواظ وأحسن أخلاق من سلف من ملوك العرب والعجم
فتساقطت في مضمار تنزله هـ فرسان الزواجر والعبر وسارت الى رقة الفاظه رموز
روادع العظة فكان من احدى الكبر لعمر الله لهوا جدران يكون لطموح الصدرة سراجا
مشعلا ولو فود احسان السياسة ورفق درج الرأفة محلا لأهل محلى من ثم عني بطبعه
الايهى وتميله الارغد الاشهى من له في أى المكادام الفاضحة والخائفة حضرة القاضل
الشيخ صالح محمد باعيسى رئيس التجار الحضارمة بجواهقه مزيد الاجر وبين له الخيط الايض

من الخيط الاسود من الفجر وكان اجراء الطبع والتثقيب المصوب بالتهذيب الايق والصبط
والتعديل الوثيق المنفرد بالاصالة ما أثبتت أمواج بحر النيل بطبعة بولا قحصر التي حطت
عن اعتناق الاقلام وهام البنان ك كل عب مواصر وغرقت عليها بلابل الافادة والانتفاع
وسطعت من سما اذيانها شعوس الجلالة على صععات الابصار والاصماع كيف لا وقد اوبت
بم اشغال مراحم ولي كل نعمة رب المآثر المثورة والحمد الجبة عزير الدنيا ومطمح
أبصار العلما الخصوص بالهمة السامية والعزم الملى أفندينا اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على
أيد الله بالصولة والمنعة دولته وبيع بجميل الذكر والكرامة طلعته وحرس اشباهه وانجباله
الذين هم انجز لوعده وأنجح له سبل التبل الاسمي ومنه نفعه الله الا همى من به نوب العدل
صديق سعادة المشير الانعم محمد باشا توفيق حفظه الله وواله من الخير مناه منوطة تلك
الدار بنظر صاحب المساعي المشكورة والمكارم الفزار من به صادق الرأي يستقي سعادة
ناظر المطبعة والكافة خاتمه حسين بك حسنى موصولة النظر بوكالة وكيله المهتدى بدلالته
الى سواميد له من اذا اشارت المعارف فايها نعتى حضرة محمد أفندي حسنى مطروقة بهودة
ذى السعي الجليل والمقصد الاحد جناب أبي العيين أفندي أحمد موصولة التعميم
المستطاب والتهذيب والتنقيح الذى ملا الوطاب الى رياسة ذى الفكر الناقب والفهم
المدوار حضرة المولى الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقي عبد القهار ولما غرد طير الاكمال على
غصون طبع صالح هذه الاعمال وحت مادام مؤرخا حسن هذا الصنيع على لسان كل بصير
بقدر اهله جميع قائل

بد الحمد قد ديجت طرزها • فهل من سعيد حسا كرزا
فكم قدر الجدة قد واهرى • زاه حصاف النبى برزا
وكم للسان العلاء لهجة • نادى ان استخرجوا كثرها
وما الناس الا امرؤ ان يذل • بدنيا ساقط له عزها
والقت اليه مقاليدها • وأذنت الى سعيه حوزها
وأخر بابى على نفسه • مما الضم حتى يرى ونزها
بحمله الرأى ما لا يطيق • كما جلت الف همزها
وأخر أربى عليه هواء • وأمضى لفرسته خزها
• أقام بشبب بالتمسنى • ويض الذى بالخشازها
يقوت بذكر ما قوت نقر • بمنعة احزنت حرزها
اذا مارنت عانت القلب منه • فهل تحصد القلب او غزها
وان هى ماست فيادوحة الحسن • به ساعبت الدل أن هرزها
بروعه بالنسنا حصرها الذى عتسه • به لغزها
وبعجزه بالسلام العذول • يرى نفس من صابرت هزها
وبانت له ناظر قد أجاد • لا يرى شهب الدبح فرزها
يقول لبحم السما راعنا • به عوز يجتدى عوزها

له من حشا وعزاء * لنقص بها ما غدا كرها
 اذا نقصد الصبر يا زيقها * وابذل الوصل يا فوزها
 اخا الولع اربع وحي رأى من * عن الولع القلب قد زها
 وهات اجل لي من سراج الملوكة * سناغرة اوضعت فخرها
 بكتاب انا بحق اليقين * فأتى النهى ما به ابتزها
 بكاد سنا برق انباهه * بحب القلوب يرى ازها
 ابان لنا زبر الاولين * وابرز من طهار مرزها
 فكف فيه من عبدة البصير * ومن عظة تقتضي فخرها
 ومن حظة تستطير النفوس * لما قد دعى يا غر بفخرها
 يورث علماء ذات الصدور * ويعجوب ليل الهدى ترزها
 لذا كان بالطبع من باب اولى * لتشق منه النهى تازها
 فله در امرئ صالح * وصالحه في السهي رزها
 بجاء فجاءه طبع جميل * به لا مالى فنى فجزها
 فلا ريب يجزى جزاء وفاقا * ومن جاء ساكنة يجبرها
 ومذا فرغوا له الانتهاء * على طبعه المقتدى انزها
 اشترت على الحال ابرخ اضاء * سراج الملوكة بطبع زها
 ٨٠٢ ٢٦٤ ١٢٧ ٨٣ ١٣

سنة ٢١٩

ووافق كمال طبعه المنير أواخر رمضان المحرم سنة التسامح

المنظوم من هجرة البشير النذير صلى الله عليه وسلم وعلى

آله وصحبه ومن تبعهم على القى هي أقوم

ماحن مشتاق الى البكاء واشتاق

مهجور الى ابن ذكاء

والحمد لله رب

العالمين

٢

